أساطير شعبية

من قلب جزيرة العرب

الجزء الخامس

بقلم

عبد الكريم الجهيمان

دار أشبال العرب

الرياض - المملكة العربية السعودية

حاشية على الذيلين

هذا - أيها القارىء الكريم - هو الجزء الخامس والأخير من كتاب الأساطير الشعبية في قلب جزيرة العرب..

ولا أدعي بهذا المجهود المتواضع أنني جمعت كل الأساطير المتداولة بين المواطنين في هذه الأجزاء الخمسة.. فالأساطير بحر وافر لا ينضب معينه.. ولا تنحصر شجونه.!!

ولقد كنت أتذكر أن إحدى عجائز قريتنا إذا اجتمع حولها الفتيات والصبايا.. وطلبن منها أن تسليهن.. وأن تقص عليهن بعض الحكايات الغريبة.. فإنها تطلب منهن مقابل ذلك أن يتحسسن رأسها وأن يقلبن شعراته الشمطاء.!!

وما دمن على ذلك فإنها تقص عليهن مختلف الأقاصيص.. وتحكي لهن شتى الحكايات.. التي منها ما يغرق في الخيال. ومنها ما له ظل من الحقيقه.. ومنها ما هو مفرح ومنها ما هو مخيف.!!

والفتيات والصبايا يسمعن تلك الأقاصيص والحكايات

بيقظة وانصات.. سواء منها ما يفرح أو يرعب.!!

وتستمر هذه العجوز في هذا ما دمن يتحسسن رأسها.. وتخرج من حكاية إلى حكاية.. ومن قصة إلى اسطورة.. لا تكل ولا تمل.. ولا تتوقف ما دمن لم يتوقفن.. ولا تمل ما دمن لم يمللن.!!

هذه العجوز واحدة من مصادر الأساطير التي هي تسلية المواطنين في أزمان مضت من قبل.. وهي غالباً لا تحلو إلا في الظلام الدامس قبل تعميم الكهرباء.. وقبل هذه الاذاعات والتلفزيونات.. والراديوات..

فلماذا يختار الليل مجالاً لهذا النمط من التسلية.؟!

إن ذلك في نظري له أسباب متعددة.. فالناس مشغولون في بياض النهار بالعمل في شئون معيشتهم منذ طلوع الشمس إلى غروبها.!!

فإذا أرخى الليل سدوله.. وغطى بظلامه السهول والوديان.. وغمر بظلامه البلاد والعباد.. لجأ المواطنون إلى أحضان الراحة والاستجمام.. قبل مواعيد المنام.. وهنا يحلو السمر.. ويحلو تجاذب أطراف الحديث.!!

وبما أن مجالات الحديث محدودة لديهم.. بسبب بساطة العيش.. وقلة المشكلات.. فإنهم في تلك السويعات يلجأون إلى

ملأ الفراغ بتلك الحكايات.!!

وهذه الحكايات يعبرون فيها عن أحلامهم وأمانيهم.. أو يعبرون فيها عن مخاوفهم مما قد يعتريهم.!! فالانسان في هذه الحياة.. يعيش بين المخاوف والآمال.. ويقضي العمر كله طالباً للخير مبتعداً عن الشر.!!

والقصص الشعبية كلها وليدة لهذين الأمرين.. الذين يدخلونها في ثنايا قصصهم.. وقد يبالغون في تصوير الشرور والأخطار.. حتى يخرجوا بها عن حد المعقول.!!

وقد يبالغون في أحداث الفوز والنعيم.. حتى يظن السامع أن تلك الأقاصيص تتحدث عن عوالم أخرى ليست على كوكبنا الأرضي.!!

وذلك لأن الانسان بطبيعته يسأم الواقع.. ويضيق بقيوده وحدوده.. ويطرب للخيال.. وانطلاقه في أجواء لا يحدها حدود.. ولا يقيدها قيود.!!

ولا ننسى في هذه الفذلكة العجلى أن نشير إلى أن كل مجتمع له أحلامه وأمانيه.. وله مخاوفه الخاصة مما يعانيه أو يخشى أن يعانيه فينسج قصصه وأساطيره بوحي من تلك المخاوف والأحلام.. التي تتجدد مع تجدد الأطوار وسوف تبقى ما بقى الليل والنهار.!!

وقد ينطوي في ثنايا تلك القصص والأساطير أنواع من

التجارب والحكم التي مرت بمن قبلنا . . والتي قد يمر علينا مثلها . . فالعاقل الحصيف قد يستفيد من تلك التجارب وقد ينتفع بما فيها من حكم ومواعظ . . فلا يسلك تلك الطرق التي فشل فيها من قبلنا . . ولا يرتكب الأخطاء التي قد يكون ثمنها أغلى شيء عند الانسان وهي حياته على ظهر هذه البسيطة . !!

فمن شاء أن يقرأ هذه القصص للإستجمام والتسلية فإنه سوف يجد فيها ما يطربه ويسليه . !!

ومن شاء أن يقرأها لاكتساب الخبرة واقتطاف ثمار الحكمة . . فإنه سوف يجد فيها ما يفيده ويرضيه . !!

ومن شاء أن يقرأها لمعرفة أفكار السابقين . . ومجال أحلامهم وأمانيهم . . وطرائفهم في حالي تباعدهم وتدانيهم . . فإنه سوف يجد من ذلك ما يكون فيه عبرة للمعتبرين . . وتبصرة للمتبصرين . !!

وبالله التوفيق . . وعليه الاتكال . . وإليه المنقلب والمآل . !!

المؤلف

سالفة

١ - شيخ القبيلة.. وكيف زوج بناته ؟!

في هذه الليلة اقترح أحد الأطفال الكبار أن ينوب عن الجدة وأن يقص عليهم سالفة شيخ القبيلة.. الذي كان عنده سبع بنات وكيف زوجهن.. فوافق جميع الأطفال على ذلك ولم تستطع الجدة أن تشذ عن ذلك الاجماع.!!

فتصدر الطفل تلك الحلقة وشرع في سرد سالفته قائلاً: ـ

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا شيخ هاك القبيلة الذي يتصف بالشجاعة والكرم.. كما يمتاز بالتواضع ولين الجانب.. حتى أحبه الصغير والكبير.. واحترمه العدو والصديق..

وكان هذا الشيخ متزوجاً إلا أنه لم يرزق إلا سبع بنات ولم

يرزق أحداً من الذكور..

وكبر بناته السبع حتى بلغن سن الزواج وبدأ الخطاب من أفراد القبيلة يتقدمون إلى شيخهم واحداً إثر واحد.. يخطبون البنات من أبيهن وكثر الخطاب وعظم التنافس بين شباب القبيلة على الحظوة بالقرب من هذا الشيخ الشهم الكريم الذي إذا ذكر كان اسمه مقروناً بالثناء والمدح والتمجيد.!!

واحتار الشيخ بمن يزوج بناته..إنه لا يريد أن يغضب أحداً من أفراد قبيلته.. بل يريد أن يرضي الجميع.. وأن يحقق رغباتهم.. فكيف يصنع... ووجد الخطة التي تخلصه من هذا الحرج.. وذهب إلى بناته فكاشفهن بالواقع.. وأخبرهن أنه لا يريد أن يفضل أحداً من بني قومه على أحد لئلا يرضى قوماً ويغضب آخرين.!!

ولهذا فقد قرر أن يجعل الأمر بيد بناته السبع فكل واحده تختار الزوج الذي ترضاه ليكون شريك حياتها..

وفرح البنات السبع بما سمعن.. وجعلت كل واحدة منهن تفكر في الصفات الأساسية التي يجب أن تكون في فارسها المفضل.. وبدأت كل واحدة تؤمل أن تفوز في هذا الاختيار.. وأن توفق فيه..

وذهب شيخ القبيلة إلى الخطاب واحداً اثر واحد وأخبرهم بما عزم عليه.. وقال انتم كلكم من قومي وأبناء جلدتي.. وكل واحد

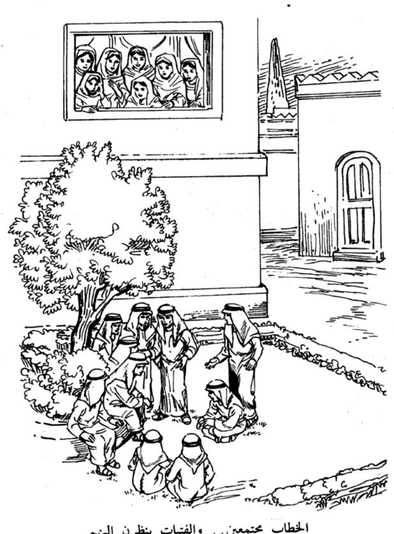
منكم كفء كريم.. ولكنكم كثير وبناتي سبع.. وأنا أحب أن أرضيكم كلكم وأن أحقق رغبة كل واحد منكم.. ولكنه لا سبيل إلى ذلك لأن عددكم أكثر من عدد بناتي.. كما أنني لا يمكن أن أقبل بعضكم وأرفض الباقين لأنني أعزكم جميعاً.. ولا أريد أن أفضل بعضكم على بعض.

ولهذا رأيت أن من المصلحة أن نترك موضوع اختيار الأزواج للبنات أنفسهن فأي فتاة من بناتي تختار واحداً منكم فهي له وهو لها.!!

ورضي الخطاب بهذا الكلام واقتنعوا برأي الشيخ على أن يجتمعو.. في يوم معروف من شهر معروف في تاريخ معروف.. ليكون الاختيار.!!

وجاء الخطاب في اليوم والوقت المحدد بعد أن تزيا كل واحد منهم بالزي الذي يراه حسناً ولافتاً للنظر.. ومعجباً للفتيات.. واجتمع الخطاب في مكان واحد وجلسوا يتحدثون وينتظرون الاستعراض أمام شريكات المستقبل وجعل الفتيات السبع ينظرن إلى هؤلاء الرجال نظرات فاحصة.. من مكان خفي بحيث يرينهم وهم لا يرونهن..

ووقع اختيار كل واحدة منهن على فارس أحلامها.. واختارته وتخيلت فيه النجابة من طريقة جلوسه.. أو أسلوبه في الحديث.. أو اشاراته بيده في المواقف المؤثرة.. ثم حركات جسمه



الخطاب مجتمعين.. والفتيات ينظرن إليهم

وعينيه وحاجبيه.. هذا هو الدور الأول من الاختيار..

وبقي الدور الثاني.. وهو أن يمر هؤلاء الخطاب من طريق يجلس الفتيات السبع في غرفة مطلة عليه... فإذا صار الخطاب تحت هذه الغرفة فإن كل فتاة منهن تلقي منديلها الذي كتب عليه اسمها على رأس خطيبها الذي أختارته... أما الذي لا يقع على رأسه منديل فهو غير مرغوب فيه.!!

وتتابع الخطاب واحداً إثر واحد فمن وقع على رأسه منديل احتفظ به واحتفظ باسم صاحبته التي رمته.. ومن لم يقع على رأسه منديل فقد خرج من المولد بلا حمص.!!

وكانت كل واحدة من الفتيات السبع تختار زوجها حسب مزاجها فمنهن من تختاره لطول قامته.. ومنهن من تختاره لحسن هندامه.. ومنهن من تريده لوسامته.. ومنهن من تختاره لحسبه ونسبه وطيب أرومته.!!

واختارت الكبرى زوجها ورمت على رأسه منديلها ثم تبعتها التي تليها في السن ثم الثالثة فالرابعة فالخامسة فالسادسة وعندما جاء دور السابعة رمت منديلها على رأس رجل خامل الذكر غير منسق الهندام.. ولا وسيم الطلعة.. وعجب الناس من تصرف هذه الفتاة.. وانتقدها الأقربون والأبعدون على سوء اختيارها..

وكان أول المنتقدين لها والدها الذي أصيب بصدمة وذهول من جراء هذا الاختيار غير الموفق.. ولكن هذا الوالد لا يستطيع

أن يمنع ابنته من هذا الاختيار.. فقد أعطاها هذا الحق.. وليس من المنطق أن يتراجع عن هذا العطاء..

أما والدتها فإنها قد غضبت عليها أشد الغضب عندما بلغها سوء اختيار شريك الحياة وقد خلت بها أمها وبختها أشد التوبيخ ووجهت إليها أشد عبارات اللوم.. وقالت لها في جملة ما قالت لقد أعطيناك حق الاختيار ولكنك لم تحسني استعماله.. وقد جعلت الناس كلهم يسخرون بك. ويسخرون بنا من جرائك.. لأن اختيارك لهذا الزوج يدل على النزق.. بل العته.. بل الجنون.!!

وأنصتت الفتاة لأنواع كثيرة من هذه العبارات التي وجهتها إليها والدتها ولم تعارض والدتها بأي كلمة حتى انتهى كلامها.. وتطلعت الوالدة إلى فتاتها لتسمع دفاعها عن نفسها وترى مدى تأثير ذلك اللوم والتقريع عليها..

وقالت الفتاة لوالدتها: هل الذي سيعيش مع هذا الزوج أنا أم أنتم فقالت الوالدة: أنت.. وأردفت الفتاة قائلة وإذا كان هذا الزواج مخفقاً أو ناجحاً.. فمن الذي يسعد به أو يشقى.. أنا أم أنتم...؟! فقالت الوالدة.. أنت..

وتابعت الفتاة دفاعها عن نفسها قائلة لقد أعطيتموني حق الاختيار كما أعطيتم أخواتي.. وقد اخترت حسب مزاجي وحسب فراستي كما اختار أخواتي حسب مزاجهن وحسب فراستهن فاتركوني

وشأني فإن هذا الأمر يخصني دون الناس أجمعين الأقربين منهم والأبعدين..

وسكتت الوالدة على مضض.. وذهبت إلى والد الفتاة وأخبرته بما دار بينها وبين فتاتها من محاورات.. وسردت عليه ما جرى بينهما من عبارات.. وطلبت من زوجها أن يتدخل في الأمر وأن يستعمل قوته كرب أسرة وأن يستعمل نفوذه في هذا الأمر بالذات...

ولكن الأب قال لزوجته دعيها وما اختارت... فلقد أعطيتها حق الاختيار.. وما ينبغي أن أتراجع عن أمر أعطيته.. ثم أن استعمال القوة في مثل هذه الأمور قد يؤدي إلى أضرار كثيرة نحن في غنى عن إثارتها ولكن لدي طريقة لإذلال هذه الفتاة وازدرائها وإشعارها بأنها حقيرة صغيرة الهمة.. ولم تختر إلا رجلاً مثلها حقيراً صغير الهمة..

فقالت الوالدة وما هي الطريقة؟.. فقال الزوج إنها تتمثل في أن نزف الفتى إلى الفتاة في مكان حقير هو زريبة النعاج.. وأن نفرش لهم فرشاً حقيراً من نفايات الفرش.. وأن نقابلهما بفتور ملحوظ ليشعرا بما نكنه لهما من مشاعر الكره والنفرة والازدراء.!!

وعندما انتهى والد الفتاة من كلامه كانت الأم قد اقتنعت بأن الرأي الصواب هو ما راه زوجها فوافقت عليه.. واتفق الزوج وزوجته على تنفيذ هذا الرأي...

وبدأت الاستعدادات للزواج.. زواج الفتيات السبع لسبعة فتيان من أبناء القبيلة في ليلة واحدة..

وعندما تمت الاستعدادات عينت ليلة الزواج وأدخل كل فتى على فتاته في مكان نظيف... وعلى فرش وثيرة.. ما عدى الصغرى وزوجها.. فإنها أدخلا في زريبة.!! وفرش لهما فرش رث.. وشعر الزوجان بما قصدا به من إهانة وإذلال.. وقابلا هذا الأمر ببرود تام.. وجاء النهار وخرجت الفتاة الصغيرة وخرج زوجها.. ولم يظهر عليهما ملامح الحزن والأسى نتيجة لما صنع تجاههما..!!

ولكن الفتاة بدأت تحس بنظرات الاحتقار والازدراء تتوالى عليها من الأباعد والأقارب.. وكان من يستطيع عتابها يعاتبها مشافهة على سوء اختيارها.. ومن لا يجرأ على عتابها ينظر إليها نظرات تحمل معاني الاحتقار والازدراء..

وصمدت الفتاة أمام هذه النظرات والعتابات.. وتظاهرت بالبلادة والغباء. وتركت الناس وأقاويلهم.. وعاشت مع زوجها في بيت صغير متواضع.. عيشة كلها وفاق ووئام وسعادة وهناء.. فقد كان هذا الشاب وحيداً ليس عنده أحد من أقاربه... أما أخواتها فقد عشن في وسط أسر كبيرة.. تنازعها شتى الأهواء والأغراض.. وتعيش كل واحدةمنهن في دوامة من المشاكل لا أول لها ولا اخر..

وشعر زوج الفتاة الصغيرة بمدى التضحية التي قدمتها له زوجته.. ومدى الضغط واللوم والتقريع الذي تواجهه زوجته فازداد بها تعلقاً.. ولها حباً.. وكان يحاول أن يشعرها بشعوره نحوها في كل مناسبة من المناسبات وكان هذا الشعور من الزوج تجاه زوجته يخفف عنها ما تلقاه من الناس.. بل يجعلها تشعر بالراحة والاطمئنان.. ونسيان جميع ما تسمعه من الناس من هذيان.!!

تتابعت الأيام.. والقوم يعيشون في سلام وأمان.. وستر الله قد غطى الجميع بحيث لا يعرف الشجاع من الجبان ولا الضعيف من القوي.. ولا الصامد أمام الشدائد.. من الخوار الرعديد الذي تنهار قواه.. وتتحطم أعصابه أمام أي زوبعة تهب عليه.!!

وفي الغالب أن حياة الصحراء كلها كفاح وغلاب لا يبقى فيه إلا الأقوى.. أما الضعيف فإنه ينهار أمام تلك الزوابع ثم يعيش مغموراً على هامش الحياة.. حتى يتلاشى ويذوب.!!

ولم يشعر ذلك الحي الآمن المطمئن في ذات يوم إلا بالصريخ الذي يزلزل أركان الحي.. وطلب النجدة.. فقد أغار جماعة من الفرسان على أذواد الأبل فاستاقوها أمامهم.. وقتلوا رعاتها إلا من نجا منهم بنفسه.. وصاح الشيخ في قومه أن هبوا على بكرة أبيكم وأدركوا الغزاة الطامعين.. أنقذوا إبلكم من قبضتهم...

وتقلد الفرسان سيوفهم وتنكبوا أقواسهم.. وحملوا رماحهم

على عواتقهم.. وقفز كل منهم على ظهر جواده.. ثم أطلق له العنان إلى جهة الأعداء، وسار القوم كلهم على أثر إبلهم.. ولم يبق في الحي إلا العجوز والمريض والطفل الصغير.. أما البقية فقد ساروا مشاة وركبانا خلف الإبل المسلوبة.!!

وبقي زوج ابنة الشيخ الصغيرة بجانبها... لم يذهب مع الفرسان لأنه ليس لديه فرس ولم يذهب مع المشاة لأنه يخجل أن يمشي مع الضعفاء.. الذين هم لا أثر لهم يذكر في مثل هذه المواقف.!!

والمهم أن صاحبنا هذا كان قد صمم على أن يبقى بالنسبة إلى هذه المعركة لا في العير ولا في النفير.. لأنه ليس له إبل فيها سرق.. ولأنه لا يذكر من أفراد حيه إلا النكران والجحود والحسد والصدود!! إلا أن زوجته ألحت عليه في أن يذهب مع القوم وأن يساعد على هزيمة الأعداء وإعادة الإبل.!!

وأصر الزوج على موقفه وقال لزوجته إن أغلى شيء لدي هو أنت وسوف أبقى بجانبك للدفاع عنك إن امتد الشر إلى مضاربنا.. أما الإبل فلينقذها أربابها والبركض وراءها من يشرب لبنها ويستفيد من أوبارها...

ولكن الزوجة ألحت على زوجها في أن لا يتخلف عن معاضدة قومه في مثل هذا اليوم.. وقالت له إنه يجب أن نتناسى الأحقاد والحزازات في مثل هذا اليوم بالذات.. فهي مسألة عزة

وكرامة تمس كل فرد من أفراد القبيلة.. وليست إبلاً تؤخذ أو إبلاً تستعاد.!!

وأمام إلحاح الزوجة العزيزة على زوجها بأن لا يتخلف عن هذه المعركة اعتذر إليها عذره الأمثل بأنه ليس معه سلاح.. وليس لديه حصان يمتطيه حتى يدرك القوم على ظهره.!!
وبينما الزوجة في حوارها مع زوجها.. وإذا بطلائع الفرسان تعود إلى الحي مهزومة شر هزيمة.. بينما ذهب القوم بالإبل.. وذهبوا بما استطاعوا أخذه من خيل الفرسان الذين لحقوا بهم...

وقالت الزوجة لزوجها.. قم معي يال زوجي العزيز وسوف أدخلك على خيل أبي فتأخذ منها أسبقها وأقواها.. وسوف أدخلك في مخزن السلاح فخذ منه ما يعجبك.!!

وأمام اصرار الزوجة على رأيها أيضاً قام الزوج معها.. فاختار فرساً أصيلاً.. ودخل في مخزن السلاح فاختار ما يناسبه لمثل هذه المعركة.. سيفاً قاطعاً.. ورمحاً قصيراً..

ثم استوى على ظهر فرسه وسار في اتجاه الأعداء مودعاً بالنظرات زوجته المحبوبة.. التي ألهبت فيه روح الحماس والبطولة والاقدام.!!

وكان في طريقه إلى الأعداء قد تلثم وغطى معظم وجهه بحيث لا يظهر إلا عيونه التي احمرت من الغضب والثورة والاستعداد لمعركة حامية الوطيس بين قوتين غير متكافئتين..!!

ورأى فلول المنهزمين هذا الفارس الملثم الذي يتجه إلى ميدان المعركة بقلب شديد.. وارادة كالحديد.. وبدأ المنهزمون يقتفون أثر هذا الفارس إلى ميدان المعركة مرة ثانية.. وقد عادوا لا ليشتركوا في المعركة.. ولكن ليروا ماذا سيصنع هذا الفارس مع أولئك القوم الأشداء..

واستمر الفارس في طريقة وكله ثقة واقدام وصلابة.. وعندما أشرف على القوم.. وهم يستاقون الابل.. وفرسانهم عن يمينها وشمالها.. لم يوجه إليهم أي كلمة ولم يسمعهم أي انذار لأنه يعرف أن الكلام لا يفيد قبل ضرب الحسام.!!

ولهذا فقد فاجأهم بهجوم سريع عاصف ما كانوا يتوقعونه.. وشق القوم نصفين.. وجندل منهم عدة فرسان.. وعندما ابتعد عنهم قليلاً حرف فرسه ووجهها إليهم مرة ثانية ورأى كبير القوم يرتب صفوف رفاقه ويصدر إليهم التعليمات التي تضمن لهم النصر.. وتضمن لهم السلامة.. فإنقض الفارس على كبير القوم وفاجأه بطعنة نثرت أمعاءه على الأرض فسقط صريعاً لليدين وللفم.!!

وابتعد الفارس عن القوم قليلاً ثم حرف فرسه إليهم مرة ثالثة وقد تزعزعت ثقتهم بأنفسهم وبدأ الخلل يدب في نفوسهم وقال لهم الفارس عندما قرب منهم دعوا الإبل تعود إلى مراعيها واذهبوا في طريقكم بسلام.. ولكن بعض القوم سخر منه ومن كلامهم.. فانقض عليهم كانقضاض الصاعقة.. وجندل على

الأرض منهم عدة فرسان.. وكان كلما جندل فارساً أخذ عنان فرسه وتركها تهيم على وجهها كما تشاء..

وعندما رأى رفاق الفارس فعله في الفرسان وتصدع صفوفهم وقتل رئيسهم.. عندما رأوا ذلك هجموا على القوم وقاتلوهم حتى هزموهم شر هزيمة وأخذوا خيولهم وجميع ما معهم إلا من نجا بنفسه منهم.!!

وعاد رجال الحي بالإبل والخيل والغنائم.. وكل منهم يتحدث عن نفسه وعن مكاسبه وعن أفعاله الفروسية في ميدان القتال.!!

أما الفارس الملثم.. فقد عاد وليس معه إلا أعنة الخيل التي جندل فرسانها.. أما الخيل فقد تقاسمها رفاقه وكل منهم يدعى أنه هو الذي قتل فرسانها وغنمها من الأعداء.!!

واجتمع القوم بعد عودتهم بإبلهم عند رئيسهم وشيخهم وجعل كل واحد منهم يقص على الشيخ ما فعله في ميدان المعركة.. وما مارسه من ألوان البطولة والاقدام.. والشيخ يسمع كلما يقال.. وقد جاءته الأخبار الأكيدة عن الفارس الملثم.. الذي تحقق الشيخ أنه زوج ابنته الصغرى.. والذي كان يجلس في طرف المجلس هادئاً ساكناً لا يتحدث عن نفسه.. ولا يذكر شيئاً من أعمال بطولته..

وعندما تحدث كل القوم ولم يبق إلا الفارس الملثم الذي كان

ساكتاً دعاه الشيخ ليجلس بالقرب منه.. وقال له لقد تحدث كل واحد من فرسان قومك عما فعله في ميدان المعركة وما اكتسبه من غنائم الأعداء.. والآن جاء دورك فأخبرنا بما فعلت وما اكتسبت..

وقال الفارس الملثم أيها الشيخ الكريم أما فعالي فلن أتحدث عنها فغيري أولى مني بالحديث عنها.. وأما مكاسبي من الأعداء فانني لم أكسب إلا هذه الخيوط التي في جيبي.!! ومد الفارس يده إلى جيبه وأخرج منه أعنة الخيل التي قتل فرسانها.. وعدوا هذه الأعنة فوجدوها تقرب من عدد الخيل التي تقاسمها أفراد القبيلة وكل منهم يدعى أنه هو الذي قتل فرسانها...

وخجل القوم الذين تحدثوا عن أنفسهم وتضاءلوا أمام هذه الحقيقة التي لا تقبل الشك.. وأمر الشيخ برد الخيل كلها إلى الفارس الملثم.. وانصرف القوم إلى رحالهم وقد أبقى الشيخ عنده زوج إبنته الصغرى الذي هو الفارس الملثم واعتذر عما صدر بحقه سابقاً من تجاهل وابعاد وحرمان.. وقال الشيخ للشاب إنك من الآن فصاعداً أنت مستشاري الخاص.. وأنت سيفي الذي به أضرب ورأيي الذي به أصول وأجول وخليفتي على العشيرة بعد موتي..

وشكر الشاب شيخه على هذه الثقة التي لا حد لها.. وهذا العطف الذي يفوق الوصف.!!

وقال الشاب لشيخه ووالد زوجته إنني سوف أكون رفيقك الوفي.. بل خادمك المخلص والذي يفديك بروحه ولحمه ودمه فعش سعيداً قرير العين.. نعش في جوارك سعداء قريري العيون وودع الفاس الملثم شيخه وودع الشيخ ذلك الشاب.

وفي اليوم الثاني أقام الشيخ حفلة كبيرة دعا إليها جميع أفراد الحي.. وأعلن أنها على شرف الفارس الملثم الذي دفع عنهم الأعداء.. واستعاد الإبل وحفظ لهم كرامتهم.. وعزتهم.. وصنع من أنواع البطولة ما سوف يكون له أعظم الأثر في تعاظم أمر القبيلة وانتشار صيتها وتخوف أعدائها منها...

وعندما تكامل جمع القوم عند شيخهم أعلن على رؤوس الاشهاد بأن هذه الحفلة على شرف الفارس الملثم مكافأة على ما صنعه للقبيلة من مجد وشهرة وهيبة.. وأكثر الشيخ من الحديث عن هذا الفارس الذي أصبح معروفاً لكل أحد.. وأصبحت بطولته واقدامه حديث الصغير والكبير..

وارتفع مقام الفارس الملثم.. بعد تلك المعركة.. وعظم مقامه في العشيرة وسلم له الشيخ مقاليد الأمور.. وجعل في يده الحل والربط وازداد دخل الفارس الملثم وازداد كرمه وبذله للكبير والصغير حتى صار كرمه حديث الناس كما كانت فروسيته.. فتكاملت له أسباب المجد والرفعة.. لأن قوامها عند العربي شيئان الكرم والشجاعة وقد أخذ منهما الشاب الملثم بأكبر نصيب ولذلك فقد سما قدره.. وعظمت مكانته.. وساد عشيرته..

وندم القوم الذين لاموا إبنة الشيخ على اختيارها وعرفوا - مؤخراً - بعد نظرها وصدق حدسها ودقة معرفتها بالمقاييس التي يجب أن تكون في شريك الحياة..

وعاش الفارس الملثم بقية حياته مع زوجته الوفية الذكية في سبات ونبات.. ورزقوا الكثير من البنين والبنات.
وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

مما قال مسعود أحد مماليك أبن هذال

أبكي هلي يا ناس مانيب مليوم
وأظن من يبكي هله ما يلامي
من طاوع الثنتين يصبر على الشوم
ومفارق الخلان هم والعمامي
أفقوا كما طير قلب رأسه الحوم
بهيفية ما يندرى وين حام
أدنى منازلهم أشتاتاً ولملوم
وأقصى منازلهم مداحي النعام
هذي مرابط خيلهم دايم الدوم
حقب العيون مروبعات الهوامي
وهذا مشب النار والحفر مثلوم
ومركى الدلال المثمنات الشوامي

سبحونة:

٢ - الأرملة والعفريت الذي أولاده من حجارة !!

روبت هذه السبحونة عن الصديق
العزيز الأستاذ عبد الله الأحمد وقد كتبتها
بأسلوبي الخاص.

كانت الجده في هذه الليلة تحب أن تقص على الأطفال سبحونة فيها خيال وفيها عجائب وغرائب.. ولهذا فقد قالت لهم أني سوف أقص عليكم سبحونة الأرملة مع العفريت الذي أولاده من حجارة وتعجب الأطفال من أولاد من حجارة وقالوا بصوت واحد نعم قصيها علينا..!!

واعتدلت الجدة في جلستها وشرعت في السبحونة قائلة: -

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك القرية التي أصيب أهلها بالجفاف وقلة المطر والمجاعة الشديدة ولهذا فقد شارك النساء والأطفال في تحمل أعباء العمل في الحقل وفي رعي الماشية، وفي الاحتطاب وفي جمع أعشاب الصحراء.. كل يبذل جهده فيما يقدر عليه من عمل..

وكانت المرأة تتحمل القسم الأوفر من المسئوليات داخل البيت وخارجه.. ولا تكاد تنتهي من الأعمال خارج البيت حتى تشرع في أعمال منزلها من تنظيف ونقل ماء وحلب مواشي وإصلاح طعام.. ولهذا فإن المرأة لا تستطيع الراحة ولا النوم إلا سويعات معدودات من الليل والنهار.. لأنها لا تكاد تنتهي من أعمال الليل حتى تشرع في أعمال النهار ولا تكاد تنتهي من أعمال النهار حتى تشرع في أعمال الليل..!!

وسارت الأمور على هذا المنوال فترة طويلة من الزمن لم يتقاعس أحد منهم عن أداء واجبه بحسب قدرته الجسمانية وليس في القرية من يلزم الهدوء والراحة إلا أسر قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة.. هؤلاء هم التجار الذين لديهم المال ولديهم جميع مقدرات القرية من حبوب وتمور.. وما إلى ذلك..

والتجار يتملكون هذه المحصولات من الفلاحين بطريق الدين.. حيث يعطون الفلاح ما يحتاجه من نقود مقابل شراء محصوله الزراعي.. ولكن هذا الشراء في مصلحة التاجر أكثر مما هو في مصلحة الفلاح.. فالفلاح يبيع على التاجر محصوله بأبخس الأثمان فإذا كانت خمس وزنات التمر بريال اشترى التاجر من الفلاح عشر وزنات بريال فيكسب النصف.. وهكذا في الحنطة وفي بقية المحصولات الزراعية المتعددة.

وقد يشتري الفلاح من التاجر أشياء لا حاجة له بها ليبيعها ويأخذ ثمنها ليستفيد في مجالات حياته الفلاحية..

وفي هذه الحالة قد يصل ربح التاجر إلى العشر خمسة عشر يزيد الربح قليلاً أو ينقص قليلاً بحسب قدرة الفلاح على الوفاء بالتزاماته أو تزعزع الثقة في هذه القدرة..

ولهذا فقد كانت معظم مصالح الفلاحين وجهودهم المتواصلة ليلاً نهاراً تذهب إلى جيوب هؤلاء التجار الذين يأكلونها باردة مبردة.. وجانب آخر من محصول الفلاح يذهب إلى النجارين والحدادين والخرازين وما إليهم. ولكن ما يذهب إلى هؤلاء شيء ضئيل بالنسبة إلى التجار..

وكان الجميع يعيشون في قريتهم كأسرة واحدة.. كما أن الفواكه والخضروات والأعلاف تبذل لمن أرادها مجاناً وهناك جانب مهم في حياة القرية وهو التعاون في أوقات المواسم.. والتعاون عند القيام بعمل يتطلب جهوداً متعددة كالحصاد وحرث الأرض وجني الثمار وما إلى ذلك وهذه الخدمات تبذل مجاناً وبلا مقابل إلا العون بجهدك عندما تعرض للأخرين ظروف مثل ظروفك تتطلب العون... والمساعدة..

وهناك جوانب من التعاون بين سكان القرية من بناء المساكن الخاصة والأماكن العامة ومساعدة المنكوبين بحادث أو المصابين بمرض مقعد... وبالجملة فإن هناك تعاوناً تاماً في جلب النافع ودفع المضار.. الكل منهم يبذل في ذلك النفس والنفيس. ولا يتقاعس عن أداء هذه الواجبات أحد منهم..

وكان نسوة البلد يخرجن إلى الصحراء جماعات جماعات

ليساعد بعضهم بعضاً.. في جلب الخير ودفع الشر.. وكان من جملة هذه النسوة أرملة وحيدة في بيتها تكافح في سبيل لقمة العيش.. وتأكل من عرق جبينها وتحاول أن لا يكون لأحد عليها فضل أو معروف.. وكان من عادة هؤلاء النسوة أن يخرجن من البلد مبكرات في غلس الليل.. ليجمعن الأعشاب وهي ريانة طرية...

وجاءت ذات ليلة عاصفة قوية في منتصف شهر من الشهور.. ونامت هذه الأرملة في تلك الليلة.. وقلبها متعلق بصويحباتها.. اللاتي يأتين إليها إذا أردن أن يخرجن إلى الصحراء.. ويقرعن عليها الباب فتأخذ زبيلها ومحشها.. وتمشي معهن..

وفي تلك الليلة سمعت هذه الأرملة قرقعة الريح لبابها.. فظنت أنها صويحباتها يضربن عليها الباب فنهضت من فراشها وغسلت وجهها.. وأخذت ما تحتاج إليه في يومها ثم خرجت فلم تجد عند الباب أحداً.. وظنت أنها تأخرت عن النسوة فسبقنها إلى حيث يجمعن الأعشاب.. وظنت أن الفجر قريب لنور القمر الساطع.. بينما كانت في منتصف الليل..!!

وسارت الأرملة في الطريق المعتاد على أمل أن تلحق بالنسوة.. وطال مسيرها.. دون أن تلحق بهن.. وداخلها شيء من الخوف.. ولكنها الآن في منتصف الطريق... والمخاوف الآن

ليست أمامها فقط وإنما هي أمامها وخلفها وعن يمينها وعن يسارها.. إذاً فلا مناص من الاستمرار في السير لعلها تلحق بالنسوة...

وبينما كانت الأرملة سائرة مجدة في السير مرت بشجرة فعلقت عباءتها بغصن من أغصان تلك الشجرة... فتوقفت تخلص عباءتها من ذلك الغصن الذي علقت به وبقدرة قادر كلمتها الشجرة.. وقالت لها:

إلى أين أنت ذاهبة في هذا الليل.. وأنت وحيدة لا مساعد ولا أنيس، فأخبرتها المرأة بقصدها.. وتبادلت معها بعض الأحاديث ثم همت المرأة بمواصلة السير.. فاستوقفتها الشجرة.. وطلبت منها قليلاً من حب الفلفل والقرنفل إذا كان معها شيء من ذلك..

وكان من حسن حظ الإثنتين أن هذه الحبوب موجودة عند المرأة فأخرجتها ورمتها بين أغصان الشجرة.. ففرحت الشجرة وشكرت المرأة على كرم أخلاقها.. وطيب أعراقها..

وقالت الشجرة للمرأة إن في طريقك الذي أنت سائرة فيه عفريت يرعى سبعة أطفال ليس لهم أم.. وهم على شكل الأحجار فإن صادفك وأنت سائرة.. فإنه سوف يسلم عليك فردي عليه التحية بأحسن منها.. وامدحيه وأثني عليه بكل ما تعرفين من كلمات المدح والثناء.. وهو بعد ذلك سوف يطلب منك أن تتبعيه

إلى كهفه فإذا وصلت فإنه سوف يذهب ويتركك مع أولاده..

فأوصيك أن تعتني بهم وأن تنظفيهم وتطعميهم وأن تهتمي بهم غاية الاهتمام.. فإنه إذا عاد ورأى ما صنعت سوف يكافئك مكافأة سخية.. لن تحتاجي بعدها إلى جمع الحشائش من الصحراء.. ولا إلى الأعمال الشاقة التي تقومين بها من أجل لقمة العيش.. فاحفظي وصيتي واذهبي في طريقك محروسة موفقة إن شاء الله...

وذهبت المرأة في طريقها وهي بين المصدقة والمكذبة بما سمعت.. وقد دار رأسها حتى كأنها تعيش في كابوس ثقيل قد جثم على جسمها وكتم أنفاسها.. إنها تترقب رؤية هذا العفريت ما بين لحظة وأخرى.. وهي متخوفة منه.. متخوفة من أولاده.. لا تدري كيف تكون النتائج التي سوف تجدها في الطريق..

وبينما كانت مشغولة البال بهذه الأفكار والهواجس.. والمخاوف.. وإذا بالعفريت يلقاها في شكل إنسان. ولكنه إنسان غير عادي فكل ما فيه ضخم قوي مخيف..!! وإذا هو يحمل في إحدى يديه زبيلا فيه لحم ني كريه الرائحة.. حتى أن من يشم رائحته يكاد يختنق..

وسألها العفريت قائلاً: أتعرفين من أنا.. فقالت: نعم إنني أعرف من أنت.. إنك ملك الصحراء وسيد الأحياء وحامي الضعفاء.. ومبيد الأعداء. واستمرت المرأة في مثل هذه

العبارات.. التي أرضت العفريت.. وأشبعت غروره.!!

وسألها العفريت سؤالاً ثانياً عن هذا الشيء الذي يحمله فقالت إنه أطيب الأكل وأفخره.. فتهللت أسارير وجه العفريت من الفرح بهذا الثناء على شخصه وعلى طعامه الذي يحمله في يده.. وقال العفريت للمرأة: اتبعيني.. فتبعته طائعة مختاره.. وهي لا تعرف أين سيتجه بها إلا أن الشجرة كانت أخبرتها بأخبار إذا كانت كلها صادقة فإن النتائج سوف تكون طيبة للغاية.!!

وسارت المرأة مع العفريت إلى أن وصلت إلى كهف في عرض الجبل وقال لها العفريت إن هؤلاء هم أولادي فاهتمي بهم ونظفيهم وأطعميهم.. واهتمي براحتهم.. وسوف أغيب فترة قصيرة من الوقت ثم أعود اليكم..

وذهب العفريت وترك المرأة مع أولاده فنظفتهم وألبستهم وأطعمتهم وسقتهم.. وقامت بخدمتهم خير قيام.!!
وعاد العفريت إلى أولاده وإلى المرأة بعد غياب غير طويل.. فوجد أولاده بحالة حسنة.. ووجد الكهف نظيفاً مرتباً.. وسأل أولاده عن المرأة هل هي منيحة أم ذبيحة؟.. فصاح الأولاد بصوت واحد إنها منيحة.!!

وعندئذٍ شكرها العفريت على عنايتها بأولاده ثم فتح باباً في الغار واستخرج صندوقاً مملوءاً بالذهب واللؤلؤ والجواهر.. وأعطاها إياه وقال لها خذيه مباركاً لك فيه.. وإن احتجت إلي في



العفريت يري المرأة أولاده ويوصيها بهم

يوم من الأيام فاخرجي في طريقك مثل ما خرجت هذه المرة وسوف ألقاك.. وأكرم مثواك.!! وأعطيك من الذهب ما يقوم بحاجاتك...

فشكرته المرأة على كرم أخلاقه.. وطيب أعراقه وحملت صندوق الذهب في ليلتها.. ورافقها العفريت لحراستها حتى صارت قريباً من القرية فودعها وودعته وعاد إلى أولاده.. وعادت المرأة إلى بيتها قرب طلوع الفجر من تلك الليلة.!!

وعندما أصبحت المرأة في بيتها أخذت من الصندوق ما يكفيها لشهر.. ثم أخفته في مكان حصين.. لايمكن أن تصل إليه يد عابث أو سارق.. وبدأت المرأة ترتب بيتها وتشتري من الأواني والأثاث والطعام ما ينقصها.. وظهرت آثار النعمة على المرأة ولم تعد تذهب إلى الصحراء لجمع الأعشاب والحطب.. واشتهر في البلد أنها وجدت كنزاً من كنوز الأرض الذي أخفاه أحد التجار الأثرياء.. ومات دون أن يحتاج إليه..

وبدأ الناس يهتمون بهذه الأرملة الغنية فالمحتاج يأتي إليها فتقضي حاجته.. والغني يجاملها ويتحبب إليها.. والفلاح يقترض منها إلى وقت الثمرة فيرد عليها نقودها وصار كل من في القرية يجامل هذه المرأة ويأخذ بخاطرها حتى زوجة التاجر الذي يسكن بجوارها.. فقد بدأت تجاملها وتزورها ما بين وقت وآخر... وتظهر لها حباً ووداداً.. بينما كانت في وقت مضى لا تنظر إليها إلا شزرا.. ولا تسلم عليها إذا مرت بها. ولا ترد سلامها إذا هي

بدأتها بالسلام..

أما هذه الأيام فإن هذه الجارة تأتي إلى جارتها ما بين وقت وآخر.. وتحاول أن تكسب ودها... وأن تحظى بثقتها... وأن تكون موضع سرها.. وما زالت زوجة التاجر بهذه الأرملة تستدرجها حتى علمت سر ثروتها.. ومصدر نعمتها كما علمت بجميع تفاصيل تلك المغامرة الجريئة التي قامت بها الأرملة...

وصممت زوجة التاجر على أن تقوم بمثل تلك المغامرة فلعلها توفق إلى مثل ما وفقت إليه جارتها الأرملة... وأعدت زوجة التاجر عدتها.. من حيث لا يدري زوجها وعندما صار الليل ليلين.. تسللت من فراشها وأخذت عدتها وخرجت من القرية.. ومشت في نفس الطريق الذي سارت عليه جارتها...

ومرت بالشجرة. فلما أمسكت بعباءتها.. جرت المرأة عباءتها بعنف وشده.. وتكلمت في حق الشجرة بكبر وخيلاء.. وقالت أنت لا تصلحين إلا وقوداً للنار.. فليس فيك ثمرة.. ولا فائدة وإنما كلك أشواك.. وكلك أضرار.!!

وسمعت الشجرة كلامها.. ورأت كبرها وصلفها.. فلم ترد عليها بكلمة واحدة.. بل أكرمت نفسها.. وترفعت عن المستوى الذي انحدرت إليه هذه المرأة المغرورة.. وتركتها تسير في ذلك الطريق المحفوف بالمخاطر دون أن تسدي إليها أي نصح.. أو تنبهها إلى أي خطر.. فليس مثل هذه المرأة يستحق أي عناية.. ولا مثلها يلتفت إليه.. أو يعامل بالرقة والشفقة.. أو تسدي إليه النصائح.!!

وسارت المرأة في طريقها بحثا عن الثروة والمال والجواهر . .
وقابلها العفريت في طريقها فسلم عليها فلم ترد عليه السلام . .
وسألها عن نفسه فقالت انك اقبح من رأيت في حياتي وسألها عما يحمل فوق رأسه . . وكانت المرأة قد عرفت ما في الزنبيل الذي فوق رأسه وشمت رائحته المنتنة فقالت إنك تحمل قاذورات على رأسك . . .

وطلب العفريت من المرأة أن تسير خلفه . . فسارت معه حتى أدخلها إلى الكهف الذي فيه أولاده الذين هم كالحجارة . . إلا أنه عندما وصل إليهم لمسهم بأصابعه فانقلبت تلك الصخور السبعة إلى سبعة عفاريت صغار. وأخبرها العفريت بعد ذلك أنه سوف يذهب قريبا . . ثم يعود وطلب منها أن تنظف الغار وأن تنظف أولاده . . وأن تطعمهم وتسقيهم . . وأن تداعبهم وتسليهم ريثما يعود . !!

وذهب العفريت إلى حيث لا تدري . . وأخذت المرأة هؤلاء العفاريت الصغار ورمت بهم خارج الغار . . ولم تصنع أي شيء مما أمرها به العفريت . . وعاد العفريت من غيبته القصيرة . . ورأى أولاده خارج الغار وهم على حالتهم التي تركهم عليها . . فلم ينظفوا ولم يطعموا ولم يشربوا . !!

والأدهى من ذلك أنهم يجلسون في العراء . . عرضة للشمس والهواء . . ونظر العفريت إلى الغار فاذا هو على حاله من القذارة والفوضى . . وسأل العفريت أولاده عن هذه المرأة هل هي تصلح

أن تكون منيحة أم يجعلها ذبيحة.. وأجابه أولاده على سؤاله بصوت واحد.. انها لا تصلح إلا ذبيحة.!!

وعندئذ تقدم العفريت إلى المرأة.. وأخذها بيدها واخرجها من الغار.. ثم سل سكيناً حاداً كان يربطه في وسطه.. وألقى المرأة على الأرض دون أن تستطيع ممانعة أو دفاعاً.. وقطع رأسها وسلخ جلدها.. ثم شق بطنها واستخرج كبدها كي يطعم منها أولاده.. ثم نشر بقية اللحوم على صخور في وسط الغار لتجف.. وليأكلها هو وأولاده في الأيام المقبلة.

وأخفقت هذه المرأة.. حيث نجح غيرها.. ولقيت مصرعها الذي ساقتها إليه المطامع وبريق المال والجواهر والثراء.!! وهكذا يكون الطريق واحداً يسعد فيه قوم.. ويشقى فيه آخرون.. إنها ظروف الحياة.. وأساليب العاملين فيها.. وهذه عوامل مهمة في جلب الخير ودفع الضر.. في النجاح وفي الاخفاق.. في السعادة أو الشقاء..

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

٣ - عجوز الجده المتصابية ..

«رويت هذه السبحونة عن الأخ الصديق الأستاذ عمر بن سدحان كما رواها هو عن المرحوم عبدالرحمن السبيعي وقد كتبتها بأسلوبي الخاص» .

كانت الجدة في هذه الليلة فائقة رائقة . . فقد بلغتها أخبار سارة عن بعض أولادها البعيدين عنها . . فاستقبلت الأطفال بمرح يشبه مرح الشباب . . وقالت لهم انني سوف أقص عليكم في هذه الليلة سبحونة عجيبة . . واشتاق الأطفال إلى هذه السبحونة العجيبة . . واستحثوها في أن تسرع في الشروع فيها فاعتدلت الجدة في جلستها وقالت : ـ

هنا هاك الواحد والواحد الله في سـمـاه العالي وإلى هنا هاك الشاب الذي ضاق به الرزق في بلده فسافر إلى مدينة كبيرة بحثا عن لقمة العيش . . وبينما كان هذا الشاب في تلك المدينة . ضاق ذات يوم بالبلد لأنه لم يجد فيها عملاً . .

فخرج من قلب المدينة وصار يتجول في ضواحيها . . ومر

ببستان جميل في مكان يبعد عن البلد قليلا.. ودخله ليشرب من الماء ويرتاح في الظل ويملأ عينيه من الخضرة.. وعندما توغل في البستان.. رأى سبع فتيات مع سبعة فتيان يرقصون.. ويغنون على أنغام من الموسيقى لا يدري أين مصدرها..

وقرب الشاب من الشباب في خجل وحياء.. ولكن عجوزاً كانت جالسة بالقرب منهم تراقب حركاتهم... وتصدر إليهم بعض التعليمات ما بين وقت وآخر.. هذه العجوز رأت الشاب الذي قد أقبل إليهم.. وهو يمشي ببطء وتؤدة.. فقالت له العجوز مرحباً تفضل.. أقرب.. تعال الينا...

وتقدم الشاب اليهم حتى وقف بالقرب من العجوز فهشت في وجهه وبشت.. ثم قالت له انني أنا التي أدرب هؤلاء الشباب على الرقص.. ورقصت معه ورقص معها حتى تعب وهي لم تتعب.. وتضايق وهي لم تتضايق.. وأحرقت وجهه أنفاسها غير المرغوبة.. وصبر وتحمل آلاماً في سبيل أن تنتهي هذه الرقصة بسلام..

وبينما كان الشاب يعيش في هذا التقزز والامتعاض كانت العجوز في ذروة السعادة.. وغاية المرح والسرور وقد صار المثل العربي ينطبق عليهما أتم انطباق وهو «مصائب قوم عند قوم فوائد»..

وصبر الشاب وتجلد حتى انتهت الرقصة.. وأستأذن في أن

يذهب غير بعيد ثم يعود.. ولكنه مشى من عندهم ولم يعد إليهم.. وقد ترك المدينة وما حول المدينة خوفاً من أن تطارده هذه العجوز.. وخرج إلى البادية... وجاء إلى حي من أحياء العرب وصار أجيراً عندهم يرعى غنمهم...

وبينما كان هذا الشاب ذات يوم يرعى الغنم في واد من الوديان.. وإذا بالعجوز تأتي إليه.. وتقابله وجهاً لوجه.. وتعاتبه عتاباً رفيقاً.. فاعتذر إليها.. وقال لها انني شاب أريد أن أبني لنفسي مستقبلاً.. وأمامي زواج وتأسيس أسره.. ومسئولية عن أقارب وأولاد.. وقد خرجت إلى البادية لأعمل بأجر أحتفظ به لمستقبلي.. بينما لو عشت في المدينة لاكتسبت وأنفقت ما أكسبه في متطلبات المعيشة في المدينة..

فقبلت العجوز عذره.. وقالت له إنني أريدك أن تبقى معي وسوف أعطيك وأغنيك.. حتى لا تحتاج إلى عمل ولا إلى رعي ابل أو غنم.. فوعدها الشاب بما طلبت.. فقالت له العجوز هيا اذهب معي.. ودع هذه الغنم تروح إلى أهلها.!!

فقال الشاب كلا ان هذه أمانة لا بد من ردها على أصحابها فانتظري هنا تحت ظل هذه الشجرة حتى أؤدي الأمانة إلى أهلها ثم أعود إليك سريعاً.. فقالت العجوز ولكنني أخشى أن يمر بي ذئب فيأكلني في غيابك.. وأنت تعلم العداء المستحكم بيننا وبين الذئاب.!! فقال لها الشاب انني سوف أترك عندك الكلب ليحميك حتى أعود.. فالكلب سوف يذهب إلى أهله اذا تركناه..

ووافقت العجوز على هذا الحل.. وترك عندها الكلب.. وساق الغنم إلى مضارب الحي.. وسلم الغنم إلى أهلها.. وانقلب راجعاً.. مدفوعاً برغبة جامحة أمام تلك المغريات التي وعدته بها العجوز.. وبينما كان في طريقه الى العجوز.. وإذا بشيخ جليل يقابله معترضا طريقه ويسلم عليه.. ورد الشاب التحية بأحسن منها...

فقال الشيخ للشاب إلى أين أنت ذاهب.. فقال الشاب إن لي والدة تنتظرني في هذا الوادي وأنا ذاهب إليها فقال الشيخ إن العجوز التي أنت ذاهب إليها ليست والدتك ولكنها زوجتي.. وأنا أعلم بما وعدتك به.. ولكن عندي وعوداً لك.. هي أحسن من وعودها.. إن أنت خلصتني منها.. فقال الشاب وما هي وعودك أنت.. وبذل الشيخ من الوعود والمغريات ما أسال لعاب الشاب.. وأقنعه بالعدول عن وعودها إلى وعود الشيخ..

وقال الشاب للشيخ وماذا تريدمني أن أصنع؟! فقال ان كل ما أريده هو أن تقضي على هذه العجوز.. بأي طريقة تختارها لتخلصني منها.. فقد نكدت على معيشتي ونغصت على حياتي.. وقيدتني بقيود ثقيلة لا فكاك لي منها إلا بهلاكها.

فوعده الشاب بأن يحقق طلبه وأن يريحه من هذه العجوز التي خشي الشاب أن تذيقه ألوان العذاب اذا تعامل معها مثل ما أذاقت زوجها الشيخ الذي يشكو منها مر الشكوى.! واختفى الشيخ عن الشاب خوفاً من أن تراه العجوز وهو يماشيه.. وأعطى

الشاب قبل أن يفترقا كلمات مقطعة يقولها إذا أراد حضور الشيخ . .

ووصل الشاب إلى العجوز . . فوجدها في غاية القلق. فقد تأخر في الرجوع . . وذهب الكلب عنها . . وخافت أن يأتي إليها الذئب فيأكلها فتذهب ضحية حيوان صغير بينما هي ترى في نفسها أنها ملء سمع الزمان وبصره . !!

وأرادت العجوز أن تراقص الشاب . . ولكنه قال لها تعالي لنذهب إلى بئر هناك نبقى عندها ونشرب من مائها . . . ونستظل بظل شجرة كبيرة عندها . . فوافقت العجوز على رأي الشاب وذهبا حتى وصلا إلى تلك البئر وذهب الشاب والعجوز إلى ظل تلك الشجرة . . وقالت العجوز هل أنت مستعد للرقص فقال الشاب نعم . . وانبعثت موسيقى لطيفة من مكان لا يدري الشاب من أين هو . . . وأخذت العجوز ذلك الشاب في حضنها وصارت تراقصه على أنغام تلك الموسيقى . .

وكان بالقرب منهما بئر مهجورة وعميقة الغور فأخذ الشاب يقرب العجوز من هذه البئر شيئاً فشيئاً . . وهي في ذروة سعادتها لا تشعر بما يفعله الشاب . . وعندما قربا من حافة هذه البئر . . دفع الشاب بهذه العجوز إلى فوهته . . وجذب يديه من يديها وتركها تهوي إلى قاع البئر . . وانتظر فوق فوهة البئر يبكي وينوح . . ويتظاهر بالأسى والحزن . . على ما حدث وذلك خوفاً من أن تكون سلمت . . فيكون بهذا قد حفظ لنفسه خط الرجعة . . وهيأ



الشاب يراقص العجوز.. ثم يلقي بها في البئر

الوسائل للسلامة من عقابها الذي سوف يكون صارماً.. أو عتابها الذي سوف يكون قاسياً..

وانتظر الشاب فترة طويلة من الوقت حتى علم يقينا بأنها لقيت مصرعها.. وأنه استراح منها وأراح.!!

وسار الشاب حتى ابتعد عن تلك البئر.. ثم ردد تلك الطلاسم المقطعة التي أعطاها اياه ذلك الشيخ الذي اتفق معه.!!

وفي أسرع من لمح البصر وجد الشاب هذا الشيخ أمامه.. فأخبره الشاب بما صنع بالعجوز وأكد له أنها لقيت مصرعها في قاع ذلك البئر.. ففرح الشيخ فرحاً شديداً وتهلل وجهه بالسرور.. وقال للشاب خلصك الله من كل شر فقد خلصتني من مشكلة عويصة كنت أعيش فيها طيلة أيام حياتي الماضية.. فقد كنت أعيش في أسر هذه العجوز لا أستطيع الفكاك منها.. وكانت تطاردني في أي مكان أذهب إليه.. وأنا لا أستطيع أمامها إلا الاستسلام.!!

والآن حررتني من هذا القيد الثقيل الذي كنت أعاني منه وجعلتني أنطلق في الحياة كما أهوى.. ومكافأة لك على عملك هذا فانني سوف أجعلك تعيش كأسعد انسان على وجه الأرض..

وشكره الرجل على وعوده الطيبة..

ثم طار الجني بهذا الرجل إلى أقصى الشرق وعندما وصل إلى

مملكة عظيمة نزل بعاصمتها هو ورفيقه الانسي معه.. واستقرا في بيت من بيوت المدينة استأجراه.!!

وكان للسلطان ابنة هي وحيدته.. وهي شابة في مقتبل العمر.. رائعة الجمال.. فائقة الخلال.!! فداخلها ذلك الجنى وصرعها.. وجعلها تعيش في جنون مطبق.. الأمر الذي أقلق والدها وشغل باله وجيء لهذه الشابة بالأطباء والقراء والمشعوذين ولكن أحداً منهم لم يستطع أن يخرج هذا الجني منها.!!

وعندما كاد اليأس يتغلب على نفس السلطان أمر أن ينادى في البلد بأن أي شخص يستطيع علاج ابنته وشفاءها فانه سوف يزوجه اياها...

وسمع جميع سكان المدينة هذا النداء فلم يتقدم منهم أحد لعلاج هذه الشابة.. مع أن الثواب ثمين ومغر.. . وخرج الجني من الفتاة عندما نامت وجاء إلى صاحبه وقال اذهب إلى السلطان.. واطلب منه أن تقرأ على الفتاة.. وأنا عندما تقرأ عليها سوف أخرج منها.. وسوف تشفى بعد ذلك تماماً.. وسوف يزوجك منها.. فان لم يفعل عدت اليها..

وذهب الرجل إلى السلطان.. وعرض عليه أن يعالج ابنته فأدخل الشاب على الفتاة ونفث عليها عدة نفثات.. فخرج منها الجني.. وعادت الفتاة إلى حالتها الطبيعية.!!

وعلم السلطان بهذا النبأ السار ففرح به فرحاً شديداً كما

فرح كل فرد في الأسرة الحاكمة وفرحت المدينة بأجمعها فرحة بفرح السلطان.. ووفى السلطان بوعده وزوج الشاب من ابنته.. في احتفالات باهرة.. عمت جميع أحياء المدينة..

وبهذا صار الشاب الغريب كفرد من أفراد الأسرة الحاكمة.. بل صار هو الساعد الأيمن للسلطان في تدبير شئون مملكته. وأراد الجني أن يسافر.. ولكنه قبل سفره أخذ عهداً من هذا الإنسي بأن لا يضايقه مرة أخرى بمحاولة لاخراجه من فتاة أخرى.. وتعهد له الإنسي بذلك وافترق الصديقان.!!

وكبر السلطان وضعف عن تدبير شئون المملكة فكان زوج ابنته هو الذي يديرها.. ويسيرها حسب ما يرى من مصلحة البلاد.

ثم انتقل السلطان من دار الفناء إلى دار البقاء فانتقلت السلطنة منه إلى ابنته التي بايعها الشعب ورضي بها خليفة لأبيها ولكنها لا علم لها بتدبير المملكة.. إلا أنها إرادة الشعب.. وقبلت الفتاة تحمل هذه المسئولية مرغمة وبويعت.. وجلست على عرش السلطان.. فكانت هي واجهة السلطة أما تدبير الأمور وحل المشاكل ورسم السياسة العامة للبلد فالذي يقوم بها هو زوجها الذي يعتبر هو كل شيء في الدولة.. فما أراده كان.. وما لم يرده لم يكن.!!

واستمرت المملكة سائرة في طريقها هادئة أمورها.. مزدهرة

أحوالها..

وكان بجوار سلطنة هذه الفتاة سلطنة أقوى وأكبر من سلطنتهم وكان لهذه السلطنة الكبيرة سلطان قوي الشكيمة مرهوب الجانب وكان له أولاد عدة وبنات كثيرات.. وكانت أحب بناته إليه صغراهن التي قاربت سن البلوغ..

وفي ذات يوم جنت هذه الفتاة الصغيرة.. وأصابها جنون مطبق وجيء بالأطباء إليها من كل مكان فوقف الطب والأطباء عاجزين عن شفاء مرضها.. وجيء بالقراء والمشعوذين فكان مصيرهم الفشل..

وعلم السلطان من بعض جلسائه وحواشيه أن ابنة سلطان المملكة المجاورة لهم.. كان أصابها في يوم من الأيام مثل ما أصاب ابنته.. وقد فشل الأطباء والقراء والمشعوذون في انقاذها من الصرع.. وأخيراً جاء شاب غريب وقرأ عليها بعض الأوراد والتعاويذ فشفيت..

وسأل السلطان عن هذا الرجل الغريب.. فقيل له انه في المملكة المجاورة.. ولكنه الآن صار زوج سلطانة البلاد.وقد يترفع عن المجيء للقراءة على ابنة السلطان.!!

وبعث السلطان الى ذلك الرجل يدعوه لعلاج ابنته ويعده بكل خير ويمنحه مختلف الأماني.. ولكن الرجل في غنى عن هذه الوعود.. وهو ليس في حاجة إلى شيء من تلك الأماني.. فقد

تحقق له كلما يصبو إليه في الحياة.!!

ولهذا فان الرسل عندما جاءوا أكرموهم غاية الاكرام وألانوا لهم القول.. واعتذروا بأن الرجل هو الآن زوج السلطانة.. وهو لا يستطيع أن يغادر المملكة.. لأنه مشغول مع زوجته بتدبير شئونها.. وعاد الرسل بهذا الجواب الذي لم يرض سلطان المملكة المجاورة.. فاعيد الرسل مرة ثانية.. يدعون الرجل لعلاج ابنة السلطان ويلحون عليه في هذا الشأن.. فاعتذر أيضاً.!!

وعندما عاد الرسل إلى السلطان بتلك الأعذار الواهية في نظره.. أرسل الرسل للمرة الثالثة كما أمر بالنفير العام إلى حدود هذه المملكة.

وجاء الرسل إلى الرجل الغريب ومعهم كتاب التهديد والوعيد بأنه إذا لم يحضر لعلاج ابنة السلطان فانها الحرب التي لا مفر منها. وبلغت أخبار الحشود جميع سكان المملكة وعلموا أنهم أمام قوة لا قبل لهم بها.. والسلطان الذي يهددهم قوي جبار عنيد.. وهو منفذ لوعيده لا محالة.. اذا لم يحقق طلبه..

واجتمع المجلس الاستشاري ووضعت السلطانة هذه المشكلة على بساط البحث والمناقشة واختيار الرأي الأصوب.. وبعد نقاش طويل أخذ ورد استقر رأي الجميع على أن يذهب زوج السلطانة وأن يخلص في هذه القراءة لعل المريضة تشفى فيكون ذلك يداً لهم عند هذا الجار القوي الجبار.. الذي لا تؤمن

بدواته في أي وقت من الأوقات..!!

ولم يسع زوج السلطانة إلا تنفيذ هذا الرأي المتفق عليه وأجيب رسل سلطان المملكة المجاورة بالموافقة على سفر الرجل الغريب.. وزوج السلطانة حالياً..

وسافر الرجل مع الوفد وهو يعلم أن الذي صرع ابنة السلطان هو صاحبه الذي عاهده بأن لا يستعمل رقاه وتعاويذه ضد الذي علمه هذه الرقى.. ولكنه مضطر... وهو مدفوع إلى هذا العمل بغير ارادته. ولا بد من اخراج هذا الجني من ابنة السلطان ليأمنوا بذلك شره ويغنموا السلامة منه..

وفكر الرجل الغريب في الأمر وهو في الطريق وبحث عن مخرج من هذا المأزق.. قبل أن يلقى أحدهما صاحبه...

ووصل الوفد ومعه الرجل الغريب الذي سوف يقرأ على ابنة السلطان.. وفرح السلطان بقدومه وفرحت الأسرة الحاكمة بأجمعها.. وأنزل الضيف العزيز في قصر الضيافة وأكرم غاية الاكرام وأعد للأميرة غرفة خاصة وجيء بالرجل الغريب إليها.. وتقابل الرجل الغريب مع ولي نعمته.. وقد أعد العدة للخروج من هذه الورطة.. وعندما رأى الجني صاحبه.. قال له معاتبا.. ألم نتعاهد أنا وإياك على أن تكتفي بما وصلت إليه من نعمة ومجد ورفعة.. وأن لا تتبعني بعد ذلك؟!

فقال الإنسي لصاحبه.. يا سيدي إنني لم آت هنا لأخرجك

مما أنت فيه أو لأكدر سعادة أنت تتمتع بها.. وإنما جئت لأمر هام يتعلق بمستقبلك.. ويتعلق براحتك وقد تجشمت مشاق السفر وفراق الأهل والولد كل ذلك في سبيل خدمتك ورد شيء من الجميل الذي أسديته إلي.!!

فقال الجني وما هو الأمر الذي جئت من أجله إذاً.؟! فقال الإنسي لقد بلغتني الأخبار أن العجوز التي كنا رميناها في البئر لم تمت وأنها خرجت من البئر.. وصارت تسير في البلاد وتسأل عنك..

وأخيراً علمت أنها وصلت إلى المدينة التي أنا فيها.. وذهبت بنفسي.. فرأيت العجوز بعينها وسنها.. وقد عرفتها وهي لم تعرفني.. وسمعتها تسأل عنك من حولها.. وتسميك بأسمك.. وتقول انه زوجي.. وقد فقدته منذ بضع سنوات وأنا أبحث عنه في هذه البلاد فقد علمت من بعض الثقات انه يعيش في هذه البلاد أو ما يجاورها.!!

وعندما سمعت منها هذا الكلام علمت أنها سوف تصل إليك غداً أو بعد غد.. ولهذا فقد أسرعت إليك لتعلم حقيقة الأمر.. ولتعمل احتياطاتك اللازمة للنجاة من هذه العجوز الشريرة.!!

وسمع الجني هذا الكلام وشكر صاحبه على غيرته وحبه ونصحه.. وقال لقد أسديت إلي يداً بيضاء سوف أحتفظ بها لك

مدى عمري وعمرك.!!

وأنا الآن أودعك.. فسوف أترك الشرق كله لهذه العجوز الحيزبون.. وسوف أتجه إلى الغرب فاكتم أخباري عن أي أحد.!!

ووعده صاحبه بالكتمان.. وخرج الجني من ابنة السلطان بهذه الحيلة البارعة.. وشفيت الشابة من جنونها المطبق وخرجت إلى أهلها وهي تتمتع بكامل قواها العقلية..

وفرح السلطان وفرحت الأسرة الحاكمة وفرح الشعب كله لفرح الأسرة الكريمة.!!
وعاد الرجل الغريب إلى زوجته ومملكته بعد أن أخذ عهوداً وثيقة من والد الفتاة التي شفيت على يده بأن يرعى حق الجوار.. وأن يكون عوناً لجارته المملكة الصغيرة ضد أي اعتداء يقع عليها في قادم الأيام.!!

واستقبل زوج السلطانة استقبالاً حافلاً.. فقد كان محبوباً من الأسرة الحاكمة.. كما أنه محبوب من الشعب بجميع أفراده وطبقاته..

وعاش الجميع في سبات ونبات.. إلى أن جاءهم هادم اللذات ومفرق الجماعات.
وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

سالفة

٤ - احفر لأربعة !!

«رويت هذه السالفة عن الأخ الصديق الأستاذ عبد الكريم المطوع وكتبتها بأسلوبي الخاص».

قالت الجدة عندما اجتمع عندها الأطفال انني سوف أقص عليكم في هذه الليلة سالفة تتعلق بالشرف وكيف يندفع من أهين في شرفه إلى تصرفات قاسية عنيفة قد تذهب حياته ثمنا لها..

فقال الأطفال نعم قصي علينا هذه السالفة.

فاعتدلت الجدة في جلستها وشرعت في سالفتها قائلة:- هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك البدوي الذي قد جاء ببعض مواشيه إلى المدينة المنورة ليبيعها فيها ويشتري بثمنها قوتا وكسوة له ولعياله وباع هذا البدوي جميع مواشيه.. ما عدا خروف واحد بقي معه لأنه طيب وهو يريد فيه ثمنا طيبا..

وبينما كان في السوق جاء إليه رجل.. ودفع إليه في خروفه ثمنا أكثر مما طلب.. ولكنه اشترط عليه أن يذبحه وأن يسلخه وأن يهيء لحمه للطبخ.. ووعده الحضري بأجر مغر مقابل عمله هذا ففرح البدوي بهذا العرض وقاد الخروف مع مشتريه.. حتى أدخله في أحد البيوت..

وأشار إلى البدوي بأن يذبح الخروف في وسط البيت.. ففعل الأعرابي ما قيل له وذبح الخروف وسلخه وقطع لحمه وأعطاه جارية مملوكه.. كانت قد هيأت أواني الطبخ.. أما الرجل الذي اشترى الخروف.. فانه صعد إلى الطابق الأعلى من المنزل.. وقال للأعرابي اذا انهيت عملك فنادني لأعطيك ثمن خروفك وأجرة الذبح والسلخ.!!

وعندما انتهى الأعرابي من عمله.. وهم بأن ينادي المشتري ليعطيه ما اتفقا عليه.. وإذا بيد قوية تفتح باب الدار.. واذا برجل يدخل.. ومعه سيف مسلول من قرابه.. وقال صاحب السيف للأعرابي آمراً احفر لأربعة.. ولم يفهم الأعرابي شيئاً مما أراده صاحب السيف.. وانما وقف مشدوها فاغراً فاه لا يدري من الأمر شيئاً.!!

وصعد صاحب السيف المسلول إلى الطابق العلوي الذي صعد إليه مشتري الخروف.. ولم يكن في استطاعة الأعرابي أن يهرب لأنه لم يقبض ثمن خروفه.. ولم يقبض أجره على سلخه وتقطيعه.. ولهذا فقد بقي منتظراً ما سوف يحدث.. ولم يشعر

الأعرابي في أثناء انتظاره الا برأس رجل مقطوع يسيل الدم على جوانبه يتدحرج عليه من الدرجة. !!

وانتظر قليلاً.. واذا برأس آخر مقطوع يتدحرج عليه أيضاً.. واذا هو رأس امرأة..

وعندما استقرت الرؤوس في أسفل البيت.. نزل الرجل صاحب السيف وهو يجر كل واحد من القتيلين برجله.. وألقى صاحب السيف بالجثتين أمام الأعرابي وأعاد قوله السابق احفر لأربعة.. ولكن الأعرابي جمد في مكانه لا يستطيع حراكاً..

وفي هذه الأثناء انطلق صاحب السيف إلى المطبخ حيث توجد الجارية فضرب رأسها بالسيف وقطعه.. وجاء بالرأس والجثة إلى الأعرابي وألقاهما مع الجثتين السابقتين وكرر القول على الأعرابي بأن يحفر لأربعة. !!

ولم يفهم الأعرابي شيئاً مما أمر به.. ولا عرف شيئاً من الأسرار التي تختفي وراء ما حدث. !! ولو كان له مهرب لهرب.. ولترك الخروف وثمنه.. وتكاليف ذبحه ولكنه لا مهرب له فقد أقفل صاحب السيف الباب وأخذ المفتاح معه.. ثم كيف يهرب.. أو لماذا يهرب. ؟!

هل هو مجرم.. هل هو مذنب.. لا شيء من ذلك واذاً فلماذا الهرب.. وتجلد الأعرابي وصبر.. واقفا في مكانه كالتمثال منتظراً الفرج. !!



الزوج يخاطب الأعرابي.. ويشرح له قصته

أما صاحب السيف فانه ذهب إلى المطبخ وجعل يأكل من لحم الخروف ويشرب من مرقه حتى شبع وروي.. وهدأت أعصابه بعض الشيء.. وبعد ذلك جاء إلى الأعرابي وهو لا يزال متجمداً في مكانه لم يحفر لأربعة.. ومن هو الرابع؟! إنه الأعرابي نفسه.. واذاً فكيف يحفر لنفسه ليدفن في تلك الحفرة.؟!

ورأى صاحب السيف آثار الدهشة والخوف والرهبة في وجه الأعرابي. كما علم صاحب السيف أن الأعرابي سليم النية. نقي الطوية لا يعرف شيئاً عن الرجل المقتول.. ولا عن المرأتين الخائنتين.. ولذلك فقد رأى صاحب السيف أن لا يمس هذا الأعرابي بسوء.. وإنما عليه أن يشرح الأسباب والمسببات لتلك الأحداث التي جرت أمام سمعه وبصره.!!

ودعا صاحب السيف الأعرابي فجاء إليه.. وطلب منه الجلوس فجلس.. وقال الحضري للبدوي.. لقد كنت أريد قتلك.. فأنت رابع الأربعة.. ولكنني فكرت أخيراً في أنه لا ذنب لك.. وأنك لا تدري بما كان يجري حولك في البيت.. كما أن هدفك الوحيد هو بيع خروفك وأخذ ثمنه.. وأخذ أجرك على ذبح الخروف وسلخه.. فقال الأعرابي إن هذا هو كل مرادي وأنا حقيقة لا أدري بما يجري حولي.!!

فقال الحضري انني سوف أقص عليك قصتي مع هؤلاء الخونة الأنذال.. ولكن عليك أن تكتم الخبر وأن لا تذيع شيئاً مما

رأيت أو سمعت.. وأنا لن أتركك تخرج من هنا حتى تعاهدني على الكتمان.. فعاهده الأعرابي على كتمان الأمر كتماناً تاماً.. وأقسم له بأغلظ الأيمان بأن يفي بهذا العهد.. ولكن على شرط فقال الحضري وما هو الشرط.؟!

فقال الأعرابي انه اعطاني حقي الذي لم آخذ منه شيئاً فأنا أريد ثمن الخروف الذي اتفقنا عليه وأريد أجر ذبحه وسلخه..

وسأل الحضري صاحب الخروف عن ثمنه وعن أتعابه فأخبره بذلك فنقد له الحضري ذلك بالوفاء والتمام ثم قال له اجلس الآن لأقص عليك قصة الدوافع والأسباب لما حدث.. فلا شك أنك الآن قد اتهمتني بالقسوة أو الوحشية.. أو غلظ القلب.. أو فقدان العواطف الانسانية..

ولهذا فانني أريد أن أقص عليك قصتي.. وأشرح لك اسبابها.. وبعد ذلك لمني أو فدع..

وجلس الأعرابي أمامه وقد هدأت أعصابه وزايله الخوف الذي كان يسيطر على كل حاسة من حواسه وشرع الحضري في سرد قصته المثيرة فقال: -

إن المرأة التي كانت مع الرجل ابنة عمي.. وقد كانت تزوجت ثم طلقت.. وقد تزوجتها بعد زواجها الأول الفاشل لأنها من لحمي ودمي.. وهي من محارمي التي يجب علي أن أحميها وأن أرعى حقوقها.. وأن أصون شرفها وسمعتها.!!

وقد عشت مع ابنة عمي هذه بعض الوقت لم ألاحظ عليها أي شيء يمس شرفها.. وكنت رجلاً تاجراً كثير الأسفار في شئون تجارتي.. ولم أدر في يوم من الأيام إلا بكتاب يصل إلي.. وعندما فتحته.. وجدته بدون توقيع.. وقرأته فاذا هو يتعلق بزوجتي وسلوكها.. واذا هذا الخطاب يتهم زوجتي بالخيانة.. وينصحني بأن أتدبر أمري.. وأن أتصرف تجاه هذا الأمر تصرفاً حكيما لا يثير ضجة.. ولا يسبب فضيحة.. وألح علي الخطاب بأن أضبط أعصابي لأن الأمر يحتاج إلى تعقل وتريث وتفكير طويل..

وتعكر مزاجي من هذه الأخبار السيئة وحاولت أن أضبط أعصابي.. وأن أظهر أمام ابنة عمي طبيعيا حتى أفكر في أمري وأهتدي إلى طريقة أخرج بها من هذه المشكلة مخرجاً مستوراً شريفاً.. ولكن كيف أستطيع أن أسيطر على مشاعري.. إن النار تلتهب في داخلي.. وكلما حاولت أن أتناسى ما قيل عن ابنة عمي.. عاد فتجددت جذوته.. وتعاظم أواره..

ومع هذا العذاب المتواصل فأنا لا أزال أبدو أمام ابنه عمي طبيعياً في جميع تصرفاتي..

أما في أعمالي.. أما في تجارتي أما في نومي.. أما في أكلي وشربي وتفكيري.. فقد اضطرب هذا كله.. وصرت في حالة من الارتباك والفوضى.. والقلق لا يكاد يحيط بها الوصف وكلما حاولت أن أطفىء هذه النار ازداد لهبها وامتدت إلى ما حولها أكثر من ذي قبل..

وحاولت أن اقنع نفسبى بأن هذا الخطاب قد يكون من حاسد لي على وفاقي مع إبنة عمي . . وقد يكون من حاسدة لابنة عمي على وفاقها معي . . ولكنني لم أستطع أن أقنع نفسي بهذا الرأي . . وبقيت في حيرة من أمري . .

وصرت أدور في حلقة مفرغة من الهواجس والافكار التي لا أصل بها إلى نتيجة حاسمة أطمئن إليها . . وأسعى لتحقيقها . . وأجعلها هدفاً أسعى للوصول إليه . !!

وضقت بالمدينة التي أعيش فيها وضقت بأهلها . . وخرجت ذات يوم أهيم على وجهي في ضواحي المدينة مهموماً مغموما أفكر في أمري وأمر ابنة عمي . . التي أرى لي عليها من الحقوق ما لا أرى لغيرها . . فكيف إذا ثبت أنها تخونني . . إن هذا أمر لا أكاد أتصور وقوعه . . وإذا وقع فإنها الاساءة تأتيك من حيث تنتظر الاحسان . . والعقوبة تأتيك من حيث تنتظر البر . . والشر يأتيك من حيث تنتظر الخير . !!

واندفعت في هذه الأفكار السوداء، التي لا تؤدي إلى نتيجة وحاولت أن أصرف تفكيري إلى أمر مجد . . وهو البحث عن طريقة أكتشف بها جلية الأمر . . وأعرف بها مدى صحة ما نسب إلى إبنة عمي . .

ورأيت أن خير طريقة هي أن أتظاهر بالسفر إلى بلدة بعيدة وأن أخبر إبنة عمي بأن غيابي قد يمتد إلى عدة أيام لأن مهمتي تتطلب التريث . !!

وأعددت عدة السفر.. وغادرت منزلي مساءاً وجئت إلى بعض أصدقائي في المدينة فنمت عنده..

وكان الذي كتب لي خطاب الخيانة قد وصف لي بتفصيل صفة الرجل.. والأوقات التي يأتي فيها إلى بيتي..

ولهذا فقد قمت في الصباح الباكر في اليوم التالي.. وصرت أراقب هذا الرجل.. وأتتبع حركاته وسكناته.!!

ورأيته عندما خرج من بيته.. ثم جاء إلى السوق وساومك في خروفك.. وبعته عليه.. ومشيت به معه إلى بيتي ودق الباب ففتحت له زوجتي وإبنة عمي ودخلت أنت وهو ومعكما الخروف.. وعندما رأيت ذلك كله لم يبق عندي أي شك في صدق كلما أخبرت، به في ذلك الخطاب المشئوم الذي هدم بيتي وقصم ظهري وشتت أسرتي.!!

وبعد أن رأيت ما رأيت ذهبت إلى صديق أعرف بأنه يملك أنواعاً من الأسلحة الحقيقية.. فأخذت منه هذا السيف الذي تراه بين يدي.. وسألني صاحبي.. صاحب الأسلحة عما أريد بهذا السيف فراوغت في الجواب ولم أخبره بحقيقة الأمر.. لأن ذلك يمس سمعتي وسمعة أسرتي ويسيء إلينا في الحاضر والمستقبل.!!

ثم وقع ما رأيته بعينيك.!!

وكان الاعرابي في هذه الأثناء ينصت إلى صاحب البيت وكأنه في حلم مزعج.. وقد امتزجت في نفسه مشاعر الخوف والغضب

والعجب مما سمع.. ومما رأى.!!

وتابع صاحب البيت حديثه قائلاً: ـ
لقد قتلت الرجل المعتدي على شرفي.. وقتلت زوجتي الخائنة الغادرة التي دنست شرفي/وأباحت فراشي لشخص غريب..
أما الثالثة فهي الجارية التي أملكها والتي كانت متواطئة معهما..
فإن هذه الأمور تحدث في بيتي ولم تحاول أن تنبهني إلى ما يحدث..
ولذلك فهي تعتبر راضية بما حدث والراضي كالفاعل..

لهذا فقد قررت أن يكون مصيرها كمصيرهما.. ولكنني في نيتي أن ألحقك بهم فتكون أنت رابعهم.. ولكنني فكرت أخيراً فإذا أنت لا تعرف شيئاً عما يجري حولك.. وقد دخلت في هذا البيت وقمت بعملك بسلامة نية.. وحسن طوية.!!

ولهذا فإنني أطلق سراحك لتذهب إلى حيث تشاء ولكن على شرط.!!

فقال الاعرابي وما هو الشرط.؟!
فقال صاحب البيت إنه أن تكتم هذا الخبر فلا تتحدث عنه بحديث.. ولا تشير إليه بإشارة ما دمت في هذه المدينة.. فإذا خرجت منها وأردت أن تتحدث عنه بين أهلك وعشيرتك على أنه حدث منذ أزمان بعيدة فلا مانع عندي من ذلك..

فقال الاعرابي إنني أعدك.. بل أعاهدك على أن لا أتحدث عن هذا الأمر ما دمت في مدينتك.. وسوف لا أتحدث عنه إلا بعد

خروجي وعلى أساس أنه حادث قديم لا يتصل بأسرة معروفة معاصرة. !!

وبعد هذا الوعد والعهد. . أعطى التاجر هذا الاعرابي مبلغاً من المال كتعويض له عما أصابه من خوف وذعر. . وعما كان عرضه له من قتل وتغذيب. !!

وحملت وكملت وفي أصبيع الصغير دملت. !!

٤ ـ قاضٍ متشدد.. وشاهد ذكي.!!

كان لأحدهم بستان من النخيل. . وأراد أن يأخذ به وثيقة شرعية. . فذهب بشاهدين الى أحد القضاة يشهدان أن هذا البستان بما فيه من نخيل وأشجار ملك لفلان ابن فلان الماثل أمام القاضي. وسأل القاضي أول الشاهدين قائلا :ـ
هل تشهد أن هذا البستان لفلان فقال الشاهد نعم أشهد بذلك. !!
فقال القاضي كم في هذا البستان من نخلة. . وفكر الشاهد قليلا ثم قال للقاضي :ـ كم لمولانا القاضي من سنة يحكم في هذا الديوان. ؟

فقال القاضي عشرون سنة. .
فقال الشاهد كم في سقفه من خشبة. ؟!
فقال القاضي أعفنا من سؤالك. . وقد قبلنا شهادتك. !

سبحونة

٥ - محمد وزوجته العاقر

قال أحد الأطفال لجدته قصي علينا سبحونة محمد وزوجته العاقر فقالت الجدة حباً وكرامة: -

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الذي اسمه محمد.. والاه متزوج بهاك الزوجة التي يحبها كما أنها تحبه.. وقد كان كل منهما سعيداً بذلك الزواج.. ومنسجماً مع شريك حياته.!!

ومضت على الزوجين سنة وسنتان وثلاث.. لم يرزقا فيها أولاداً... ولم يريا ثمرة لهذا الزواج.. بينما كان كل واحد منهما ينتظر أولاداً.. ليشعر أنه منتج لا عقيم.!!

ولكن انتظار الزوجين طال.. وبقيت وحشة الهدوء

والسكون تسود البيت.. وتقلق سكانه.. وتثير وساوسهم.. وأوهامهم.. وكانت الزوجة بالذات هي التي تحمل العبء الأكبر من هذه الهموم.. لأنها تخشى أن يعتقد زوجها في يوم من الأيام أن العقم منها فيطلقها ويتزوج غيرها.. ولهذا فقد ذهبت إلى عدة من الأطباء لعلاج نفسها من العقم.. إلا أن تلك الأدوية لم تفدها ولم تر لها أي أثر.!!

وازداد قلق الزوجين.. إلا أن قلق الزوجة كان أشد وأنكا.. وفي ليلة من الليالي.. قامت الزوجة من مرقدها في الثلث الأخير من الليل.. وتوضأت فأحسنت الوضوء ثم صلت ركعتين خالصتين لربها.. ثم أردفتها بدعوات حرى.. تصحبها التضرعات.. والابتهالات.. في أن يرزقها الله مولوداً.. حتى ولو كان حيواناً.. بكرة.. أو قعوداً..

وعندما انتهت المرأة من الصلوات والدعوات أحست براحة واطمئنان.. وشعرت في قرارة نفسها بأن دعواتها قد استجيبت.. فنامت تلك اللية هادئة البال قريرة العين.!!

ومضت على هذه الصلاة والدعوات عدة شهور أحست بعدها المرأة بأعراض الحمل.. ففرحت فرحاً شديداً وذهبت إلى زوجها مسرعة فزفت إليه البشرى الساره بأنها تشعر بأعراض الحمل.. ففرح زوجها واستقبل النبأ ببهجة وحبور لا مزيد عليهما.!!

وذهبت المرأة إلى الطبيب ليكشف عليها.. وليتأكد من وجود

الحمل.. فأكد لها الطبيب بأنها حبلى.!! وأعطاها بعض الأدوية والمقويات التي تساعد الأم وتقويها.. وتزيد من نمو الطفل وحيويته.!!

وأكدت الزوجة لزوجها وجود الحمل.. وبدأ الزوجان يعدان العدة للمولود الجديد.. ويهيئان الجو الصالح له.. والملابس التي تلائم جسمه.!!

وحان موعد الوضع.. وبدت على المرأة أمارات المخاض فذهب الزوج إلى إحدى قريباته.. وطلب منها أن تكون بالقرب من زوجته لمساعدتها في أثناء الوضع.!!

وبقي محمد منتظراً البشرى السارة بالمولود الجديد.. إنه يريده مولوداً ذكراً.. وزوجته لاتقل عنه رغبة في أن يكون المولود ذكراً.!!

وخرج المولود من بطن أمه بعد متاعب جمة من الآلام... وانتظار طويل من الأب.. وإذا هو غير إنسان بل هو حيوان.. إنه بكرة صغيرة جميلة.!! إلا أن ولادتها كانت مخيبة للآمال.. مثيرة للهموم والبلابل.!!

وأخبر الوالد بهذا الخبر فكان وقعه السيء على نفسه شديداً ولكنه أمر الله وتقديره.!! ولا مفر من حكم الله وقدره.!! وندمت المرأة أشد الندم.. وتذكرت تلك الدعوات التي دعتها بأن يرزقها الله مولوداً ولو بكرة أو قعوداً.!!

ندمت أشد الندم على تلك الدعوات التي صادفت باباً مفتوحاً فقبلت وكانت ثمرتها هذه البكرة التي بين يديها.. وكانت هذه البكرة لطيفة جميلة فسماها والداها جميلة.!!

وشبت جميلة وكبرت وهي تلقى كثيراً من العطف والشفقة والرعاية.. من والدتها.. وقد شغلت هذه البكرة فراغاً كبيراً في نفوس والديها وأقاربها وملأت البيت حركة.. وحياة وضجيجاً.. وهذا ماكان يريده الوالدان ويتوقان إليه منذ زمان بعيد.!!

وكبرت البكرة فكانت شابة مرحة لطيفة.. محبوبة من كل من رآها وفي ذات يوم أصاب البلد مطر قوي سالت على أثره الشعاب والوديان.. فاجتمع فتيات الحي وأزمعن القيام بنزهة في إحدى الشعاب القريبة من البلدة.!!

وتذكر الفتيات البكرة جميلة فذهبن إلى أمها وطلبن منها أن تسمح لابنتها جميلة بأن تخرج معهن في تلك النزهة البريئة المسلية.. فوافقت المرأة.. وذهبت جميلة مع الفتيات إلى واد خصيب بجوار القرية.!!

ولعب الفتيات.. وركضن في جوانب ذلك الوادي.. وتراشقن بالتراب الندي.. وتسابقن إلى بعض الغدران يغسلن فيها أيديهن.. ويمشين في جوانبها الضحله.. ويدعكن أقدامهن بترابها ليزيل عنها ما علق بها من أوساخ.!!

وقالت إحدى الفتيات لصويحباتها.. إنه ليس من اللائق أن

تعود كل واحدة منا إلى أهلها.. وهي صفر اليدين بل علينا أن ننتهز هذه الفرصة فتجمع كل واحدة منا حزمة من الحطب ليستفيد منها أهلها.. واقتنع الفتيات بهذا الرأي وتفرقن في الوادي يجمعن الحطب.. وجمعت كل واحدة منهن حزمة من الحطب الممتاز المتين الأعواد.!!

وبقيت الناقة جميلة وليس معها حطب.. ولن تحمل إلى أهلها حزمة من الوقود كما تحمل زميلاتها وقالت إحدى الفتيات إنه لا يليق بنا أن نترك جميلة وليس معها شيء من الحطب... بل لا بد من أن نجمع لها حزمة منه أو نعطيها مما معنا.. وجمع الفتيات لجميلة من أردأ الحطب وأقله نفعاً.. ووضعوه بالقرب منها.!!

وعندما انتهى الفتيات من اللعب.! وجمع الحطب.! كان لديهن متسع من الوقت يردن أن يقضينه في تسليات بريئة.. ليتمتعن بذلك الجو الصحي اللطيف أطول مدة ممكنة.. وليتحررن من قيود المنزل وأعماله.. وأوامر الأهل.. وتوبيخاتهم.!!

واقترحت إحدى الفتيات.. أن يذهبن إلى غدير عميق في إحدى منحيات الوادي فيسبحن فيه.. ويغسلن ملابسهن.. فوافق الفتيات كلهن ما عدا جميلة فإنها هزت رأسها بعدم الموافقة.!!

فانطلق الفتيات إلى ذلك الغدير يتسابقن.. وتركن البكرة جميلة في مكانهن الأول.. وعندما اختفى الفتيات عن جميلة خلعت

عنها جلد الناقة.. فبدت فتاة جميلة رشيقة باهرة القوام.. وانطلقت جميلة إلى جوانب الوادي تجمع منه حطباً لأهلها.. مثل الحطب الذي جمعته الفتيات.!!

وكان من الصدف الغريبة أن يمر شاب يبحث عن الصيد في ذلك الوقت.. ورأى جميلة وهي تخلع عنها جلد الناقة.. ثم رآها فتاة سوية رشيقة باهرة الجمال.. فوقف في مكانه لا يستطيع حراكاً.. ثم صار يراقب الفتاة وهي تجمع الحطب.. ثم تأتي به إلى المكان الذي سوف يجتمع فيه الفتيات فتحزمه.. ثم تعود إلى ما كانت عليه فتلبس جلد الناقة.. وتبقى منتظرة رجوع زميلاتها.!!

ورأى الفتى أمراً عجيباً غريباً.. لم ير مثله في حياته ولم يسمع عن حدوث مثله قديماً ولا حديثاً.. ولهذا فقد ترك البحث عن الصيد وبقي في مكانه.. ليرى ماذا يحدث من الغرائب والمفاجآت المثيرة.!!

وعاد الفتيات إلى مكانهن المعهود بعد أن شبعن من السباحة والسباق والعبث البريء.. وكان الوقت قد حان.. لعودتهن إلى أهلهن.. فجمعن الحطب كله ووضعنه على ظهر جميلة.!!

ورأى الشاب ما يصنع الفتيات مع جميله.. فانطلق إليهن مسرعاً.. وقال لهن أنزلن الحطب من فوق ظهر الناقة ولتحمل كل واحدة منكن حزمتها.. ولا تحملن هذه المسكينة فوق طاقتها.. فيكفيها أن تحمل حزمتها..



الشاب يأمر الفتيات بإنزال الحطب من فوق ظهر البكره

وغضب الفتيات على الشاب وقلن له مالك ولنا إنها ناقتنا ونحن نتصرف بها كما نشاء؟؟ فقال الشاب إنها ليست ناقتكم بل هي زميلتكم.. ولا بد من احترامها وإكرامها.. وأخذ الشاب ينزل الحطب من فوق ظهر جميلة حزمة حزمة.. حتى إنتهى من ذلك ثم حمل حزمة جميلة فوضعها على ظهرها.. وقال للفتيات الأخريات.. كل واحدة منكن يجب عليها أن تحمل حزمتها من الحطب بنفسها!!

ورضخ الفتيات لهذا الأمر وحملت كل واحدة منهن حزمتها وتوجه الجميع إلى المدينة.. وقال الفتى للفتيات إياكن أن تحاولن إعادة الحطب إلى ظهر جميلة فإني سوف أراقبكن أثناء الطريق وسار الفتيات في طريقهن والفتى يراقبهن حتى وصلن إلى البلد وتفرقن إلى بيوت أهلهن.. وذهبت جميلة إلى بيت أهلها وحزمة الحطب فوق ظهرها.. والفتى يراقبها.. فعرف البيت الذي دخلت فيه.. وعرف أهلها!!

وعندما دخلت جميلة على أمها فرحت بها فرحاً شديداً... فقد إشتاقت إليها وأحست بالفراغ الكبير الذي كانت تشغله.. وأنزلت الحطب من فوق ظهرها ونظفتها مما علق بها من غبار أو أعواد.. وقدمت لها طعامها الذي كانت أعدته لها في غيابها.!

أما ما كان من الفتى فقد ذهب إلى أمه وباله مشغول.. وقلبه معلق بجميلة.. وقال لأمه ياأماه هل تعرفين أهل البيت الفلاني فقالت له والدته نعم.. ثم أراد الشاب أن يخبر والدته بما رأى...

وبما أحس به وما يريده.. ولكنه خجل وتلعثم.. وغمغم في كلامه.. ولم يستطع الإبانة.!

فقالت له أمه متحدثة عن أهل هذا البيت لتفتح المجال لإبنها في التحدث بما يريد.. قالت الوالدة:

إن لأهل البيت مولودة غريبة ليست من البشر ولكنها ناقة.. ويقال إن والدتها كانت عقيماً فدعت الله في وقت من أوقات الإجابة بأن يرزقها الله مولوداً..ولو بكرة أو قعوداً.. فوافقت دعوتها باباً مفتوحاً من أبواب السماء فقبلت وولدت بكرة صارت حديث الناس في مجالسهم.. وموضع عجبهم وتعجبهم!!

وعندما سمع الشاب كلام أمه كان قد عزم على الإفصاح برغبته لأمه.. فقال لها يا أماه إني أريد أن تخطبي لي هذه البكرة من أهلها فأنا أريد أن أتزوجها!

فتعجبت أمه من كلامه.. وقالت له وهل تتزوج ناقة... فقال الشاب لأمه.. إنها ليست ناقة.. ولكنها امرأة سوية جميلة على أسمها.. وقد كنت رأيتها مع فتيات البلد حينما خرجن إلى الوادي.. ورأيت كيف خلعت جلد الناقة فبدت فتاة رشيقة جميلة.. لا يقاربها في جمالها أي فتاة من فتيات الحي.. ولهذا فقد وقعت من قلبي موقعاً طيباً فأنا أريدها زوجة لي؟!

فقالت له والدته.. يا ولدي إنها ناقة.. وإنني أخشى أن يكون خدعك نظرك.. فرأيت خيالاً لا حقيقة.. وأبصرت أوهاماً

لا إنساناً.. فإذا ذهبت وخطبت ناقة ليتزوجها إبني فماذا يقول أهلها عنا وماذا يقول الناس بعدهم.؟!

فقال الشاب لأمه لقد رأيت حقيقة لا خيالاً. وأنا لا تهمني أحاديث الناس.. وإنما أريد ما أحب وأهوى.. وإذا لم تسعي يا والدتي العزيزة في خطبتها لي.. وزواجي بها فإنني سوف أبقى طيلة أيام حياتي بلا زواج.. وسأبقى حزيناً كئيباً إلى أن يدركني الموت فأرحل عن هذه الحياة غير مأسوف عليها!!

فكانت والدة هذا الشاب الذي إسمه محمد تعرفه وتعرف أخلاقه فهو إذا قال لا لا يمكن أن يقول نعم.. وإذا صمم على أمر فلا يمكن أن يحيد عنه قيد أنملة.. ولهذا فقد إقتنعت والدته مرغمة بكلامه.. وذهبت إلى أم الناقة.. واخبرتها بما قال لها ولدها.. وأنها جاءت تخطبها!!

وكانت جميلة تفهم الكلام وتنفذ ما تؤمر به إلا أنها لا تتكلم وأمها لا تعرف أنها فتاة جميلة على إسمها.. ولهذا فقد فرحت عندما سمعت كلام أم محمد.. فرحت أولاً لأن إبنتها مخطوبة مرغوبة..! وفرحت ثانية لأن ابنتها من البشر.

وذهبت أم جميلة مسرعة إلى زوجها.. وهي فرحة مستبشرة وأخبرته بخبر أم محمد وخطبتها لإبنتها جميلة!! ففرح الوالد أيضاً فرحاً شديداً.. واتفق الوالدان على كل شيء وذهبت أم جميلة إلى أم محمد فقالت لها إننا نقبل هذه الخطبة ونقبل تزويج جميلة بمحمد.. ولكن على شرط؟!

فقالت والدة محمد وما هذا الشرط .؟ فقالت إنه بقاء جميلة بالقرب منا وأن نراها كل يوم ونطمئن على صحتها وعلى راحتها!!

وذهبت أم محمد إليه وأخبرته بكل ما دار بينها وبين أم جميلة . . وأنها استشارت والدها فوافق أيضاً على هذه الخطبة . . ولكن بشرط أن تبقى جميلة بالقرب من أهلها . . وأن يروها كل يوم!!

فقبل الشاب هذا الشرط!!

وكان محمد وأسرته من قوم أغنياء . . فدفع لأهل جميلة مالاً كثيراً . . وكسوة لوالدتها ولوالدها ولجميع أقاربها . . واستأجر داراً بالقرب من دار أهل جميلة . . وفرشها بأحسن الفرش . . وأثثها بأحسن الأثاث . . وبقي في البيت منتظرا قدوم جميلة . . فقد اتفق مع أهلها أن تقدم إليه في داره في وقت معين بلا حفلة . . ولا ضوضاء وذلك بعد عقد الزواج.

وفي الوقت المعين جاءت بها والدتها إليه . . في داره وعندما رآها محمد كاد يطير من الفرح . . وقام مسرعاً فقبل رأس أمها . . ثم أخذ جميلة من رقبتها فقادها إلى صالون الجلوس فأجلسها في أحسن مكان وجلس بجوارها . . وهو يمسح رأسها ورقبتها ويلاطفهاويرحب بوالدتها . . ويحييها!!

وبعد أن استقر المقام بجميلة . . ودعتهم والدتها وخرجت وبقيت جميلة مع محمد . . فصار يطعمها ويلاطفها . . ويكلمها فيقول:

إنني يا جميلة أعرف سرك.. وأعرف أحوالك.. ولذلك طلبتك من أهلك وتزوجتك فكلميني.. ولكن جميلة لم تتكلم.. بل لزمت الصمت التام.. وكان كلما كلمها نظرت إليه بعينيها الجميلتين.. ولم ترد جواباً!!

لكن الشاب لم ييأس منها.. وإنما قال لها يا فتاتي الجميلة إنني أنا وإياك وحدنا ولن يطلع على سرك إلا أنا فاخلعي جلد الناقة والبسي لباس البشر!! إلا أن جميلة لم ترد عليه.. ولم تزده على تلك النظرات الفاترة التي لا يعلم ما وراءها؟!

فضاق الشاب بجميلة.. وضاق بصمتها المطبق.. فخرج وتركها إلى حين.. وذهب إلى السوق.. وإشترى منه بعض ما يحتاجه في بيته.. وعاد إلى المنزل وأمارات الحزن والألم والهم تبدو على أسارير وجهه.. ووضع ما معه من أغراض.. وجميلة تنظر إليه.. ثم ذهب وإستلقى على سريره دون أن يكلم جميلة.. أو يداعبها!!

وجعل ينظر إلى جوانب غرفته بنظرات شاردة.. وتفكير مشوش ثم فجأة قام من فوق سريره وأمارات البهجة والفرح تبدو على وجهه.. ومشى حتى قرب من جميلة وقال لها بقلب واله ولسانه ناعم رقيق:

هل تحبينني يا جميلة كما أحبك.. وانتظر الجواب فلم يحصل على جواب.. وأخيراً ضاق الشاب من تكرار الكلام وتبديد

العواطف سدى.. فقال لجميلة كلمته الأخيرة.. وهي أنه قد أعطاها مهلة ثلاثة أيام تفكر فيها هل تستجيب لحبيبها وتتجاوب معه.. أم ترفض ذلك.. فيكون له مسلك آخر سوف تعرفه جميلة عندما يحين وقته؟!

وترك الشاب جميلة بعد أن كلمها بذلك الكلام الحاسم وأعطاها تلك المهلة الطويلة!!

وذهب الشاب في شئونه الخاصة في جوانب منزله.. وبينما كان الشاب مستغرقاً في قراءة أحد الكتب وإذا بجميلة تأتي إليه وتقف على رأسه.. ثم تبكي بكاء متواصلاً.. حتى تساقطت الدموع من عينيها على يديه.. وعلى كتابه.. فرحمها الشاب وأشفق عليها.. وقام من مكانه.. وذهب ليأتي إليها بماء يغسل به وجهها.. ومنديل يمسح به دموعها!!

وذهب الشاب إلى بعض شئونه وعندما عاد إلى جميلة.. رآها قد خلعت جلد الناقة وانقلبت بشراً سوياً.. ففرح الشاب.. وقال في نفسه لقد انتهت الأمور بما أحب وأريد.. وجاء حتى وقف بجوار جميلة.. وقال لها أجيبيني على ماقلته لك سابقاً.. هل أنت تبادلينني الحب.. وتشاركينني المشاعر.. أم لا؟!

وإستعدت جميلة للكلام.. وتهيأت لرد الجواب فانصت الشاب إلى كلامها.. وهو بين الخوف والرجاء!!

وقالت جميلة إنني حائرة في أمري وأمرك؟! فانا أبادلك

مشاعرك.. ولكنني أريد أمي.. كما إنني أريد منك أن تكتم سري.. عن أمك وأمي فأنا لا أريد أن يعرفوا عني إلا أنني ناقة.. فإن كتمت السر فإنني سوف أكون لك.. وإلا فإنك سوف تفقدني إلى الأبد!!

وفرح الشاب بهذا الكلام.. وتعهد لجميلة بأن يحفظ سرها وأن لا يطلع عليه أحداً من الناس من قريب أو بعيد.. وفي هذه الأثناء دقت الباب والدة الشاب ففتح لها الباب وعادت جميلة في مثل لمح البصر إلى وضعها السابق وبدت ناقة كما كانت!!

عاد محمد إلى سريره.. وجاءت إليه أمه تسأله عمن يحادث قبل دخولها عليه.. فقد سمعت وهي عند الباب حواراً بينه وبين شخص آخر.. فقال لها إنني أسأل جميلة إذا كانت تريد طعاماً وأكرر السؤال وهي لا تتكلم!؟

وقالت العجوز لولدها خذ الطعام الذي أتيت به وأطعم جميلة من كل ما تريد وتهوى.. فإنني أشعر نحوها بعطف وشفقة لا أعرف أسبابها!!

وذهبت الوالدة من البيت فاقفل الشاب الباب وبقي هو وجميلة وحيدين فقال الشاب لجميلة: هيا يافتاة أحلامي نكمل حديثنا.. ونأكل الطعام.. ونحن نتجاذب أطراف الحديث!!

وجلست جميلة مع الشاب تأكل معه وتتحدث إليه ويتحدث إليها وهما في غاية الأنس والسعادة والبهجة!!

وإستمرا على هذه الحال أياماً عديدة.. وسألها الشاب ذات يوم هل توافق على أن تكون له زوجة.. فأجابت بأنها لا ترى مانعاً من ذلك.. ففرح الشاب.. وطلب منها أن تسمح له بأن يخبر أمه وأمها بحقيقتها.. وأنها إنسانة.. وليست حيواناً.. فقالت جميلة إن هذا الجلد قد وهبه الله لي لكي أتستر به في بادىء الأمر.. إجابة لدعوة والدتي التي طلبت من الله أن يرزقها مولوداً بكرة أو قعوداً.. وقد صادفت دعوتها باباً مفتوحاً من أبواب السماء فقبلت وخلقت فتاة في جلد بكرة!!

أما الآن.. وبعد أن شببت عن الطوق.. وخرجت من عهدة والدي.. فإنني سوف أحرق هذا الجلد.. ثم أتركه تذروه الرياح وتشتت أجزاءه في أنحاء البطاح.. ولن يعود إلي أو أعود إليه أبد الآبدين.!!

ففرح الشاب كثيراً بهذا الكلام.. وذهب إلى أمه ليقص عليها كل ما جرى.. فلم تصدقه.. بل ظنت أنه يهذي بكلام لا يعقله.. فلم يكن من الشاب إلا أن ذهب مسرعاً وأخذ جميلة بيدها وجاء بها إلى أمه تسعى على قدميها وهي في غاية الحسن والجمال والروعة والدلال.!!

فانبهرت العجوز بما رأت.. ولم تصدق عينيها بادىء الأمر ولكنها الحقيقة.. التي لا يمكن أن يكابر فيها إنسان.. والواقع الذي لا بد أن يفرض نفسه.!!

وبعد أن زايلتها الدهشة والمفاجأة فرحت واستبشرت ثم ذهبت إلى والدة جميلة وأخبرتها بما وقع.. ففرحت والدة جميلة أيضاً.. بهذا الخبر.. إلا أنه كان يخامرها الشك.!! فالشفيق دائماً بسوء ظن مولع.!!

ودخلتا في البيت ورأتا جميلة فتاة رشيقة لطيفة.. فإزداد سرورهما.. وبهجتهما.!

ثم سار الخبر في المدينة فكان شأن جميلة موضع الغرابة والعجب أولاً.. ومثار الغرابة والعجب أخيراً.. وعاش كل من الزوجين في وفاق ووئام مع شريك حياته..

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

لصقر النصافي في شكوى المحبين

لو الله اللي صار طبع العرب شين
من داج بين بيوتهم برقوا به
ما يامرون إلا بفرقى المحبين
درب الموده كنهم ما سعوا به
فيما مضى نمشي وناصل جريين
زولي الى منه بدا رحبوا به
واليوم صاروا كلهم لي عدوين
كثرت نمايمهم وخلي حكوا به
ياناس مارافقت خلي على شين
إلا على وضح النقا في دروبه
حلفت دين وألحق الدين دينين
ماشفت منه إلا الاطرايف عجوبه

سالفة:

٦ ـ رجب.. وشعبان.. ورمضان..

رويت هذه القصة عن أخي صالح بن عبدالعزيز الجهيمان

كان ـ يامكان في قديم الزمان ـ رجل فلاح تزوج بإحدى بنات قريته.. فأنجبت له أول أولاده فسماه رجب.. ثم أنجبت له إبناً ثانياً فسماه شعبان.. ثم أنجبت له إبناً ثالثاً فسماه رمضان..

وأراد الله على زوجته وأم أولاده أن تمرض ثم تموت مخلفة زوجها وأولادها الصغار الثلاثة..

وإختلت حياة الزوج.. وضاقت به الدنيا.. حيث تركت زوجته بعد موتها فراغاً لا يستهان به في جو الأسرة.. فهو يحتاج إلى عناية ورعاية في طعامه وشرابه.. وصحوه ومنامه.!! وأولاده كذلك لا يقلون عنه في الحاجة إلى من يرعى شئونهم.. ويضمد جراحهم بعد فقط والدتهم..

ورأي الأب أنه لا مناص من الزواج.. وبحث عن المرأة التي يمكن أن تسعده وتسعد أولاده الصغار.!!

وأخيراً وجد طلبته فخطبها وتزوجها.. وإنتقلت الزوجة إلى بيته.. ورأت أولاده فهشت في وجوههم وبشت.. وأظهرت لهم البشر والسرور وحاطتهم بكثير من الحنان والرعاية..

وإغتبط الوالد بما يراه من زوجته في معاملة أولاده والإهتمام بشئونهم.. والعطف عليهم.. والدفاع عنهم عندما ترى من والدهم قسوة عليهم..

وسارت الأمور على هذه الوتيرة المريحة التي سعد في ظلها الجميع.. ولكن أحوال هذه الدنيا لا تدوم على حالة واحدة.. فقد رزقت هذه الزوجة الجديدة أولاداً من زوجها.. فصرفت عنايتها وعطفها وحنانها لأولادها دون أولاد زوجها..

وأحس الأخوة الثلاثة بهذا التحول الذي ما كانوا ينتظرونه ثم كبر أولاد هذه الزوجة.. وبدأ التنافس بين الأخوة فكانت هذه الزوجة دائماً في صف أولادها.. وضد أولاد زوجها.. وكانت في كثير من الأحيان توغر صدر زوجها على أولاده.. وتحرضه على توبيخهم.. وتأديبهم وتكليفهم من العمل أكثر مما يطيقون..

وبدأ الأولاد الثلاثة يحسون بأنهم يعيشون في بيت أبيهم غرباء.. وبدأوا يشعرون بالتفرقة في المعاملة بين أولاد الزوجة الجديدة.. وأولاد الزوجة القديمة..

وصار بعض الأخوة يشكوا لبعض.. وكان أكبرهم يشجعهم على الصبر والتحمل في سبيل جمع الأسرة.. ويحرص على التفاف أفرادها بعضهم على بعض.. ولكن الكيل طفح.. فقد استمرت المضايقات.. واستمرت التنغيصات.. حتى اقتنع الأخوة الثلاثة بأن الحالة لا تطاق.. وأنه ليس أمامهم إلا الرحيل.. إلا الهجرة من بلادهم إلى بلاد أخرى يبحثون فيها عن رزقهم.. ويبحثون فيها عن راحتهم.. ويبحثون فيها عن استقلالهم بشئون أنفسهم..

واستقر رأي الأخوة على موعد الرحيل وعلى البلد التي سوف يتجهون إليها..

وفي غفلة من غفلات الأسرة تسلل الأخوة الثلاثة.. وبدأوا في طريقهم الذي رسموه.. متجهين إلى الهدف الذي حددوه..

وعندما قربوا من المدينة التي قصدوها حطوا رحالهم وجمعوا قطعا من الصفيح والأخشاب وبنوا لهم حفشا يتألف من ثلاث غرف ومطبخ.. ورتبوا أمورهم وقسموا المسئوليات فيما بينهم.. فكان دور الأخوين الكبيرين أن يذهبا إلى المدينة.. وأن يعملا فيها.. فإذا جاء وقت المساء عادا إلى حفشهم وإلى أخيهم الأصغر الذي كان يلازم الحفش ليلاً ونهاراً.. ويتولى تنظيفه وتنظيمه واعداد الطعام والشراب لأخويه الكبيرين ولنفسه.!!

واستمر الأخوة الثلاثة على هذا الوضع فترة من الزمن

يعملون ويأكلون ويشربون.. ويوفرون ما يزيد عن حاجتهم من المال للمستقبل الذي يحلمون به.!! وفي يوم من الأيام لم يشعر رمضان الذي هو أصغر الأخوة إلا بفتاة تقرع عليه باب الحفش.. ففتح الباب ورأى الفتاة.. وسألها عما تريد فقالت إني أريد شربة ماء.. فدخل رمضان إلى الحفش.. وأحضر لها قليلاً من الماء.. فشربته.. وشكرت الفتى.. وقالت له:

إنني أرعى غنم أهلي في هذه الضاحية.. كل يوم.. فإذا لم يكن لديك مانع.. فإنني سوف أستظل بحفشك.. في كل يوم.. وأتناول منك شربة ماء عندما أظمأ.!!

فأظهر الفتى بأنه لا مانع لديه بالنسبة إلى ما طلبت.. وتركته الفتاة وذهبت تبحث عن غنمها..

وفي اليوم الثاني.. جاءت الفتاة وهي أكثر جراءة وشجاعة.. فقد إتفقا على أن تأتي.. وطلبت منه كوب الماء فجاء به فشربته ثم سألته عن حالته..وهل معهأحد في هذا الحفش.. فقص عليها قصته وقصة أخويه.. وأخبرها بهربهم من زوجة أبيهم وأنهم تعاهدوا على أن يعيشوا معاً.. وأن لا يتزوج أحد منهم وأن لا تدخل بينهم امرأة.. بأي شكل من الأشكال.!!

فقالت الفتاة لا عليك.. إنني سوف أبقى معك بعض السويعات في وسط النهار.. ثم أغادر إلى أهلي قبل أن يأتي أخواك.. وسوف أساعدك على تنظيف الحفش.. وعلى طبخ



رمضان يسمح للفتاة بأن تدخل الكوخ

الطعام.. وعلى جميع شئون المنزل..

فقبل رمضان هذا العرض على كره منه.. وهو شديد الخوف من أن يطلع أخواه على دخول امرأة إلى حفشهم الذي تعاهدوا على أن لا يدخله امرأة.!!

واستمرت الفتاة تجيء وتروح إلى حفش رمضان دون أن يلتقي بها أحد من الأخوين.. إلا أنهما أحسا بأن حدثاً جديداً قد تعرض له الحفش.!! فقد شاهدوا النظافة التي ما كانوا يجدونها.. وشاهدوا النظام والترتيب.. وشاهدوا أنواع الأطعمة التي تعمل لهم أخيراً مع أن أخاهم ما كان يعملها ولا يعرفها سابقاً..

وفي يوم من الأيام تمارض الأخ الأوسط.. وقال لأخيه رجب إنني لن أستطيع العمل في هذا اليوم.. وسأبقى في الحفش لأساعد أخي رمضان في أعمال البيت..

وهكذا كان.. وبقي شعبان مع أخيه رمضان.. وجاء موعد مجيء الفتاة.. فحضرت في موعدها..

وسأل الأخ أخاه عن هذه الفتاة فأخبره بخبرها.. وأنه تركها تدخل الحفش من باب الشفقة والرحمة.. ولا شيء غير ذلك.!! وأعجب شعبان بالفتاة.. ولكنه أسر إعجابه..

وفي اليوم الثاني.. قال الأخ الأكبر إني سوف أتخلف اليوم في الحفش لأرتاح.. فاذهب يا شعبان إلى البلد.. واعمل في هذا اليوم واشتر لنا قوت غد..

وذهب شعبان كما أمره أخوه.. وجاءت الفتاة في موعدها وسأل أخاه رمضان عنها فأخبره بخبرها مثل ما أخبر أخاه الأوسط ووقعت الفتاة في نفس رجب.. وانكشف أمر الفتاة للأخوة الثلاثة وأحبها كل واحد منهم وأراد أن تكون له دون أخويه..

وكان رمضان الأصغر هو أضعفهم جسداً.. وأكثرهم هدوءاً ومسالمة.. فوقع الصراع بين الأخوين رجب وشعبان.. الذين تخاصما.. وتنازعا.. وتجاذبا حبل المطامع في الفتاة.!

وأخيراً رأيا أنه لن يفصل النزاع بينهما إلا المبارزة بالسلاح الأبيض.. فأي الأخوين انتصر في المعركة تكون الفتاة من نصيبه واتفق الأخوان على يوم المعركة وموعدها والسلاح الذي سوف يستعمل فيها.!!

واستعد كل من الأخوين الكبيرين للمعركة كل واحد منهما يؤمل أن ينتصر على أخيه ليفوز بالفتاة.

أما شهود المعركة فهما شخصان فقط الفتاة والأخ الأصغر الذي ليس بيده حول ولا طول ولا كلام.. والذي اتخذ المسالمة طريقاً للسلام..

وجاء اليوم الموعود.. وحانت ساعة الصراع.. فبرز الأخوان في الميدان.. وتجاولا وتصاولا.. وصار كر وفر.. وكل واحد من الأخوين يتحين الفرصة المناسبة ليصيب من أخيه مقتلا..

وكان كل واحد من الأخوين يتعامل مع أخيه بحذر ويقظة. ! وفي لحظة من لحظات المصاولة والمجاولة.. رأى كل واحد من الأخوين أن الفرصة قدسنحت ليقضي على أخيه.. فهجم كل واحد منهما على أخيه وتخالفا ضربتين.. إحداهما من رجب إلى شعبان . والأخرى من شعبان إلى رجب.. وكانت ضربة كل واحد منهما لأخيه قد أصابت مقتلاً.!

واندفع الأخ الصغير مع الفتاة.. لانقاذ ما يمكن إنقاذه من حياة الأخوين المتصارعين.. ولكن هيهات.! لقد سبق السيف العدل فقد وجه كل واحد من الأخوين الضربة القاضية لأخيه..

ومات الأخوان المتصارعان.. وبقى الأخ الصغير المسالم مع الفتاة الغريبة.. وطمع الفتى رمضان في الفتاة بعد موت أخويه.. وعرض عليها الزواج.. فقالت له إن أبي شيخ قبيلة وهو لا يزوج إبنته إلا من شخص ذي حسب ونسب.. فما هو نسبك.؟! فانتسب لها رمضان.. فإذا هو من أصل كريم طيب..

فقالت له الفتاة لقد بقي أمر آخر غير النسب.. وهو أن يكون لك مكانة اجتماعية.. وثروة مالية.!! فاسكن المدينة واستأجر بيتاً وحانوتاً.. وبع واشتر.. وتعرف بالناس.. وعرفهم بنفسك وخذ هذا العقد فبعه.. واجعل ثمنه في بعض ما تبيع فيه وتشتري.. وسوف آتيك أنا وبعض أفراد قبيلتي ببعض ما ننتجه لتبيعه وتكون لك مصلحة ببيعه دون الآخرين..

وفعل رمضان ما قالته له الفتاة.. فكثر ماله.. وتفتحت

أمامه أبواب الرزق.. حتى صار يشار إليه بالبنان.. وإذا حضر اجتماعاً جلس أو أجلس في أعز مكان.!

وكانت الفتاة تلازم المجيء إليه ما بين وقت وآخر.. وعندما رأت ما بلغه من مكانة إجتماعية.. ومكانة مالية.. قالت له الآن إذهب واخطبني من والدي.. وهذا هو اسمه.. وهذا هو عنوانه.. وذهب رمضان إلى والد الفتاة.. ومعه الكثير من البضائع مما يصلح للرجال والنساء من أفراد القبيلة ومعه خادمه الذي يساعده في البيع والشراء.!

وتقاطر أفراد القبيلة على هذا التاجر الغريب.. وصار بينه وبينهم أخذ وعطاء.. وعرفهم بنفسه.. كما أنه تعرف على كبارهم ولا سيما شيخ القبيلة.. الذي دعاه إلى بيته.. وأقام له حفلة تكريمية كبيرة دعا إليها كبار رجال القبيلة..

وبعد أن إنفض الجمع ولم يبق إلا رمضان مع والد الفتاة تقدم بطلبه فسأله الشيخ عن نسبه.. فأجابه.. وسأله هل هو متزوج أو أعزب فأخبره أنه أعزب..

فوعده خيراً وقال إنني سوف أستشير الفتاة وأمها. أعطيك الخبر بعد يوم أو يومين..

وبعد التشاور رضي الجميع برمضان زوجاً للفتاة التي اسمها فاطمة.. وزفت فاطمة إلى رمضان.. وعاشوا في سبات ونبات.. ورزقوا الكثير من البنين والبنات.!

سالفة :

٧ ـ بنت السلطان اللي شوفتها بمية ربية !!

«رويت هذه القصة أو السالفة عن الأخ سليمان الملاحي»

قال أحد الأطفال لرفاقه إنني في هذه الليلة سوف أقص عليكم سالفة بنت السلطان التي رؤيتها بمائة ربية..

فوافقت الجدة ووافق الأطفال على ذلك.. وشرع الطفل في سرد سالفته فقال:ـ

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وألى هنا هاك الرجال الذي عنده بستان يحرثه ويزرعه ويعيش من غلته هو وزوجته وأولاده الثلاثة الكبير والصغير والأوسط..

وكبر الأولاد إلا أنهم كانوا لا يساعدون والدهم بأي عمل من أعمال البستان.. وانما همهم اللعب مع لداتهم.. والعبث الذي يمارسه الأطفال معظم ساعات النهار.. ولا يربطهم بأهلهم

إلا حاجتهم إلى النوم أو الطعام والشراب..

وصبر والدهم عليهم لعلهم اذا كبروا قليلا يعرفون قيمة الحياة.. وان الذي لا يساهم بمجهود في سبيل العيش لا يستحق أن يعيش.!!

وكان الوالد يوجه النصائح لأولاده ما بين وقت وآخر إلا أن الأولاد كبروا دون أن يلتفتوا إلى نصائح والدهم أو مساعدته.. حتى أن الكبير منهم طلعت لحيته والأوسط طلع شاربه.. والصغير يكاد يطر شاربه..
واحتار والدهم في أمرهم.. وفكر في تدبير أو تصرف يجعل كل واحد من أولاده يعتمد على نفسه..

واهتدى الأب إلى طريقة رجا أن تعيد اليهم صوابهم وجعل كل واحد منهم يشعر بالحياة على حقيقتها ويؤدي واجبه فيها كما يجب أن يؤدى.!!

وجمع الأب أولاده ذات يوم وقال لهم يا أولادي لقد كبرت وقل جهدي ورق عظمي.. وأنا إن بقيت لكم هذه السنة فقد لا أبقى في السنة الآتية.. وإن بقيت الآتية فقد لا أبقى في السنة التي بعدها..

وأنا أريد أن كل واحد منكم يسعى في تكوين مستقبله بنفسه ويمارس الحياة بفكره وجهده.. ويهيىء أسباب العيش له ولأسرته.

وقد جمعت لكم يا أولادي مأتين وخمسين ربية وسوف

أقسمها بينكم فأعطي اثنين منكم كل واحد مائة ربية. ثم أعطي الثالث خمسين ربية مصحوبة بنصيحة غالية قد يستفيد منها من يقبلها أكثر مما يستفيد من المال..

فقال الكبير أنا أريد مائة ولا أريد نصيحة.. وقال الأوسط وأنا كذلك أريد مائة ولا أريد نصيحة.. وبقي الصغير فقال له والده إنني سوف أعطيك الخمسين الباقية وسوف أزودك بنصيحتي التي أرجو أن ينفعك الله بها أكثر مما ينفعك المال.!!

فتقبل الصغير كلام والده برضا واطمئنان.. وعلق آمالا كبيرة على نصيحة والده التي سوف يخصه بها دون اخوانه.. وقسم الوالد تلك الربيات على أولاده حسب ما قال لهم. واستعد الأولاد للرحيل إلى بلاد أخرى يبحثون فيها عن الرزق والمعيشة.

وعندما خرج الأخوان الثلاثة من البلد تبعهم والدهم فودعهم واحداً واحداً..

وجاء دور الصغير فأخذه والده جانبا وخلا به.. وقال له يا ولدي اذا اعترضتك في حياتك مشكلة واحترت في حلها فاستشر من هو أكبر منك سنا.. فاذا أشار عليك برأي فاقبل مشورته.. ونفذ رأيه بعناية ودقة.. فانك بذلك تصل إلى ما تريد.. ومن أقصر الطرق.!!

وبعد ذلك واصل الأخوة الثلاثة سيرهم.. وصاروا يتنقلون من بلد إلى بلد إلى أن أتوا مدينة كبيرة.. فقرروا أن يقيموا فيها..

وأن يتفرقوا في أنحائها نهاراً بحثا عن العمل والمال فاذا جاء الليل التقوا في كوخ أعدوه لأنفسهم..

وكان في هذه المدينة ابنة لأحد السلاطين.. وكانت بارعة الجمال.. موفورة الدلال.. حتى اشتهر أمرها بأنها أجمل فتاة في الدنيا.

وكانت تسكن في قصر عظيم يطل على ميدان واسع.. ويحيط بالقصر حديقة غناء.. فيها من جميع الأشجار المثمرة من تفاح ورمان وخوخ وتين وعنب.. وما إلى ذلك مما لا يحيط به الوصف..

وكانت هذه الفتاة لا تسمح برؤيتها لأحد حتى يدفع في سبيل ذلك مائة ربية.. وكانت مائة الربية في الأزمان الماضية لها شنآن عظيم.. وليس من السهل أن يحصل عليها الانسان إلا في دهر طويل.. وبعد جهد جهيد.!!

وكان الشباب والمراهقون يتهافتون على قصر هذه الأميرة لرؤيتها.. بعد دفع الضريبة المقررة.. فاذا اجتمع عشرون أو ثلاثون إلى خمسين شابا سمحت ابنة السلطان بدخولهم إلى حديقة القصر.. ثم جمعوا في مكان قريب من احدى نوافذ القصر.. فتطل عليهم ابنة السلطان من تلك النافذة.. فيرونها.. وتسلم عليهم.. ويردون عليها السلام.. كل ذلك من بعيد إلى بعيد.!!

فاذا بقوا ينظرون إليها بضع دقائق انصرفت عنهم..



الشباب ينظرون إلى بنت السلطان.!!

ودخلت في قصرها.. وبهذا تنتهي هذه المقابلة الخاطفة.. فيخرجون من الحديقة.. ويذهب كل واحد منهم في طريقه ليحدث رفاقه بما رأى وما سمع.!!

وسمع الأخوة الثلاثة بجمال هذه الأميرة.. وما يحاك حولها من أخبار مدهشة.. وأوصاف ساحرة.. فقرروا أن يذهبوا لرؤيتها.. وأن ينفقوا ما في أيديهم في هذا الشأن.. والرزق على الله فيما يأتي من الأيام.!!

وذهب الأخوة الثلاثة إلى قصر ابنة السلطان وقابلوا الجابي الذي يقابل الهواة.. ويأخذ منهم الأموال ويعطيهم بذلك الايصال.. الذي يخول لهم الدخول إلى القصر.. ودفع الأخوان الكبيران كل واحد مائة ربية وأعطي وصلا بذلك..

وجاء دور الأخ الصغير.. فدفع ما معه وهو خمسون ربية وقال له يا سعادة الجابي إنني فتى صغير وليس معي إلا خمسون ربيه.. فارجو أن تقبلها.. وأن تسمح لي بالدخول مع اخوتي لمشاركتهم في مشاهدة الأميرة.!!

ولكن الجابي ردها إليه.. وقال إنني لا أستطيع أن أقبل من أحد أقل من مائة ربية.. فأنا أحاسب على هذه الضريبة بالدانق والدينار.. وليس معقولا أن أخسر من جيبي خمسين ربية من أجلك.!!

ولو فتحت هذا الباب على نفسي.. وأخذت مبالغ أقل من

النصاب.. لكان في ذلك خسراني وخراب بيتي وفقداني لهذا المزكز الذي يغبطني عليه الكثير من الناس. !!

وحاول الشاب والح.. ولكنه لا فائدة من المحاولات ولا جدوى من الالحاح. !!

وخرج الشاب الصغير من غرفة الجابي وهو كسير الفؤاد.. ودخل اخوته داخل القصر بينما هو ذهب متجها إلى الكوخ الذي يسكنونه..

ورجع الأخوان بعد أن رأوا الأميرة.. وتحدثا عما رأيا فازداد شوق الفتى الصغير إلى رؤيتها.. وانشغل باله وعظم بلباله. !!

وجاء الصباح فخرج الأخوان الكبيران بحثا عن الرزق ثم خرج بعدهما الأخ الصغير وحده.. وصار يتجول في الشوارع والحسرة تأكل قلبه.. لا يدري ماذا يفعل..

ثم تذكر في هذا الوقت العصيب نصيحة والده بأن يستشير من هو أكبر منه فيما يستعصى عليه من الأمور. أو يشتبه عليه من المسالك. !!

واستمر يهيم في الشوارع.. ويتفحص الوجوه..

وبينما كان يمر بأحد المساكن المنزوية واذا به يرى شيخا وقورا قد جلس في ظل جدار داره. . ينظر الغادى والرائح.. وتقدم الفتى حتى قرب من الشيخ فسلم عليه.. وجلس محاذيا له.. ثم قال:-

اني فتى غريب ولي قصة ولدي هموم . . . فاذا سمح الشيخ ووعدني بان يساعدني بالرأي والمشورة فانني سوف اقص عليه قصتي . . وافضي اليه بهمومي . !!

وكان هذا الشيخ يحب أن يسمع جديدا . . وأن يجالس غريبا . . وأن يبذل معروفا بقدر جهده . . ولهذا فقد استقبل الفتى بسرور ظاهر . . وقال له قص علي قصتك . . وأفض إلي بسرك فسوف تجد عندي كلما يرضيك ويسرك . !!

وسمع الغلام هذا الكلام فقوي أمله في الوصول إلى ما يريد . . وأخبر الشيخ بقصته مع أخويه . . وأخبره بنصيحة والده . . وأن هدفه أن لا يكون أقل من أخويه . . وأن يرى بنت السلطان كما رآها أخواه فقال له الشيخ هون عليك فانك ان اتبعت مشورتي فانك سوف ترى الأميرة . . وبأبخس الأثمان . !!
فقال له الشاب بشوق ولهفة : إنني سامع لمشورتك ومنفذ لرأيك مهما كلفني من جهد وعناء . .

فقال الشيخ : إن الخطة التي أريد أن تتبعها أن تشتري تيساً . . ثم تذهب إلى الصحراء فتصطاد جربوعاً وتتركه معك حيا . . وبعد ذلك تأتي بالتيس والجربوع حتى تكون تحت قصر ابنة السلطان . .

وبعد ذلك اخف الجربوع بين أثوابك وعلق التيس من رجليه وحاول أن تذبحه من جهة ذنبه بسكين غير حادة . . وعند ذلك سوف يحدث التيس جلبة وأصواتا مزعجة . !!

وهذا الأمر هو الذي سوف يفتح لك الأبواب.. ويسهل لك رفع الحجاب.. وينيلك ما تصبو إليه من مآرب.

ثم رسم الشيخ للفتى جميع الخطوات التي يجب عليه أن يخطوها من البداية إلى النهاية.!!

وذهب الفتى إلى الصحراء فاصطاد جربوعا.. ثم ذهب الى سوق المواشي فاشترى تيسا وذهب به إلى جوار قصر ابنة السلطان. وعلق خيطا في أحد الحيطان ثم علق التيس من رجليه.. وجعل يحر حره بالسكين من جهة ذنبه.. وتألم التيس فجعل يثغو بصوت مرتفع ولافت للنظر..

وأطلت إحدى وصيفات الأميرة.. فرأت هذا المنظر العجيب الغريب.!! فأسرعت الى سيدتها الأميرة وقالت لها تعالي انظري الى هذا المشهد الذي يحدث بجوار قصرك.. فقالت الأميرة وأي مشهد هذا.؟!

فقالت الوصيفة انني لا استطيع أن أصفه لك ولكن تعالي لتشاهديه بنفسك فتعجبي.. وتضحكي.!!

وذهبت الأميرة مع وصيفتها وأطلت على الميدان.. فرأت الشاب وهو يحاول أن يذبح التيس من جهة ذنبه.. والتيس يتألم ويثغوا بشكل يدعو إلى الشفقة والرحمة.. ورأت الأميرة هذا المشهد.. فضحكت منه حتى كادت تستلقي على ظهرها.. ثم ادركتها الشفقة على هذا التيس وصاحبه فقالت لوصيفتها اذهبي الى

هذا الفتى وادخليه في القصر واذبحي له تيسه واسلخيه وقطعيه.. ثم أعطيه اياه ليعمل به ما يريد.. ثم أخرجيه من القصر ليذهب حيث يشاء.!!

وذهبت الوصيفة إلى الشاب وقالت له أنزل التيس وتعال معي لأذبحه لك..

وفرح الشاب وأخذ تيسه وتبع المرأة.. فأدخلته في حديقة القصر وذبحت تيسه وسلخته ثم سلمته اليه وقالت اذهب به حيث شئت..

فقال لها اني غريب في هذه البلاد وليس هناك من يطبخه لي.. فاحسنوا إلي واطبخوا لي لحم تيسي أو أعطوني قدراً وحطباً لأطبخه..

وذهبت الوصيفة إلى سيدتها وأخبرتها بما قاله الفتى فقالت الأميرة دعوه في غرفة في الحديقة واطبخوا له لحم تيسه وأعطوه إياه..

وفي أثناء طبخ التيس نزلت ابنة السلطان إلى حديقة القصر لتتجول فيها على عادتها.. ورآها الشاب مقبلة ورآها مدبرة وهي تتهادى بين وصيفاتها..

وسمع صوتها وهي تلقي أوامرها على بعض خدمها.. كما رآها وهي راضية ورآها وهي غاضبة على أحد الخدم الذي قد أخل بواجبه..

والمهم أنه رأى من بنت السلطان ما لم يره اخوانه.. ولم يدفع

في سبيل ذلك إلا قيمة تيس هو الذي سوف يستفيد منه..

ومضى معظم النهار ولم ينضج التيس.. وأخيراً جاءت اليه الوصيفة بلحم تيسه مطبوخا أحسن طبخ.. وفي إناء نظيف فأكل منه حتى شبع.. ثم قال ارفعوا هذه البقية الباقية الى الليل لأتعشى بها..

فقالت له الوصيفة ان عليك أن تأخذ ما تبقى من لحم تيسك وأن تغادر المكان.. فقد أقبل الليل وليس من العادة أن ينام في هذا القصر رجل.!!

فقال الفتى إنني أولا لست برجل.. وثانيا انني لا أدري أين أذهب في هذا الليل الدامس فأنا انسان غريب فاتركوني أنام هنا فاذا جاء الصباح ذهبت لشأني.!!

وعطفت عليه الوصيفة ورحمته.. وذهبت إلى ابنة السلطان فاخبرتها بمقالته.!! فرحمته الأميرة أيضا وقالت دعوه ينام هذه الليلة هنا فهو شاب صغير لا يحتسب من الرجال.. وترك لينام.. ولكنه عندما أرخى الليل سدوله.. وهدأت الحركة.. وخفتت الأصوات.. صاح بصوت ارتجت له جوانب القصر.. فسمعته الأميرة فقالت لوصيفتها اذهبي اليه وانظري ما به.. وأمريه بأن لا يرفع صوته..

وجاءت إليه الوصيفة فقالت له ما بك.؟! وأمرته بالسكون فقال لها كيف أسكت وأنا لم أعتد أن أنام وحدي بل كنت دائما أنام

في حضن أمي.. ولهذا فانني عندما نمت منفرداً ظهرت لي أشباح مخيفة جعلتني في رعب وخوف شديدين.. الأمر الذي اضطرني لرفع صوتي بالصراخ.!!

وذهبت الوصيفة فأخبرت سيدتها بما قال الفتى.. فقالت الأميرة خذيه ودعيه ينام معك في غرفتك.. وذهبت الوصيفة فأخذت الفتى.. وأنامته معها في غرفتها..

ولكنه بعد فترة قصيرة رفع رأسه وصاح بصوت عال.. وحاولت الوصيفة أن تسكته.. ولكنه لم يسكت وذهبت إلى سيدتها وأخبرتها بما صنع..

فقالت ابنة السلطان دعيه يأتي إلي.. وجاء الفتى إلى الأميرة في غرفتها الخاصة.. وسألته عن سبب صياحه.. فأخبرها بأنه لا يستطيع أن ينام في غرفة تنام فيها عبدة مملوكة.!!

فقالت ابنة السلطان اذا سمحت لك أن تنام في غرفتي فهل تعدني بأن لا تحدث صوتا يزعج أهل القصر.؟! فوعدها.. ونامت الأميرة.. وهدأ الشاب بعض الوقت.. إلا أنه في آخر الليل استيقظ.. وتوضأ.. ثم أيقظ الأميرة وقال لها انني أريد مكاناً مرتفعا لأرفع صوتي بالأذان الأول لصلاة الفجر..

وحاولت الأميرة أن تقنعه بأن لا يفعل.. ولكنه أصر على الأذان.. من أعلى مكان في القصر.!!

وحاولت الأميرة أن تغريه بالمال ليسكت.. ودفعت له خمسة

آلاف ربية.. ولكنه رفض.. وزادته إلى أن بلغ عشرة آلاف.. فسكت.!!

ولكن الأميرة ندمت على دفع هذا المبلغ الكبير لهذا الفتى الصغير.. وأرادت أن تحتال عليه لاسترداد المبلغ.. وقالت له ان لدي هرة أضع الكوب فوق رأسها وهو ملآن بالماء.. فتدور به في هذا المكان سبع دورات دون أن يسقط الكأس.. أو يتناثر شيء من مائه.!! فقال الفتى إنني لا أصدق أن شيئا من هذا يكون.!!

فقالت الأميرة فلنعمل رهانا ولنر هل يكون أم لا يكون.. واتفقا على أن القطة اذا دارت بالكأس سبع مرات دون أن يسقط الكأس أو يراق الماء الذي فيه.. فان الأميرة تكسب الرهان.. وتأخذ ألف ربيه..
واذا سقط الكأس أو أريق ماؤه خسرة الأميرة الرهان ودفعت للفتى ألفا..

وجاءت الأميرة بالهرة.. ووضعت على رأسها كوب الماء ودارت سبع دورات.. وربحت الأميرة الرهان الأول.. ودفع لها الفتى ألف ربية..

ثم أعادوا اللعبة برهان جديد.. وكسبت الأميرة أيضا وقال الفتى للأميرة فلنجعل الرهان ألفين.. وفرحت الأميرة وأيقنت بأنها سوف تسترد المبلغ الذي دفعته إلى الفتى في بضع لعبات..

ووضع الكأس على رأس الهرة.. ودارة دورتين ثم أخرج

الفتى للقطة رأس الجربوع الذي يشبه الفأر دون أن تشعر به الأميرة. !!

ومن المعروف أن الجربوع من فصيلة الفئران إلا أنه يعيش في الصحراء.. والفأر يعيش في المدن.. وداخل البيوت..

وعندما رأت القطة رأس الجربوع اختل توازنها وجاءت مسرعة وبلا نظام إلى جهة الجربوع فسقط الكأس وأريق الماء، وكسب الفتى هذا الرهان. !!

واستمرت الأميرة في هذه اللعبة.. واستمر الفتى يكسب الرهان مرة بعد أخرى..

وأخيراً قالت الأميرة انني سوف أراهنك على نفسي فبأي ثمن تقدرني.. فقال الفتى إنك غالية الثمن وليس لدي ما يعادل قيمتك.. ولكنني سوف أراهنك بكل ما معي. !!

وطمعت ابنة السلطان.. وقوي عندها الأمل في أن تستعيد كلما خسرت في صفقة واحدة..

وملأت الكأس ووضعته فوق رأس القطة.. ودارت دورتين وثلاثاً وأربعاً.. وقوي الأمل عند الأميرة بأنها سوف تنتصر هذه المرة..

وفي الدورة السادسة أخرج الشاب إلى الهرة رأس الجربوع فاختل توازنها.. وسقط الكأس وأريق الماء وكسب الفتى الرهان.. وصارت الأميرة والأموال ملكا للفتى.. حسب الاتفاق بينهما..

ووقعت الأميرة في حيص بيص.. وفكرت قليلا ثم قالت للفتى انني أريد أن افتدي نفسي منك.. فاطلب ما تريد.!!

فقال الفتى إنني أريد مبلغا بمقدار ما معي مرتين.. ودفعت له الأميرة ما أراد.. وخرج الفتى من قصر الأميرة بتلك الثروة الطائلة.. وذهب إلى أخويه.. وأمرهم بالاستعداد للسفر إلى بلادهم.. وجعل معظم تلك الثروة في صندوقين أحدهما جعل فيه الذهب.. والآخر جعل فيه الفضة.. وأقفلهما.. واحتفظ بالمفاتيح معه..

واشتروا الهدايا لأهلهم.. واشتروا الرواحل.. ثم سار الركب في الصحراء متوجها إلى أرض الوطن..

ورأى اخوة الشاب ما هو فيه من نعمة.. وما كسبه من ثروة فحسدوه.. وشعروا في أنفسهم بالذلة والصغار.!! كيف يحصل أخوهم الصغير على هذه الثروة كلها.. بينما الكبار لا يملكون شيئا..

وأبطن الأخوة الشر لأخيهم.. وبيتوا له الغدر.. وبقوا ينتظرون الفرصة المواتية للخلاص من أخيهم.!! والاستيلاء على ثروته..

وسار الركب في صحراء قاحلة.. وبدأ ما معهم من الماء ينفد وبحثوا عن أقرب مورد لهم فلم يجدوا إلا دحلا في مجاهل الضمان والدحل بئر طبيعية لم يحفرها إنسان أعلاها ضيق وداخلها

تضيع فيه الركبان. لأنها ذات شعاب ومرتفعات ومنخفضات.. ومتاهات.!!

وتطلع الأخوة بعضهم إلى بعض من ينزل في هذا الدحل أو البئر ليملأ قربهم..

وقد تهيب كل واحد من الأخوة الكبار النزول إلى داخل هذا الدحل.. فلم يكن من الأخ الصغير إلا أن بادر وقال: أنا سوف أنزل في الدحل وأملأ القرب.. ونزل الشاب الصغير إلى قاع الدحل وفي يده حبلان أحدهما لجذب القرب المملوءة بالماء.. والثاني للاهتداء إلى فم الدحل عندما تنتهي مهمته ويريد الخروج.!!

ورأى الأخوان الكبيران أن هذه فرصتهم الوحيدة لصب سموم حقدهم وحسدهم على رأس أخيهم.. والخلاص منه.. وإلى الأبد.!!

فقطعوا الحبلين في يد أخيهم.. وتركوه يهيم في شعاب ذلك الدحل وفي ظلماته.. بلا أنيس ولا أمل في الخلاص.. وذهب اخوته بالمال.. واتفقوا على قسمته بينهما.. كما اتفقوا على ما سيقولونه لوالديهم وأقاربهم.. عندما يسألون عن أخيهم.!!

وعلم الشاب عندما قطعت الحبال في يديه بغدر اخوانه وما أرادوا له من الضياع والهلاك.. فسار في شعاب ذلك الدحل ووديانه.. ولم يفقد الأمل في النجاة.!!

وصار يأكل من أعشاب الأرض.. وحشائشها.. واستمر في السير.. ناظراً يمينا وشمالاً لعله يرى بصيصا من الأمل. وبعد سير حثيث داخل الأرض.. ولمدة أيام.. رأى الفتى نوراً أو بصيصاً من نور يضيء أمامه.. فقصده.. وعندما وصل إليه.. وجد بابا ضيقا يصعد إلى أعلى.. فصعد معه.. وفجأة وجد نفسه فوق ظاهر الأرض.!!

وفرح الفتى.. ثم نظر يمينا وشمالاً حتى عرف موقعه من الأرض.. وعرف الاتجاه الصحيح الذي يوصله إلى بلده..

وسار الفتى مواصلاً ليله بنهاره.. وعندما وصل إلى بلده وجد اخوته قد وصلوا قبله إلى والدهم ووالدتهم وعندما سأل الوالدان عن ولدهم الصغير.. قالوا إننا افترقنا نحن وإياه في عرض الطريق.. فاتجه إلى مدينةغير المدينة التي اتجهنا اليها.. ولهذا فنحن لا نعرف عنه أي خبر..

واختار الأخوة داراً كبيرة استأجروها.. وأنزلوا أحمالهم فيها.. وكان في جملة الأحمال صندوقان كبيران لم يستطع الأخوة فتحهما.. لأنهما مقفولان.. ومفاتيحهما.. غير موجودة لديهم.!! وكان الأخ الصغير يحتفظ بهذين المفتاحين.. ويعلقهما في رقبته ويتفقدهما في ليله ونهاره.!!

وأخيراً وصل الابن إلى أهله وسلم على والديه.. وأخبرهم بالقصة فتعجبوا وحزنوا.. وقالوا كيف يحصل هذا منكم لأخيكم

فقد أردتم له الهلاك والضياع.. كل هذا من أجل أن تأخذوا ماله.. وكسبه الذي اكتسبه بجده واجتهاده.!!

فقال الأخوة لقد كذب.. فالكسب كسبنا والمال مالنا وليس له فيه أي شيء.!!

وقال الفتى الصغير لوالديه إن لدي دليلاً على أن المال مالي ثم أخرج المفتاحين.. وقال هذه مفاتيح الصناديق معي.. وهو الدليل على أن هذا المال مالي.. فقال الأخوة لقد كذب.. فالمفاتيح مفاتيحنا.. وقد سرقها منا وهرب.؟!

فقال الفتى الصغير لأخوته وامام والديه.. اذا كانت الصناديق لهم فهم لا بد أن يعرفوا ما بداخلها نوعا وعددا فاذا عرفوه فهي لهم.. أما إذا لم يعرفوه فمعنى هذا أن المال ليس لهم.. وأنهم أخذوه مني وبقي مجهولا لديهم.؟!

أما أنا فانني أعرف ما بداخل هذه الصناديق من ذهب وفضة وخلاف ذلك.؟!

واتفق الجميع على أن هذا هو الدليل القاطع لمعرفة صاحب المال والأحمال..

وقال الأخوان الكبيران إن الذي في هذا الصندوق ذهب وعدده كذا وكذا.؟!

فقال الأخ الصغير.. إن الذي فيه فضة وعدده كذا وكذا..

وفتح الصندوق وعد ما فيه فاذا هو كما قال الفتى الصغير ثم جعل الأخوة يكشفون الصناديق واحداً تلو الآخر.. بعد أن يعلنوا عما فيها.. فيصدق الصغير.. ويكذب الكبيران.

ورأى الوالدان ذلك.. وتحققا أن الأموال للفتى الصغير دونهما.. وأنهما اتفقا على التخلص من أخيهما ليكون المال لهما دونه.. فحكما بالأموال للفتى الصغير.. فاستولى عليها جميعها.. إلا الشيء القليل الذي ذهب من هنا وهناك..

وكان الفتى شهما كريما.. فعطف على أخويه وواساهما واستل منهما عوامل الكيد والحسد.؟!

كما أنه تجاهل ما صنعوا به.. حتى كأنه لم يكن..

وعاش الجميع في سبات ونبات.. ورزقوا الكثير من البنين والبنات.. حتى جاءهم هادم اللذات ومفرق الجماعات.. وهكذا تنتهي الأجيال في هذه الحياة.!!

لعبد الله بن ربيعة في الرثاء..!!

مرحوم يانار على ضلع سنجار
يفرح بها الساري من الشام للطور
مرحوم يامن عاش عينه على الجار
مرحوم ياسربال جاره عن الجور
كنه عجل لكن الى أمعنت صبار
سباق لأجناسه ولو كان مهجور
فإلى اصطفق رنق وفي الحال ينذار
تلقى العواقب منه نور على نور

سالفة:

٨ - حب مصافي.. وحب مرافي!!

جاء الأطفال إلى جدتهم هذه الليلة مبكرين فوجدوها في مصلاها لم تكمل صلاتها بعد.. وانتظروها حتى انتهت ثم جاءت وجلست بينهم.. وقالت يا أولادي إنني سوف أقص عليكم سالفة يسمونها «حب مصافي وحب مرافي وحب يا صاحبي فيه القتل»!!

فوافق الأطفال على سماع هذه القصة أو السالفة التي فيها حب وفيها قتل.. وفيها مفارقات.!!

وشرعت الجدة في سالفتها قائلة:

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي والى هنا هاك الحريم اللي مجتمعات في احدى السكك المسدودة.. والتي يجتمعن فيها على الدوام.. يتحدثن ويتسلين.. ومع الحديث

والتسلية فان منهن من يكون معها صوف تغزله . . ومنهن من يكون معها ثوب تخيطه ومنهن من يكون معها خوص من عسبان النخل تعمل منه سفيفة . . ثم تعمل من السفيفة زبيلاً أو قفة أو حصيراً ومنهن من ليس لها عمل إلا مضغ اللبانة . . ومضغ الحديث . . والكلام في عرض فلان أو فلانة . . كان هذا ديدنهن في اجتماعاتهن التي هي تسليتهن الوحيدة . . ومتنفسهن المفضل . . ومنطلقهن الوحيد الذي يعرفن فيه ومنه ما حدث . . أو ما يتكهن بحدوثه في مثل مجتمعن المحدود . .

واجتمع النسوة ذات ليلة ممطرة مدلهمة . . وكان فيهن الفتاة البكر . . والمتزوجة الناجحة . . والمرأة المطلقة والأرملة التي فاتها قطار الزواج . .

وقالت إحدى النساء التي كان زوجها فلاحاً . . لقد زرعنا في السنة الماضية زراعة الشتاء في القصر الفلاني . . وذكرت اسم قصر معروف في وسط الصحراء وهذا القصريبعد عن البلدة عدة كيلومترات . .

وواصلت المرأة حديثها قائلة : وعندما انتهت زراعة الشتاء جمعنا متاعنا . . ومحصولنا من الحنطة ثم رجعنا إلى بلدنا . . وقصدنا منزلنا الذي نملكه فيها . .

وعندما استقر بنا المقام بدأت بترتيب البيت . . ووضع كل شيء في مكانه المعتاد . .

وجاء دور المعدات التي نستعين بها في شئون الفلاحة.. ووجدت أنني قد نسيت فهرا كنا نكسر به النوى لدوابنا.. وتذكرت أن الفهر في المكان الفلاني.. وبالحجرة الفلانية من ذلك القصر المهجور.!!

ثم استمرت في حديثها قائلة:

وأنا أراهن أي واحدة منكن تستطيع أن تذهب في هذه الليلة المظلمة الماطرة.. ثم تأتي بهذا القهر.؟!

وقال النسوة لها: وما هو الرهان.؟!

فقالت المرأة إنها حلقتي التي فوق رأسي.. وقال بقية النسوة إن التي تستطيع أن تأتي بهذا الفهر في هذه اللية سوف تستحق منا مكافأة أيضاً.!

وقالت فتاة جريئة أنا سوف آتي بهذا الفهر وأريد من كل واحدة منكن أن تعلن عن المكافأة..

فمنهن من قالت لك خاتمي.. ومنهم من قالت لك مرفودتي وهي نوع من الحلى الذي يلبسه النساء في أيديهن..

ومنهن من قالت لك حجولي وهي نوع من حلية الرجلين.. واستغرب النسوة من جرأة الفتاة التي قالت إنها سوف تذهب لاحضار الفهر.. وظنن أنها غير جادة فيما تقول.!!

ولكن الفتاة أظهرت عزماً وتصميماً على إحضار الفهر والشيء



النساء مجتمعات.. وقد جعلن رهاناً لإحدى الفتيات

الوحيد الذي طلبته أنها قالت:

أريد كفيلاً في الرهان المتفق عليه.. وتقدمت إحدى الجالسات الموثوقات المحترمات.. وقالت أنا الكفيلة بالرهان الذي ذكر..

وقامت الفتاة المراهنة.. وذهبت إلى بيت أهلها.. وأخذت عصا وسكيناً لتدافع بهما عن نفسها..

وكان في البلد في تلك الليلة زواج.. والنساء يتوافدن عليه جماعات ووحدانا..

وكان لهذه الفتاة التي ستذهب لاحضار الفهر أخ شاب يحب فتاه من فتيات البلد إلا أنه لا يستطيع الوصول إليها. وترقبها هو وأحد زملائه. في أحدى المنعطفات التي في طريق الفتاة..

وخرجت الفتاة من بيت أهلها وحيدة.. وهي متعطرة متزينة لابسة أفخر ملابسها.. ومتحلية بأغلى حليها.. وعندما وصلت إلى ذلك المنعطف المنزوي.. رأت الشابين ولكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً.. فقد أذهلتها الروعة وتملكها الخوف.. ولم تستطع أن تبدي أي مقاومة.. فاختطفوها هو وزميله.. وخرجوا بها من البلد.. قبل خروج الفتاة التي تريد أن تنفذ الرهان..

وسار الشابان بالفتاة المخطوفة في طريقهم إلى ذلك القصر الزراعي المهجور الرابض في قلب الصحراء.!

ومن غرائب الصدف أن يكون هذا القصر هو القصر الذي سوف تقصده الفتاة المراهنة على إحضار الفهر..

وسار الشابان.. وسارت الفتاة المراهنة خلفهم.. وهي لا تدري من يكونون.. ولا أين يقصدون.. إنها تتبعهم لتأنس بأصواتهم.. من غير أن يكون لهم علم بها.! لأنهم لو علموا بها لكان من الممكن أن يختطفوها.. وأن يكون مصيرها مجهولا كمصير تلك الفتاة التي بين أيديهم..

وقرب الشابان من القصر المقصود للجميع.. ومالت الفتاة المراهنة عن طريقهم.. وسلكت إلى القصر طريقاً آخر أقصر من طريقهم.. فوصلت قبلهم.. وقصدت الحجرة التي فيها الفهر حسب ما وصف لها لتأخذ الفهر وتعود أدراجها..

إلا أنها لم تشعر وهي تبحث عن الفهر إلا بالشابين يدخلان عليها تلك الحجرة.. وكان الظلام دامساً.. فليس من الممكن أن يروه.. فقامت مسرعة وصفت على رف معلق في الحجرة للبعد عن طريقهم.. في دخولهم وخروجهم.!

واستقر الشابان بالفتاة المخطوفة المغلوبة على أمرها في تلك الحجرة..

ودار بينهم أحاديث.. وجرت بينهم شئون.. والفتاة المراهنة تسمع دون أن ترى.. أو ترى..

وقد أحاطت بجميع حركاتهم وسكناتهم.. وعرفت أحد

الشابين ولم تعرف الآخر.. وعندما إنتهى كل شيء سأل الشابان الفتاة المخطوفة ماذا تحب.؟!

هل تريد أن يعيدوها إلى البلد على شرط أن لا تبوح بالسر لأحد أم تريد أن يقتلاها.. ويدفناها في هذا القصر المهجور في قلب الصحراء؟!

وفكرت الفتاة قليلا.. ثم قالت: لقد إنتهيت من هذه الحياة معنوياً.. وبقي أن أنتهي منها جسديا فلا خير في الحياة بعد الذي جرى.. ماذا سيكون موقفي أمام أهلي.؟!

وماذا يكون موقفي أمام مجتمعي الذي لا يرحم.. إن الناس لن يعذروني.. ولن يقولوا إنني مغلوبة على أمري.. إنهم سوف ينظرون إلي باحتقار وإزدراء.. وسوف أجلب السبة لجميع أقاربي.. وسوف أكون عالة على أهلي طيلة أيام حياتي.!

ولهذا فانني أرى أن الموت في هذه الساعات المبكرة أفضل من الموت البطيء الذي ينتظرني.. والفضيحة التي سوف تلاحقني أينما ذهبت.. وكيفما كنت.!

وأخرج أحد الشابين سكينا حادا قطعوا به رأس الفتاة وهي مستسلمة لهم.. لم تحاول أي مقاومة.. وعندما قتلاها قال القاتل لزميله إبحث لي عن خرقة أمسح بها السكين.!!

وبحث عن خرقة في الأرض فلم يجد.. وقام يتلمس

الأرفف وقرب إلى الرف الذي تقف فوقه الفتاة المراهنة.. وكادت يده أن تلامس ثوبها.. إلا أنها إبتعدت قليلا وبغاية الهدوء عن متناول يده.. وضمت بعضها إلى بعض.. ولصقت بالحائط كاتمة أنفاسها..

والمهم أن الشاب لم يجد خرقة.. فمسحوا السكين في التراب.. ثم حفروا للفتاة ولفوها بحليها وأثوا بها.. ثم دفنوها في تلك الحفرة..

وقال أحد الشابين للآخر لقد صح ذلك المثل الشعبي الذي يقول: «حب مصافى وحب مرافى وحب ياصاحبي فيه القتل».. فأجاب زميلة بقوله: نعم وقد قال الأولون: ومن الحب ما قتل.!!

وبعد ذلك انصرف الشابان راجعين أدراجهما إلى البلد.. وكأن شيئاً لم يكن.!! أما الفتاة المراهنة فإنها عندما تيقنت أن القتلة إبتعدوا وأنه لا خوف من عودتهم نزلت من الرف.. وأخرجت الفتاة المقتولة من قبرها.. وأخذت حليها.. ثم بحثت عن الفهر حتى وجدته ثم عادت إلى النسوة اللاتي راهنها فوجدتهن في إنتظارها وعندما أقبلت عليهن سمعتهن يتحدثن عنها.. وهل تستطيع أن تصل إلى هذا القصر أم لا.. وإذا وصلت إليه هل ترجع بكامل عقلها.. أم تصاب بروعة تفقدها شيئاً من اتزانها وجرأتها..

ولم يشعر النسوة إلا بالفتاة تقف بينهن وتلقي بالفهر عند صاحبته.

فدهش النسوة جميعاً.. واستغربن.. ونظرت صاحبة الفهر

إليه وفحصته لترى هل هو فهرها أم أنه يشبهه.. فإذا الفهر هو فهرها بعينه وسنه.. فأعطت الفتاة الرهان المتفق عليه..

أما النسوة الباقيات فقد أراد بعضهن أن يماطل وأن الرهان بينها وبين صاحبة الفهر فقط.. ولكن المرأة الكفيلة كانت حازمة وقوية فأرغمت الباقيات على دفع الرهان.!!

وأخذت الفتاة ذلك الحلي وضمته إلى ما معها من الحلي الذي أخذته من الفتاة المقتولة.. وذهبت بالجميع إلى بيت أهلها.. وأخفته عنهم.. أو على الأصح أخفت ما كانت سلبته من الفتاة المقتولة.. خوفا من أن ينكشف أمر الجريمة.. فيكون ضحيتها أخاها وزميله وكذلك هي.. فإنها صارت شريكة فيها.. فهي لم تكن شريكة في القتل.. هذا صحيح.. ولكنها شريكة في السلب، وشريكة في التستر على القاتلين.!!

وبحث أهل الفتاة المقتولة عنها فلم يعثروا لها على خبر.. واستمر البحث والتحري بالطرق البدائية العتيقة.. التي لا تعتمد على مجهود دولة.. وإنما تعتمد على مجهود أفراد سرعان ما يسأمون ويملون ويتركون الموضوع في طوايا النسيان..

ومضت الأيام والشهور والسنوات يتلو بعضها بعضاً دون أن تنكشف هذه الجريمة.. ودون أن يعثر لهذه الفتاة المفقودة على أثر.!!

وفي ذات يوم كانت هذه الأخت.. أي أخت القاتل تتحدث

مع إحدى زميلاتها في بيت أخيها القاتل.. وقالت في أثناء الحديث.. وهن يتحدثن عن العواطف الإنسانية وأوجه الشبه بينها.. وأوجه المفارقات..

قالت هذه الأخت: إن دنيا الحب عجيبة غريبة.. فيها الشاذ وفيها المعتدل.. وفيها الفاتر الذي لا طعم له ولا لون.. وفيهـا ما قد يدمر.. أو يهلك.!! وهناك مثل شعبي يقول «حب مصافي وحب مرافق وحب يا صاحبي فيه القتل» ويقولون في حكمة أخرى «ومن الحب ما قتل».. وكان أخو الفتاة يسمع هذا الكلام من لسان أخته وهو الكلام الذي كان جرى بينه وبين شريكه في الجريمة حرفا حرفا وكلمة كلمة.!! وخاف الأخ أن يكون قد إنكشف أمرهم وأن جريمتهم قد عرفت وهم غافلون..

وبعد أن خرجت المرأة الزائرة دعا أخته وخلا بها وقال لها أعيدي علي ما كنت قلت أمام المرأة التي خرجت عن الحب ومافيه من عواطف وانفعالات ومفارقات.!! فخافت الفتاة وقالت إنني لم أقل شيئاً عن الحب وأرادت الإنكار.. ولكن أخاها هددها بالقتل إذا أرادت الإنكار ولم تعد عليه ما قالته للمرأة..

وقالت الأخت لأخيها إنني أريد منك الأمان.. فقال لك الأمان.. فأعادت الفتاة ما كانت قالته أمام المرأة ولم تنقص من ذلك حرفاً..

وقال لها أخوها متى سمعت هذا الكلام.. وممن سمعتيه؟! فقالت لقد سمعته في تلك الليلة التي تزوج فيها فلان ابن فلان

بفلانة بنت فلان..

فقال الأخ وأين سمعتيه فقالت سمعته في القصر الفلاني فقد راهنني السيدات على أن آتي بفهر من هذا القصر في تلك الليلة المظلمة الماطرة.. وصادف خروجكم من البلد وقت خروجي.. ثم قصت عليه ما جرى كله.!!

فقال الأخ لأخته وهل علم بهذا السر أحد؟! فقالت الأخت كلا إنني لم أخبر أحداً كائنا من كان بما رأيت.!!

فاطمأن الأخ بعض الإطمئنان.. ثم قال لأخته لقد أعطيتك الأمان.. وأنا عند كلامي.. ولكن اعلمي أن هذا السر لا يعرفه إلا نحن الثلاثة. فأما أنا وزميلي فمن المستحيل أ نفشيه.. لأن في إفشائه هلاكنا.. وبقيت أنت.. فوالله وبالله وتالله لئن ظهر هذا السر الذي فيه نهايتنا لنقضين عليك قبل أن يقضوا علينا.!

وارتعشت الفتاة من هذا التهديد.. ووعدت أخاها بكتمان السر.. وأكدت له هذا الوعد بمختلف الايمان المغلظة التي اطمأن إليها الأخ كل الاطمئنان.. ووثق بها كل الثقة.!!

ومضت على ذلك أيام وشهور دون أن يظهر للسر أي بادرة وجاءت مناسبة من المناسبات فلبست الفتاة الحلي الذي كسبته من الرهان ولبست معه بعضاً مما سلبته من تلك الفتاة المقتولة.. ولاحظ بعض السيدات ذلك الحلي وعرفت صاحبة المفقودة.!!

فقبض على الفتاة وضيق عليها الخناق حتى اعترفت أمام

المحققين بكل ما حدث. . فقبض على القاتلين. . وأقيم عليهما حد القصاص.

أما الفتاة فقد حكم عليها بالسجن لفترة من الزمن. . عقاباً لها على سلبها للحلي. . وعلى تسترها على القاتلين. .

وهكذا كان مصير المجرمين. . فإن الجريمة لو خفيت بعض الوقت فإنها لا بد أن تنكشف مهما طال الزمان. . وقد قال الأولون «بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين. .» كما رووا أن أحد الصحابة قال ويش يخفى يا رسول الله قال ما لا يكون. .

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

ابراهيم بن مزيد في الكويت

يا أهل الهوى حذري تمرون خيطان

المـوت فيـه مـركـزات خيـامـه

فيه المهار اللي بلا سرج وعنان

بنحـورهن لأهـل المـوده عـلامـة

بغيت أطيح بدربهم يا ابن جمعان

لـولا الله أبرك جـارني بـالسـلامة

لـولاي صايم والعـرب في مسيـان

وأخشى يقـال فلان خـرب صيامه

لهـدفيهم هدة الـذيب سرحـان

وأطفي لهيب الجـاش وأبرد غـرامه

لاشـك أداري قولـه فـلان وفـلان

أهـل الحكـايـا بالقفى والنمـامة

سالفة :

٩ - من حيل العجائز ..

جاء الأطفال إلى جدتهم.. واقترح عليها أحدهم أن تقص عليهم سالفة من سواليف العجائز.. وأنواعا من حيلهن.. فقالت الجدة حبا وكرامة.. ولكن عليكم ان لا تصدقوا بكل ما تسمعون.. لأن الناس يكذبون.. ولا سيما على العجائز.. وينسجون حولهن كثيرا من القصص والخرافات.. البعيدة عن الواقع بعد السماء عن الأرض.!!

وما ذلك إلا لسبب كراهتهم لهن حينما أمسين ولا جمال ولا مال ولا رجال.!!

وقد تظنون يا أولادي أنني أدافع عن نفسي بدفاعي عنهن.. ولكن الحق يجب أن يقال.. فالعجائز لا بد أن يكون فيهن من تمكر.. وتكيد.. وتحتال.. وتصنع بعض الحيل لبلوغ ما تريد..

ولكن الشيء الذي أريد أن أقوله هو أن لا تصدقوا بكل ما ينسب إلى العجائز.. ولا تأخذوه مأخذ الجد.. بل خذوه على أنه مجرد لهو بريء وتسلية عابرة.. وخيالات ينسجها بعض الرجال حول النساء..

وبعد صبر الأطفال على سماع هذه المقدمة الفلسفية التي لا يفهمون لها معنى.. قالوا لجدتهم ابدأي في السالفة.. اننا نريد السالفة فقط.!!

فشرعت في السالفة قائلة:

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الذي متزوج بزوجة جميلة جداً.. إلا أنها مصابة بكثير من البلاهة والتغفيل.. وتعرفون يا أولادي أن الكمال لوجه الله وحده.. ومن النادر.. بل يكاد يكون من المستحيل جمال الظاهر مع جمال الباطن إلا ما يخص الله به بعض خلقه..

وكان زوج هذه الجميلة كثير الأسفار.. لا يكاد يقر له قرار.. لأنه يكسب رزقه من هذا الطريق.. وكانت أسفاره في الغالب لا تطول.. فاذا قدم بقي عند زوجته فترة من الزمن يسافر بعدها إلى أعماله.!!

وكان في ذلك الشارع الذي يسكن فيه زوج هذه الجميلة رجل آخر.. لمح زوجة جاره فأعجب بجمالها.. بل سحر به.. وكاد يجن جنونه هياما بها.!!

وفكر كيف يستطيع أن يصل إلى هذه المرأة.. مع أنه متزوج

وزوجته على درجة من الجمال لا بأس بها.. إلا أنه الطمع الذي طبع عليه الانسان.. والأنانية التي تتحكم فيه.!!

وأخيراً رأى أنه لا يصح أن يفاجئها في بيتها فقد تصبح وينكشف الأمر للجيران.. ولا يمكن أن يكلمها في الشارع فهي قد لا تجيبه إلى ما يريد.. بل انها قد تجيبه بجواب قاس يزيد من لوعته.. ويزيد من عذابه.!!

واذاً فإنه يجب أن يفكر في طريقة أخرى مستورة.. فاما ان ينجح بستر وصيانه.. واما ان يفشل.. وييأس.. ولا يكون هناك سبيل للوصول إلى غرضه.!!

وكان يعرف امرأة عجوزا في شارعهم.. كما أنه كان يسمع عن حيل العجائز ومكرهن وسعة مداركهن في مثل هذه الأمور.. فقصدها الرجل.. وقال لها انني أريد أن اجتمع بزوجة فلان وانا مستعد بما تطلبين.. فقالت العجوز انه امر سهل علي وهو في متناول يدي.. ولكنك تعرف أن كل شيء بثمن.. وكل خدمة لها أجرة.. والأجر يتناسب مع الخدمة المؤداة.. فاذا كانت الخدمة ثمينة فان الأجر يجب أن يتناسب معها.. واذا كانت أقل فأجرها أقل.. وكل حجرة ـ كما يقولون ـ لها أجرة..

فقال لها الرجل اطلبي ما يتناسب مع خدمتك فأنا طوع أمرك.. وفرضت العجوز ثمنا باهظا لخدمتها تلك.. فقبل الرجل ما فرضت ودفع لها نصف الأجر مقدما.. ونصفه عند اتمام العمل..

وقالت العجوز للرجل اذهب الى شأنك ودع الأمر لي فانني سوف انتظر سفر زوجها في احدى سفراته.. وأهيء الطريق التي استطيع ان أدخل بها على هذه المرأة.. ويجب أن تكون طريقة معقولة.. لأن البيوت يجب أن تؤتى من أبوابها.!!

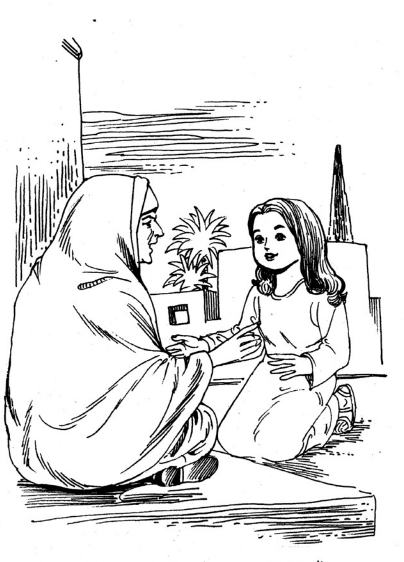
ووافق الرجل على كلام العجوز.. وتركها تعمل ما تراه يؤدي إلى الغرض المقصود..

وذهبت العجوز إلى المرأة بعد أن سافر زوجها.. ودخلت عليها كاحدى جاراتها فوجدتها وحدها.. فهشت المرأة لهذه العجوز وبشت.. ورحبت بها ترحيبا حاراً؛ لأنها سوف تجد فيها مؤنسة.. وستجد فيها امرأة مجربة تستفيد من تجاربها.. وخبرتها في الحياة.!!

وجاءت المرأة بالقهوة.. وجلستا تتحدثان.. وطال الحديث وتفرع.. حتى أنست كل واحدة منهما بالأخرى.. وقالت العجوز للمرأة: مالي أرى صحتك منحرفة.. فقالت المرأة انني حبلى.. وفي الشهور الأولى من الحمل.. وان نفسي لا تطلب شيئا من الزاد إلا قليلا.. والقليل لا يعطيني القوة الكافية.. لأنه يتوزع بيني وبين الجنين.

فقالت العجوز أصحيح أنك حامل.؟! فقالت المرأة نعم انه أمر مؤكد.. وأنا أحس بحركته في أوقات متفاوته..

فقالت العجوز: وإذن كيف يسافر زوجك وأنت حامل.؟!



العجوز تغري بعض الزوجات بإحدى الموبقات

فقالت المرأة وما المانع من ذلك.. وما العلاقة بين سفر زوجي وبين حملي.؟!

فقالت العجوز انك يا بنتي لا تدرين.. فأنت لا زلت غريرة صغيرة جاهلة بهذه الأمور.. فالزوج اذا حملت زوجته يجب عليه ان يبقى بجوارها ليكمل الجنين.. فقالت المرأة وكيف يكمله..

فقالت العجوز ان المرأة عندما تحمل يكون جنينها قطعة من اللحم مجتمعة تنقصها اليدان والرجلان.!! وينقصها الرأس والعينان.!! فاذا كان الزوج بجوار زوجته في هذه الايام الأولى من الحمل.. فانه يكمل هذه النواقص بالتدريج.. واحدة إثر واحدة..

أما اذا كان مسافراً فان الجنين يبقى ناقصا قد يخرج من بطن أمه بلا يدين.. أو بلا رجلين.. أو بلا رأس وبهذا يكون هذا الطفل الوليد مشوها.. وعبئاً ثقيلاً على أهله كما أنه يعيش شقيا محروما من ملذات هذه الحياة.!!

فدهشت المرأة عندما سمعت هذه الترهات التي ظنتها حقائق وهي لا تعرف عنها شيئا لصغر سنها وقلة تجاربها.!!

وقالت الفتاة للعجوز أكل ما قلتيه صحيح يا أماه.؟!

فقالت العجوز إنه صحيح بكل تأكيد.. وليس نتيجة ظنون وتخرصات ولا حديثاً عن فلان أو فلانة.. ولكنه نتيجة تجاربي

بنفسي.. والتي لا يتطرق إليها الشك حسب ما مر بي من أمثال هذه الأمور.

فقالت المرأة بسذاجة وحسن نية: وما هي هذه الطريقة يا أماه لتلافي هذا النقص.؟! اننا أمام أمر واقع حسب ما تقولين فاذا كان التأجيل لا يؤثر على الجنين صبرت حتى يأتي زوجي من سفره فأخبره بهذا الأمر لأنه قد يجهله.. وبهذا يتلافى هذاالخطر المحدق بنا وبولدنا..

أما اذا كان لا يحتمل التأجيل فما هو الرأي الذي ترين أن نتبعه يا أماه.؟!

فقالت العجوز ان كل يوم يا بنيتي يمر لا يعود ولا يعوض فالتكملة يجب أن تكون في أوانها.. وفي الأيام الأولى من الحمل.. واذا فات وقتها.. فانه لا يمكن أن نعمل شيئا.. وبهذا يبقى الطفل مشوها.!!

فقالت المرأة وماذا ترين ان نفعل قبل فوات الأوان فقالت العجوز يا بنيتي لقد أحببتك من أول لقاء.. والدافع هو شفقتي عليك كما أشفق على إحدى بنياتي..

والرأي عندي أن لي جاراً شهماً كريماً سوف أعرض عليه الأمر.. واطلب مساعدته في هذا الشأن.. فلعله يستجيب من باب النخوة والحمية.. وعندئذ أجمعك به ويكمل الجنين.!!

فقالت المرأة.. إن الرأي ما ترينه يا أماه فدبري الأمر كما

ترين وأخبريني عندما يوافق الرجل.. وذهبت المرأة العجوز إلى الرجل.. وقالت له لقد تم كل شيء فكن على استعداد بعد مغرب هذا اليوم.. وأخبرته بالطريقة التي يخاطب بها المرأة.. حتى لا يختلف كلام العجوز مع كلامه..

وعادت العجوز إلى المرأة فأخبرتها بأنها وجدت الرجل كما أملت فيه شهما كريما ذا نخوة وحمية.. وقد أقنعته بأن يأتي إلى دارها بعد صلاة المغرب

فوافقت المرأة وسرت سروراً عظيما بمبادرةالعجوز بعلاج هذا النقص.. وشفقتها على الجنين من التشويه.!!

وعندما جاء الموعد المحدد كانت المرأة بكامل لباسها لدى لعجوز..

ثم جاء الرجل بعدها بدقائق معدودات.. واستمر اللقاء عدة مرات في كل مرة يدعى الرحل أنه قد أكمل عضواً من الأعضاء الناقصة.!!

وانتهت أخيراً مآرب الرجل وكمل الجنين كما يزعم هو وتزعم العجوز.. ودفع الرجل بقية الثمن المتفق عليه.. وذهب كل من الثلاثة في حال سبيله.!!

وبعد فترة من الزمن قدم زوج المرأة المخدوعة من سفره وكانت هذه الزوجة عندها الكثير من الطيبة التي تبلغ في بعض الأحيان حد التغفيل.. وكانت صريحة حيث أخبرت زوجها بكل

ما جرى.. ولامته لوما عنيفا حيث قالت له يا أبا فلان كيف تسافر وأنا في الأيام الأولى من الحمل.. وتترك الجنين في بطني ناقصاً.؟!

هل تريد أن يخرج ولدنا بلا يدين.؟! أو يخرج بلا رجلين. أو يخرج بلا رأس ولا أذنين.؟!

فقال الزوج وقد سمع هذا الكلام الغريب بدهشة بالغة.. وعلم أن في الأمر مكيدة.. قال لزوجته ومن قال لك هذا الكلام ومن وسوس لك بهذه الوساوس.!!

فقالت المرأة انها ليست وساوس ولكنها حقيقة.. وهي نتيجة لتجارب لا يتطرق اليها الشك كما قيل لي. فقد قالته لي امرأة مجربة.. هي جارتنا العجوز.. التي كانت ذات غيرة ومحبة..

فقد ذهبت بنفسها إلى جارنا فلان وكلمته في الموضوع وطلبت منه أن يكمل الجنين.. فاستجاب لطلبها مشكوراً وأكمل الجنين مسروراً.!!

وعلم الزوج أن في الأمر خدعة.. وأن زوجته البلهاء قد وقعت في ورطة بسبب تلك العجوز الماكرة.!!

وقال الزوج لزوجته بدون غضب ولا انفعال.. جزاهم الله خيراً لقد أحسنت العجوز وأحسن جارنا العزيز.. حيث فطنوا لما لم أفطن له..

وصار يعامل زوجته وكأن شيئاً لم يكن.. فلما استقر به المقام.. وهدأت أعصابه من هذه اللطمة الموجعة التي حيكت

بعقل ورويه.. وكتمها في نفسه.!!

وفي ذات ليلة ـ وبعد تفكير طويل ـ أخذ سكينا حاداً ودسها بين أثوابه.. وذهب إلى العجوز التي عرف بيتها من وصف زوجته.. وقرع عليها الباب ففتحت.. فدخل بعد أن دفع الباب بقوة.. وصار أمام العجوز وجها لوجه.. وأحست العجوز بالشر يتطاير من عينيه.. وعندئذ أخرج السكين من بين ثيابه.. وقال لها: ـ

لقد خدعت زوجتي المسكينة منتهزة فرصة غيابي.. ومستغلة غفلتها وسذاجتها.. ولقد جئت إليك وأنا مصمم على أحد أمرين إما أن تأتي إلي بزوجة فلان كما ذهبت بزوجتي إليه.. واما أن أقتلك حالاً.. وأدفن جثتك القذرة في التراب.!!

فقالت العجوز هون عليك يا ولدي ولا داعي للانفعال ولا داعي للقتل.. وأنا مستعدة أن آتي اليك بزوجة فلان.. وأن أخدمك أيضا في أي أمر تريده مني.!!

فقال الرجل انني لا أريد منك إلا أن تجمعيني بزوجة فلان ولا شيء غير ذلك...

فقالت العجوز ان هذا أمر سهل علي فاعطني مهلة يوم أو يومين حتى أرسم الطريقة التي أصل بها إلى غرضي وأحقق بها طلبك بستر ومصونة.!!

فقال الرجل: لك ما طلبت.. وذهب وتركها تدبر أمرها

وراقبت العجوز زوج المرأة المطلوبة.. وتعرفت أوقات دخول زوجها وخروجه.. وساعات عمله التي يغيب فيها عن البيت وساعات راحته التي يأوى فيها إلى عائلته..

ودقت العجوز على بيت الرجل في أوقات غيابه.. ودخلت الى زوجته فهلت بها ورحبت.. وجلست المرأتان تتحدثان عن أمور النساء.. وحوادث الجيران.. وعلاقة الرجال بالنسوان.!! ورأت العجوز أن شعر المرأة أشعث أغبر.. فقالت لها بحنان وشفقة: !!

لماذا يا بنيتي شعرك هكذا.؟! أهذا عمل امرأة يدخل عليها زوجها صباح مساء.؟! أما تعلمين أن كثيراً من الرجال تسحرهم المناظر الجميلة.. ولا سيما الشعر المرتب المظفور..

أسرعي يا بنيتي وأتيني بمشاط ـ وهو أخلاط من الزهور المطحونة الطيبة الرائحة توضع على شعر المرأة فتشد بعضه إلى بعض.. وتجعل له رائحة زكية فاتنة ـ

فأسرعت المرأة وجاءت بالمشاط.. وجاءت بالحلي الذي يربط في الشعر مع المشاط.. وجلست أمام العجوز مولية ظهرها إليها..

فأخذت العجوز في عملها وشبكت حلي الرأس في الشعر وهي الحلاق جمع حلقة.. حتى لم يبق إلا حلقة واحدة هي تكملة العدد.. وبها يتناسق الحلي فوق الرأس وبحثت العجوز عن هذه

الحلقة المفقودة فلم تجدها وقالت العجوز للمرأة ان الحلاق تنقصها واحدة.

فقالت المرأة لقد أتيتك بها كاملة في غلافها.. وليس فيها أي نقص..

فقالت العجوز: اذاً فابحثي عنها في حجرك.. وأنا أبحث عنها في حجري.. وبحثت المرأتان في حجريها فلم تجداها وعندئذ قالت العجوز.. إن من المؤكد أن البلاعة قد ابتلعتها.. والبلاعة كناية عما لا يليق ذكره..

فقالت المرأة بدهشة بالغة: وكيف تبتلعها.؟! وهل سبق أن حصل مثل هذا الأمر.!!

فقالت العجوز نعم إن المرأة في بعض الساعات يكون لديها استعداد لهذا الأمر.. ولقد سبق لي أن رأيت عدة حالات مثل حالتك تماماً.. رأيت ذلك بعيني رأسي ولا أقول أخبرتني فلانة أو فلان..

فازداد عجب المرأة.. وقالت للعجوز.. وكيف الطريق إلى إخراج هذه الحلقة يا أماه.؟! فقالت العجوز إن إخراجها صعب فلا أنا أستطيع إخراجها ولا أنت ولا زوجك أيضاً.!!

فقالت المرأة وما هو رأيك إذن.؟! فقالت العجوز إنه لا يخرج هذه الحلقة إلا رجل ماهر مجرب قد لا يوجد في الألف رجل من هذا النوع إلا واحد فقط.!! لأنه لا بد أن يكون هذا الذي

يخرج الحلقة سباحاً ماهراً وغواصا طويل النفس.!!

وأنا أعرف شخصاً تجتمع فيه هذه الصفات.. فإذا أردت أن أذهب إليه خفية.. وأطلب منه أن يأتي لإخراجها فلعلي أستطيع إقناعه.. مع العلم أنه رجل تقي ورع.. ويتحرج من فعل بعض هذه الأمور.. إلا أنني سوف ألح عليه في هذا الأمر.. وأعده بأن يكون هذا العمل سراً لا يعلم به أحد من الناس غيرنا نحن الثلاثة..!!

فقالت المرأة بحسن نية جزاك الله خيراً يا أماه.. وإذن فاذهبي إليه في الوقت المناسب وخذي منه موعداً وأخبريني بذلك قبل الموعد بوقت كاف حتى أكون على إستعداد..

وذهبت العجوز ثم عادت إليها في اليوم الثاني.. وبشرتها بأن الأمور ميسرة.. وأنها قد اتفقت مع الرجل بعد بذل جهود مضنية.. وهو سوف يأتي إلى بيتي في الساعة الفلانية.. فكوني على إستعداد قبل ذلك.. ثم كوني في بيتي في الموعد المحدد..

وكانت العجوز قد أفهمت الرجل بالطريقة التي خدعت بها المرأة حتى يتصرف على ضوئها.!

واجتمع الرجل بالمرأة في بيت العجوز مرة ومرتين وثلاثاً وهو في كل مرة يبحث عن موضع الحلقة فلا يهتدي إلى مكانها أما في المرة الثالثة فقد أعطته العجوز الحلقة وأوصته بأن يتظاهر في آخر مرة بأنه وجدها وأخرجها من مكانها الذي كانت لا صقة فيه.. ثم

أعطاها إياها فنظرت إليها فإذا هي حلقتها.. ففرحت فرحاً شديداً.. وعادت إلى بيتها والسرور يملأ إهابها.!!

وما إن دخل عليها زوجها حتى استقبلته بنفس الفرح والبهجة.. وقالت له: مبادرة وبلا مقدمات: ألا تعلم يا أبا فلان ماذا حدث.؟! وظن الزوج لأول وهلة أن حادث سرور قد وقع لزوجته وهو لا يعلم به..

ولذلك فقد طلب من زوجته أن تدلي إليه بتفاصيل ما حدث.!! فقالت الزوجة بكل براءة.. أو بكل سذاجة.. أو بكل تغفيل.. ألم تعلم أن ذلك مني كان قد ابتلع حلقة من حلقات الزينة.. وذلك حينما كانت العجوز الفلانية تمشط شعري.؟! وأنها اهتمت بالموضوع.. وجاءت برجل طيب لديه خبرة.. ولديه تجارب كثيرة في هذه الأمور.. فأخرج هذه الحلقة من المكان الذي كانت ملتصقة فيه بكل سهولة.. بحيث أنني لم أشعر بأي ألم من جراء ذلك..

والخلاصة أنها خرجت بلا متاعب.. كما أنها دخلت على حين غفلة مني وبلا متاعب..

وسمع الرجل هذا الكلام.. وكاد أن يصعق.. حيث علم أن زوجته وقعت في أحابيل تلك العجوز الماكرة.. التي سهلت له ماأراد سابقاً.. والآن تسهل لغيره الطرق.. والجروح قصاص.!!

وتظاهر الرجل بالرضا وحمد الله الذي أنجا زوجته من أضرار

هذه الحلقة التي كان يخشى أن تأثر على صحة زوجته..

وخرج الأخير ذات يوم من منزله فتقابل وجها لوجه مع غريمه وصافحه قائلا: أهلا بمكمل الرجلين والرأس.!! فأجابه زميله أو غريمه بقوله: يا مرحبا بالسابح الغواص.!! وكانت الكفة متعادلة بين الغريمين إلا أن البادي أظلم..

وتكاشف الرجلان بما قد كان.. ثم فكرا في العجوز وقال أحدها للآخر: إننا لا ينبغي أن نترك هذه العجوز في شارعنا كيلا تعيد ألاعيبها على زوجاتنا.. فهذه العجوز مستعدة أن تلعب على مثل هذين الحبلين.. أو أن تلعب على عدة حبال.. فقال غريمه.. وما الرأي: فأجابه بأنه يجب عليهما أن يسعيا في طردها من شارعهما.!!

فقال الآخر إنني أخشى أن تحقد علينا أكثر.. وأن يدفعها هذا الحقد إلى أن تلعب ألاعيب أخرى تكو أشد وأنكى مما سبق.؟!

فقال الأول وإذن فما رأيك.؟!

فقال الثاني إن رأيي أن نغيب شمسها.. وأن نريح البلاد والعباد منها.. فإننا إن طردناها فقد تعيد أدوارها مع إخوان لنا آخرين..

وإتفق الغريمان على ليلة معينة دخلا فيها على العجوز وعندما رأتهما أبصرت الشر في عينيهما.. وأيقنت بالهلاك. وهمت أن تصيح.. وأن تنبه الجيران على الخطر المحدق بها..

ولكن الرجلين أسرعا فقبض عليها أحدهما.. وأدخل الآخر في فمها قطعة من الخرق وضغط عليها حتى سدت فمها وخياشيمها.. وبذلك كتم صوتها.. وأوقفت أنفاسها..

ثم جاءوا بفراش من فرشها فلفوه حول جسمها.. وجلسوا عليه حتى لفظت آخر أنفاسها.!!

ثم قاما من فوق الفراش وأخرجاها منه وجسا نبضها فوجداها قد فارقت الحياة.. وأصبحت جثة هامدة باردة.!! ففرشا فراشها.. ووضعا وسادتها ثم مدداها فوقه ثم خرجا وأقفلا عليها باب دارها.. بعد أن أخفيا كل أثر لهما داخل البيت وخارجه.!

وطال مكث العجوز في بيتها.. وأحس بعض الجيران بالهدوء الذي يخيم على بيت جارته.. بينما كانت سابقاً في حركة دائمة..

وجاء إلى بيت العجوز بعض زوارها وقرع عليها الباب فلم يفتح له.. واستمع من ثقوب الباب فلم يسمع أي حركة.. وداخله الشك في شأنها.. ثم أدخل أنفه في بعض شقوق الباب.. وعندئذ صدم برائحة كريهة تأتيه من داخل الدار.. وأحس بأن في الأمر شيئاً فذهب إلى أحد أقاربها وأخبره بما أحس به من أخبار قريبته..

وجاء هذا القريب.. ودق الباب فلم يفتح له.. وحاول فتحه فلم يستطع.. وأخيراً كسر الباب.. وكان معه بعض

الجيران.. فوجدوا العجوز على فراشها ممددة ميتة.. وقد انتفخ بطنها.. وتعفنت رائحتها.. وقلبوها فلم يجدوا فيها آثاراً تدل على أنها مقتولة.. وإذن فقد إتفق جميع الجيران على أنها قد ماتت ميتة طبيعية.. وذلك بقضاء الله وقدره.. الذي يُقدر الآجال والأرزاق..

وجهزت العجوز وصلي عليها.. ثم دفعوها إلى مثواها الاخير «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى» وبهذه النهاية التي تعارف عليها الناس انزاح عن بعض الصدور ما كان شره مستطيراً..

وهكذا تكون عاقبة المفسدين.. ويتوب الله على التائبين.. وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

***

سالفة: ـ

١٠ ـ الشاب الغريب ..

«رويت هذه السالفة عن الصديق الأستاذ
عبد الرحمن البواردي وكتبتها بأسلوبي الذي فيه
ربط الأسباب بمسبباتها..»

رغبت الجدة في الراحة.. وأحبت أن تسمع من الأطفال مثل ما كانت تحب أن تسمعهم.. وقالت لأحد الأطفال: إنني في هذه الليلة أريد أن يقص أحدكم علينا إحدى السوالف التي يعرفها.. وأن يختار لنا ما يحب أن يسمعنا إياه..

فقال أحد الأطفال.. إنني أحب أن أقوم بهذه المهمة إذا سمح لي إخواني.. فأظهر الأطفال رضاهم بذلك فتصدر المكان.. وقبض على زمام الحديث وقال: ـ

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الولد الشاب الذي عند أهله.. وكان أهله فلاحين.. وكانوا إذا انتهوا من زراعة الشتاء شرعوا في زراعة الصيف.. وإذا انتهوا من زراعة الصيف شرعوا في زراعة الشتاء.. وهكذا دواليك..

وكان هذا الشاب في عمل متواصل.. لا يكاد يهنأ براحة وسئم الفتى من هذه الحالة.. وصمم على الهرب من أهله.. إلى أي بقعة من بقاع الأرض.!!

وفي ذات يوم سمع أن قافلة تريد أن تسافر من بلده إلى بلد في سواحل الخليج العربي.. فلم يكن منه إلا أن يأخذ ملابسه الخاصة ثم يرافق تلك القافلة.. يساعد أصحابها ويعمل معهم في ربط الأحمال على ظهور الجمال عند الرحيل.. ويساعدهم على إنزالها عند النزول.. كل ذلك مقابل معيشته فقط.!!

ووصلت القافلة إلى إحدى مدن ساحل الخليج فانفصل الفتى عن أفراد هذه القافلة وجعل يتجول في المدينة باحثاً عن عمل يكسب منه معيشة يومه..

وفي أحد الشوارع مر بحانوت تاجر.. فعرف التاجر من سحنته ولباسه أنه شاب غريب.. فدعاه وأجلسه بالقرب منه.. ثم قال له: أظنك تبحث عن عمل فأجاب الفتى بالايجاب.. فعرض عليه التاجر عملاً قبله الفتى فاتفقا على أجر معلوم يدفع في كل شهر..

وسار الشاب في عمله سيراً حسناً.. وبقي على هذه الحالة عدة شهور من العمل إلى سكنه.. ومن سكنه إلى العمل..

وبعد هذه المدة الطويلة في خدمة هذا التاجر ارتفعت الكلفة ما بينهما.!!

فقال الشاب لسيده ذات يوم: يا سيدي إنني في هذه البلدة منذ عدة شهور.. أعيش في عزلة تامة.. وأنا أريد أن أتعرف على بعض أفراد هذا المجتمع فلم أستطع..

وأنت تعرف أن الشاب لا بد أن يكون له صداقات ومخالطات.. وأن يجري في بعض الأحيان في طريق المغامرات والصبوات.. لتلطف من حياة الغربة.. وقسوة الحياة.!!

وقد أتعرف من هذا الطريق على فتاة تقبلني زوجاً.. فما هو رأيك يا سيدي.؟ وما هو الطريق إلى ذلك.؟!

فقال له سيده: إن الطريق إلى ذلك سهل ميسور وما عليك إلا أن تذهب إلى المكان الفلاني.. فهو طريق الفتيات إلى البئر التي يستقي منها أهل البلد ماءهم العذب الذي يشربون منه..

فاذهب إلى هناك واجلس على قارعة الطريق.. وعابث من مربك.. وتكلم مع من خلوت به من الفتيات..

ومن هذا الطريق سوف تتعرف على من قد تهواها وتهواك وذهب الشاب إلى ذلك الطريق الذي وصفه له سيده وصار يتجول

فيه.. ويرى الغادي والرائح.. وتمر به السيدات والفتيات..

فصار يكلم هذه فلا تجيبه.. وتلك يشير إليها بالتحية فلا ترد أشارته.. وأخرى يبتسم لها فلا تبادله ابتساماً بابتسام.!!

وضاق الفتى بهذه الطريقة.. وأحب أن يكون جريئاً أكثر من ذي قبل.. ولكنه غريب.. ويخشى عواقب الأمور.. ولم يستطع أن يعمل أكثر مما عمل..

وسأله سيده ذات يوم عم صنع.. فأخبره بالذي وقع وأخبره أيضاً بأنه كاد ييأس من الوصول إلى نتيجة من هذا الطريق..

فقال له سيده إنك يجب أن تكون جريئاً أكثر مما كنت.. وعليك إذا مرت بك إمرأة ولم يكن يراكما أحد أن تضرب عجيزتها بيدك.. ثم تعتذر منها..

وبعد ذلك تجاذبها أطراف الحديث.. فإذا كانت ممن يرغب الزواج فإنها سوف تهيء لك جميع الوسائل التي تصل بك إلى مقصودك.!!!

وذهب الشاب إلى الطريق بهذه الفكرة.. وليترسم تلك المعلومات خطوة خطوة.. وبقي يترصد النساء والفتيات.. الغاديات الرائحات.. ومرت به واحدة فنظر إلى الطريق فلم ير أحداً في أوله ولا آخره..

فجاء بالقرب منها مسرعاً ولامست يده بعض جسدها



الشاب الغريب يغازل بعض الزوجات

فالتفت إليها.. واعتذر منها.. وتكلم معها قائلاً: ـ

أنا رجل غريب.. وأحب أن أتعرف على أهل البلد بغية الزواج.. فهل أجد لديك العون.؟!

فقالت له المرأة اتبعني من بعيد لبعيد..
وتبعها الشاب فادخلته بيتها.. وهيأت له جميع ما يريد.!! وبعد ذلك خرج الفتى.. وذهب إلى عمله في الموعد المعروف والتقى بعمه فسأله عما جرى.!!

فقال الشاب لقد نجحت خطتك يا عمي.. ووفقت إلى امرأة عملت معها مثلما قلت لي تماماً فدعتني إلى بيتها.. ودخلت عندها.. وهيأت لي جميع وسائل الراحة.. ثم خرجت من عندها آمناً راضياً مطمئناً.!!

فقال له عمه صفها لي فوصفها الشاب بصفات تقارب صفات إحدى زوجاته.. فداخله الشك.. بأن يكون ما وقع مع إحداهن..

وسأله عمه عن البيت فوصفة بصفة تقارب صفة بيت إحداهن.. وسأله عن أشياء كثيرة مما رأى في البيت فكان كل خبر يخبره يطابق بيت عمه.. لأنه يعيش مستقلاً بنفسه ولا رابط بينه وبين عمه إلا العمل.. أما ما عدا ذلك فهو من بيته إلى عمله.. ومن عمله إلى بيته.!!

وكاد العم يتأكد بأن المرأة هي إحدى زوجاته الأربع.. وأن

البيت هو بيته.. ولكنه أحب أن يتأكد أكثر فأكثر.. فقال للشاب: -

وهل أعطتك موعداً آخر: -
فقال الشاب نعم.. وأخبره بالموعد المضروب بينهما وذهب الشاب إليها في الموعد المحدد.. وجاء الرجل إلى داره بعد ذلك بقليل..

وعندما علمت المرأة بقدوم زوجها جعلت الشاب في وسط حصير وطوته عليه.. وجعلته في زاوية من الزوايا المهملة.!! ودخل الزوج وبحث ونقب.. فلم يجد أحداً..

وقال الرجل في نفسه لعل الشاب تأخر.. فلم يأت في موعده أو لعله لم يخبره بالميعاد على حقيقته..

وتأخر الرجل في بيته بعض الوقت لعل الشاب يأتي.. وطال انتظاره ولكن أحداً لم يأت..

فاستعاذ الرجل بالله من الشيطان الرجيم.. ليطرد ظن السوء من نفسه.. وخرج من البيت وذهب إلى عمله.. وخرج الشاب من الحصير.. ثم من البيت وفي وقت العمل ذهب كالمعتاد..

وكان عمه ينتظره فسأله عما جرى في ذلك الموعد المضروب.. وهو مهتم كل الاهتمام إلا أنه قد ضبط أعصابه.. حتى لا تظهر عليه آثار الانفعال..

فقال الشاب لقد ذهبت في الموعد الذي أخبرتك به وقد كدت أقع في يد زوجها لولا أن الله نجاني من ذلك.!!

فقال الزوج وكيف كان ذلك.؟!

فقال الشاب: إنني عندما دخلت عليها وبعد فترة وجيزة دخل علينا زوجها.. فأخذتني الزوجة وجعلتني في وسط تنور كان مهملاً.. ورمت فوقه بعض أعواد الحطب.. ودخل الزوج وبحث في جميع نواحي البيت.. ولم يترك شيئاً مطوياً إلا فله.. ولا شيئاً مستوراً إلا كشفه.. ما عدى التنور الذي هو موضع النار والرماد.. فإنه غاب عن باله أن يبحث فيه.. كما استبعد أن يتسع لاختفاء رجل..

وخرج الرجل من بيته يائساً.. وأخرجت المرأة الشاب وفتحت له الباب فخرج.. ثم ذهب إلى عمله كالمعتاد فوجد عمه في انتظاره باهتمام ولهفة.. وسأله عما جرى.. فأخبره.. بجميع التفاصيل.. وأنه خاف خوفاً شديداً.!!

فقال له عمه: ما دمت قد نجوت فيما مضى فلا أظن أنك تقع فيما سوف يأتي.. والذي يظهر أن صاحبتك هذه ذكية مفرطة الذكاء.. حيث تستطيع أن تخرجك وتخرج نفسها من أي كارثة قد تهدد حياتكما.. أو أن زوجها رجل مغفل تنطلي عليه أبسط الحيل.. ولا يعرف شيئاً عن مكائد النساء.!!

وصمم الزوج في هذه المرة أن يقبض على الشاب وهو متلبس بالجرم المشهود.. وأن يخرجه من مكمنه حتى ولو كان في جحر نملة.!!

وجاء الموعد المحدد.. وذهب الشاب كعادته وعندما استقر به المقام أحست المرأة بأن زوجها قد دخل البيت.. ولم تتمكن من التصرف في هذه المرة فطوت الشاب في وسط الفراش.. واستقبلت زوجها ببشاشة وترحاب.. فأعرض عنها.. وبقي يبحث في البيت بحجة أنه يريد حاجة من حاجاته وضعها في مكان من البيت ولكنه نسي هذا المكان.!!

وبحث في كل مكان فلم يجد شيئاً.. وأخيراً جاء إلى الفراش وجلس بالقرب منه.. واستند على جانب من جوانبه وقال لزوجته: - اعملي لي فنجالا من القهوة فإنني أحس بصداع شديد وأعطيني حبة من الأسبرين أو حبتين.!
وازداد خوف المرأة وازداد خوف الشاب من اكتشاف أمرهما.. فلم يبق بين الزوج وبين اكتشاف السر إلا أن يبسط هذا الفراش الذي استند إليه.. لينام عليه.!!

إنه لو فعل ذلك لانكشف له كل شيء.. ولعرف كل شيء.!! وذهبت المرأة بسرعة إلى عجوز جارة لها فأخبرتها بالخبر.. وطلبت منها أن تحتال لإنقاذ الموقف..

فقالت لها العجوز.. اذهبي إلى بيتك وأنا على الأثر..

وجاءت العجوز فدقت الباب ففتحت لها المرأة.. وكان الزوج يعرف العجوز معرفة تامة.. كما أن العجوز تعرفه وقد رفعت الكلفة فيما بينهما.. لأنها تعتبره كأحد أبنائها كما أنه يعتبرها كوالده..

وجلست العجوز بالقرب من الرجل.. بينما كانت زوجته تعمل القهوة..
وصارت العجوز تتحدث معه وتتطرق في حديثها إلى شتى النواحي من الحياة البشرية بما فيها من خير أو شر.. من حقيقة أو خيال.. من فقر أو غنى..

وانساق الحديث إلى أحلام المنام.!!

وقالت العجوز لقد رأيت في إحدى الليالي الماضيات كأن آت أتى إلي فقبض على رأسي هكذا.!!

ووضعت العجوز أصابعها على عيني الرجل.. وقبضت على رأسه واستمرت في حديثها قائلة: ـ

وبقي هذا الكابوس المزعج على هذه الحالة فترة من الزمن.. إلى أن كادت أن تخرج روحي من جسدي ولكن الله عندما أراد أن يفرج لي من هذا الكرب صاح أحد أولادي الصغار فسمعت صوته.. وقمت من نومي مذعورة.. ونظري لا يكاد يميز ما حوله.. بل انني أرى الواحد اثنين.. وأرى الاثنين أربعة.. وأرى اللاشيء شيئاً.!!

وفي أثناء شد العجوز على رأس الرجل وعينيه أخرجت المرأة الشاب من تحت الفراش.. وسهلت له طريق الهرب من الباب الخلفي...

وجيء بالقهوة فشربوها.. وانتهت هذه الحادثة بسلام.
إلا أن الشاب عزم على أن لا يعود فليس في كل مرة تسلم الجرة..
كما أن الرجل يئس من العثور على الشاب في بيته مع أنه يعلم علم اليقين بوجوده فيه.!!

وجاء الشاب على عادته إلى عمله وسأله سيده عما جرى في الليلة الأخيرة.. فأخبره بما حدث خطوة خطوة.. حتى وصل إلى قصة العجوز.. وطريقة قبضها على رأسه ووضعها أصابعها على عينيه.!!
وهنا لم يبق عند الزوج أدنى شك في أنه هو الزوج المخدوع.!!

وذهب الرجل إلى زوجته وقال لها اجمعي حوائجك فإني ذاهب بك إلى بيت أهلك..

وجمعت المرأة حوائجها.. وأخذت فيما أخذت قطة صغيرة كانت تألفها.. ولا تكاد تفارقها ليلاً ولا نهاراً.. وذهبت إلى بيت أهلها بطريقة غير عادية.. الأمر الذي أدهش أهل المرأة من مجيئها المفاجىء وأحسوا بأن في الأمر شيئاً.. ولم يتمالكوا أنفسهم أن سألوا زوجها عن جلية الأمر.!!

فقال لهم.. إن شخصاً يدخل على زوجته في أوقات غيابه.. وأنه لهذا يشك في سلوكها.. وفي نزاهة عرضها.. هذه هي خلاصة ما وقع أعطيتكموها بلا لف ولا دوران.!!

وهنا ثارت ثائرة الزوجة.!! وثارت ثائرة الأهل وسألوا

ابنتهم هل في الأمر شيء.. فيمسكون عن الكلام والخصام.. أم أن الأمر كله ظنون وأوهام.؟! تدور في خاطر الزوج وحده نتيجة غيرة عارمة جعل منها حقائق ثابتة في مخيلته فقط.؟!

فقالت المرأة: ثقوا أن ابنتكم نظيفة شريفة لا يستطيع أن يثبت عليها شيئاً يدنس عرضها.. أو يجلب العار لأهلها.. أو يخدش شرفهم..

وهنا قوي أمل أهل الزوجة في براءة ابنتهم.. وقالوا للزوج: كيف ترمي ابنتنا بأمور هي منها براء.!!
إننا نريد منك أن تثبت ما قلته بشاهد أو دليل قاطع وإلا فإننا لن نغتفر لك هذه التهمة الباطلة.. التي تسيء إلينا كأسرة.. وتسيء إلى فتاتنا كامرأة.!!

فقال الزوج إنني لم أتجن على ابنتكم.. ولست أريد الإساءة إليكم كأسرة.. وسوف آتي لكم بشاهد هو الشخص الذي أتهمه.. وهو لا يعلم أني زوج ابنتكم.. وسوف يقص عليكم قصته معها.. وسوف تعرفون من الشواهد والدلائل التي يقولها أن ابنتكم هي المقصودة بحديثه ومغامراته.!!

فقال له أهل المرأة أت به..

وذهب الزوج.. وقال لخادمه إن لي أصحاباً قد دعوني أنا وأنت إلى حفلة.. موعدها غداً..

فرحب الشاب بهذه الدعوة.. وذهب مع سيده في الموعد

المضروب.. واجتمع الزوج.. والشاب صاحب المغامرات مع أهل الزوجة من الرجال.!!

ودار الحديث بين الجالسين وتفرع.. وجاء كل واحد من الحاضرين ببعض المغامرات والمطاردات ومطارحة أحاديث الهوى والغرام.!!

وجاء الدور على الشاب فقال إن لي قصة من أغرب القصص وأندرها في هذا المجال.. فقالوا قصها علينا.. وانصتوا إلى الشاب وهو يقص قصته مع زوجة عمه وابنة مضيفيه.. وهو لا يدري.. لا عن هذا ولا عن أولئك.!!

ومضى الشاب في حديثه ينقل إليهم القصة خطوة خطوة وهم يستمعون.. ويرون أن جميع الأوصاف والشواهد تدل على أن البطلة في هذه القصة هي زوجة الرجل وابنة المضيفين.. ولا أحد غيرها.!!

وبدأ أهل المرأة يتخاذلون.. وبدأ الزوج يتظاهر بالفوز والانتصار في هذه القضية العائلية التي كل واحد من الأطراف فيها خسران.!!

وعندما وصل الشاب إلى النقطة الأخيرة من المغامرة وهي دخول العجوز ووضع يدها على وجه الزوج وعينيه. في هذه اللحظة علمت المرأة أن أمرها سوف ينكشف لا محالة.. وأن الشاب يقص قصة هذه المغامرة وهو لا يدري من هم المحيطون به.!!

في هذه اللحظة بالذات دفعت المرأة قطتها الصغيرة إلى داخل المجلس الذي يجلس فيه الشاب وأهل المرأة وزوجها وعندما رأى الشاب القطة عرفها وتذكر صاحبته. . وعلم أنه يتكلم في أمر خطير يمس شرفها ومستقبلها أمام قوم قد يكون فيهم زوجها. . وقد يكون فيهم أفراد من أسرتها. !!

وفكر الشاب في حل سريع لهذه الورطة التي لم تخطر له على بال. . ولاح له الحل. . وواصل حديثه قائلاً: ـ

وفي تلك اللحظة التي عملت العجوز تمثيليتها مع الرجل ضحكت. ! وعلى أثر هذه الضحكة استيقظت من منامي. . وقمت فزعاً مرعوباً. . أنظر حوالي فلا أرى أحداً. !!

ولهذا فإن كل ما قصصته عليكم أضغاث أحلام. . وهواجس شاب يعيش في أجواء الغربة والحرمان. !!

وبدأ أهل المرأة يتظاهرون بالانتصار. . ولكنهم تمالكوا أنفسهم حتى يخرج الشاب. . وبدأ الزوج يشعر بخطئه وتسرعه تجاه زوجته وأهل زوجته. .

وانتهت مراسم الوليمة. . وقام الحاضرون ليتفرقوا وخرج الشاب. . ولكن أهل المرأة استبقوا الزوج وعندما خلا لهم الجو ثاروا عليه ثورة عارمة كيف يتهم ابنتهم بمجرد كلام شاب. . ثبت أخيراً أنه حلم من الأحلام!! قد يكون في يقظة وقد يكون في المنام. !!

وتخاذل الرجل أمام الأهل.. واعترف بخطئه.. وقال: اغفروا لي هذه الزلة.. واجمعوني بزوجتي لأصلح الوضع بيني وبينها..

واجتمعت المرأة بزوجها.. وعاتبته عتاباً خشناً.. وقست عليه بهذا العتاب وهو لا يكاد يجد جواباً.. إلا تكرار الاعتذار.. واظهار الأسف على ما حصل.!!

وعندما أفرغت المرأة كل ما في جعبتها من الهجوم العنيف قال الرجل إنني مخطىء.. وأنا مستعد بأن أعيد اليك اعتبارك.. وأن أدفع ثمن خطئي.!! وأن أعيدك إلى بيتك معززة مكرمة.!! وأن أقدم لك هدية ثمينة أمام أهلك كدليل على اعتذاري وحبي واعترافي بخطئي.!!

فوافقت المرأة على ما قال زوجها بعد شيء من التمنع المصطنع.. الذي تريد أن تعزز به موقفها.. وبراءتها مما كان ظن بها.. ونقاء ساحتها من خيانة زوجها.!!

وهكذا لا يحيق المكر الشيء إلا بأهله.. ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيه.!! فالزوج هو الدال على الشر الذي وقع..

يا حافر البير لا تقعره
كم حافر طاح فيها حفر

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

سالفة: -

١١ - قضعان مع أبا بطروس ..

كان يا ما كان في قديم الزمان رجل تاجر.. تزوج بامرأة من بنات بلده.. وعاش معها.. وعاشت معه في وئام تام.. مع أنها شابة.. وهو قد وخطه الشيب.. وهي سليلة معشر كرام.. ولكن الدهر أخنى عليهم وسلب الكثير من ممتلكاتهم..

وكانت هذه الزوجة الشابة قد رزقت منه بعض البنيات.. مما زاد علاقته بها.. وعلاقتها به.!!

ولكن الرجل يسير إلى الهرم بسرعة كبيرة لأن الانحدار إلى النهاية.. أسرع من الصعود إليها.!!

والانسان في حياته قد شبهوه بصاعد الجبال.. فهو يصعد

رويداً.. رويداً.. فإذا بلغ القمة.. انحدر كجلمود صخر حطه السيل من عل.!!

وكان هذا التاجر مقتصداً في معيشته.. ومقتصداً في الانفاق على زوجته وعياله.. وقد يتجاوز في انفاقه في بعض الحالات إلى درجة البخل والتقتير..

وكانت زوجته لا تعارضه في شيء من تصرفاته.. بل كانت تبدو في جميع الحالات راضية قانعة.. وكان من عادة هذا التاجر.. أن يشتري لأهله مرة في الأسبوع لحماً.!!

وهو لا يعمد إلى أطايب اللحم عندما يريد الشراء.. وإنما يشتري الرأس وما يتبعه من الكوارع.. لأن هذه تكون رخيصة.. وهي في نظر هذا التاجر مغذية.. ومفيدة.. وفي شرائها بعض التوفير..

وكان هذا التاجر قد تعامل مع أحد الجزارين بأن يشتري منه الرأس في يوم معلوم من كل أسبوع وقد اشتهر هذا التاجر بهذه الطريقة حتى اشتهر عند الناس.. وصاروا لا يعرفونه إلا باللقب الذي ألصقوه به وهو «أبو الروس».

وفي يوم من الأيام قرم إلى اللحم في غير موعده فذهب إلى الجزار يبحث عن الرأس.. فقال لقد بعته.. فقال التاجر إنه لا بد لي من رأس هذا اليوم فلماذا لا تذبح ذبيحة أخرى فتبيعني رأسها وتبيع لحمها على الآخرين.!!

فقال الجزار إن البلد لا تحتمل أكثر من ذبيحة واحدة..
ولكن إذا كنت مصراً على شراء الرأس في هذا اليوم فاذهب إلى القرية الفلانية.. فإن فيها جزاراً لا يذبح ذبائحه إلا في وقت متأخر.. فإنك قد تجد عنده ما تريد..

وذهب التاجر إلى تلك القرية.. وكان بطيء السير فلم يصلها إلا متأخراً.. وسأل عن الجزار حتى وصل إليه.. وطلب منه أن يبيعه رأس الذبيحة..

فقال له الجزار لقد جئت متأخراً.. وقد بعت الرأس..
ولكن القرية التي بجوارنا فيها جزار يذبح أكثر من ذبيحة.. وقد تجد عنده أحد الرؤوس إذا أسرعت في سيرك.!!

وذهب التاجر إلى تلك القرية.. ولكنه لم يصلها إلا متأخراً.. وعندما سأل الجزار لم يجد عنده شيئاً.. ولكن الجزار نصحه بأن ينام في القرية فإذا جاء الصباح فإنه سوف يجد مطلوبه..

وكان الليل قد أقبل.. وهذا التاجر لا يستطيع أن يعود إلى قريته في تلك الليلة الظلماء..

فقرر أن ينام في تلك القرية.. فإذا جاء الصباح عاد إلى بلده..

وكان هذا التاجر غير معروف في هذه القرية كما أنه لا يعرف

شخصاً يستطيع أن يكون ضيفاً عنده.. فقرر الصوم.. وتوضأ وذهب إلى المسجد لصلات المغرب.!!

وعندما انتهى من صلاة المغرب لم يشعر إلا برجل بهي الطلعة جميل الشكل نظيف اللباس يسلم عليه.. فقد عرف أنه غريب. فهو يدعوه ليكون ضيفاً عنده في هذه الليلة.. فلم يكون من التاجر إلا أن فرح بهذه الدعوة.. واستجاب لها..

وذهب مع مضيفه إلى داره.. وأوقد النار ووضع عليها معدات القهوة والشاي.. ثم ذهب إلى أهله فأخبرهم أن لديه ضيفاً عزيزاً.. وطلب من أهله أن يذبحوا خروفاً صغيراً عنده في البيت قد أعده لمثل هذه المناسبة.!!

ثم عاد إلى ضيفه فصار يحادثه.. ويؤانسه ويسليه.. فتارة يصب له القهوة.. وتارة يصب له الشاي..

وحانت صلاة العشاء.. وسمعوا المؤذن يقول حي على الصلاة.. حي على الفلاح.. فتوضأوا ثم ساروا إلى المسجد.. فصلوا مع الجماعة.. ثم عادوا إلى البيت.. فوجدوا الأكل جاهزاً فقدم الرجل لضيفه مائدة عامرة بأطايب الطعام وأطايب اللحوم..

فأكلوا حتى شبعوا.. ثم انتقلوا إلى صالة الجلوس.. فوجدوا القهوة والشاي جاهزين فصاروا يشربون.. ويتحدثون..

وكان التاجر يتعجب من كرم مضيفه.. ويريد أن يعرف

شيئاً عن مصدر رزقه..
ولكنه لا يستطيع أن يسأله عن ذلك مباشرة وبلا مقدمات..
ومناسبات..

ولهذا فقد صار الضيف يتحدث عن نفسه.. وعن السبب الذي جاء به إلى هذه القرية.. وقد اختلق سبباً يخالف الحقيقة.. وقال إنني تاجر من البلد الفلاني واسمي فلان إبن فلان.. ولي دين على أحد الأعراب.. الذي بلغني أنه يسكن بالقرب من قريتكم.. وقد جئت إلى هنا لهذا السبب.. فلم أجد الاعرابي.. وأدركني الليل.. وأنا ضعيف النظر فرأيت أن أنام في قريتكم.. وفي الصباح أعود إلى بلدتي..

وعندئذ رأى المضيف أن يصارح ضيفه بكل شيء.. كما صارحه ضيفه بكل شيء..

فقال المضيف.. أنا رجل ليس عندي تجارة.. وليس عندي فلاحة.. وليس عندي عقار أستغله وأصرف من أجوره على نفسي.. وعلى من أعول.. ولكن الله قد وهبني صحة تامة.. وشكلاً مقبولاً ولسانا معسولاً.. وقبولاً عند النساء.. فلا تراني امرأة إلا تعلقت بي.. ورغبت أن تكون زوجة لي.. وقد أعطاني الله قدرة فائقة على جميع ما تحبه المرأة من حديث عذب.. وأشعار مسلية.. وقصص غريبة.. بحيث أنني استطيع أن أرضي زوجتي في النهار بالحديث.. وفي الليل بما يطيب للنساء.!!

ولهذا فإنني إذا علمت أن رجلاً تاجراً قد توفي وترك بعده

أرملة.. وترك لها أموالاً.. فإنني أذهب إليها.. وأخطبها من نفسها أو أخطبها من أهلها..

فإذا رأوا مظهري وسمعوا حديثي.. وعرفوا أصلي وفصلي زوجوني.. وعندما أتزوج تجد مني زوجتي كلما تحب.. فتطلق يدي في أموالها.. فأنفق من تلك الأموال بكرم وسخاء.. فإذا نفد ما عندها بحثت عن أرملة أخرى تشبهها فطلقت الأولى.. وتزوجت بالثانية..

وهكذا دواليك.. لا أكاد أنفد مال واحدة حتى أسمع عن أخرى مات زوجها فأتزوجها..

أما هذه الأيام فإن زوجتي الحالية لا يزال لديها بقايا من المال.. سوف أنفق منها.. وأقتصد فيها.. حتى يموت شخص تاجر في البلد الفلاني يلقب بأبي الروس.. لأنه من شدة بخله لا يشتري لأهله إذا قرموا إلى اللحم إلا الروس لقلة ثمنها.. وزهد أكثر الناس فيها..

وهذا كما بلغني رجل كبير في السن ولديه زوجة شابة.. فإذا بلغتني وفاته.. فإنني سوف أطلق زوجتي هذه.. وأذهب إلى قرية أبي الروس فأتزوج بأرملته.!

وهكذا يكون رزقي.. وهذه هي طريقتي في الحياة..

فقال الضيف إنها طريقة مريحة.!! وآراؤك في هذا الأمر



قضعان يدعو أبا الروس لضيافته

صريحة.. والله سبحانه وتعالى قسم الأرزاق على عباده.. فجعل رزقك عن طريق الأرامل..

وسمع أبو الروس هذا الكلام ووعاه.. وأسره في نفسه ولم يكشف لمضيفه أنه هو المعني بهذا الكلام..

وجاء الصباح.. فودع أبو الروس مضيفه قضعان وشكره على كرمه وحسن ضيافته.. ثم أخذ طريقه إلى قريته.. وعندما وصل إليها.. توجه إلى حانوت الجزار فوجده قد ذبح ذبيحة جديدة.. وكان قد أعد له الرأس وما يتبعه.. وبمجرد وقوف أبي الروس على الجزار.. قدم له الرأس.. فأعاده التاجر إليه.. وقال له:

لقد سئمنا من أكل الرؤوس.. ومن الآن فصاعداً لن نشتري شيئا منها.. بل إنني سوف أشتري منك من أطايب لحم الذبيحة..

فقال الجزار إن أطيب ما في الذبيحة فخذها فقال أبو الروس أعطني فخذاً كاملاً.!! فقطع له فخذا كاملاً.. وهو يتعجب من هذا التحول الغريب المفاجىء.. ولا يعرف شيئاً عن أسبابه..

وذهب التاجر بهذا الفخذ إلى زوجته.. وأعطاها إياه.. فكان عجبها من هذا التحول أكثر من عجب الجزار.. فأخذته.. وعملت منه أكلاً لذيذاً.. وعندما أكلوا وشربوا.. سألت الزوجة زوجها عن الأسباب التي جعلته يغير من عادته.. فما عهدته هكذا

مع طول عشرتها له.؟

فلم يكن من الزوج إلا أن قص عليها قصته الأخيرة في البحث عن الرأس.. وكيف ساقه هذا البحث إلى أن يكون ضيفاً لقضعان.. ووصف لها قضعان وكرمه.. وطريقته في الحياة.. وأنه صارحه بدون أن يعرف أنه التاجر الملقب بأبي الرؤوس.. بما كان يخطط له من الإستيلاء على ثروته.. والإنفاق منها في بذخ وإسراف.. ثم أردف هذا التاجر إلى ما سبق قوله:

إننا نريد أن نأكل أموالنا قبل أن يأكلها قضعان.. ولن أبخل عليك أو على نفسي وأولادي بشيء بعد الآن..!

ثم ختم حديثه بهذه الأبيات الشعرية التي ركز فيها على خلاصة تجربته فقال:

لا تعجبي يا زوجتي من فعايلي
لقيت مالي لو بقي ما بقالنا
نبي نبيد المال قبل يبيدنا
وقبل يجي قضعان ياكل حلالنا
يعطيه من ورثه لمن لا تعب به
وتحرم منه زوجاتنا مع عيالنا

وبعد هذه الأبيات الشعرية.. وما فهمته منها قالت لزوجها إن الأسراف حرام.. والإقتصاد نصف المعيشة.. وأنت بحول الله تتمتع بصحة جيدة.. وأرجو أن يموت قضعان هذا قبل موتك.. لتأمن على زوجتك.. وتأمن على ثروتك..

ثم إستمرت الزوجة في مثل هذا الكلام الذي يبدد مخاوف زوجها من قضعان هذا..

ولكن الزوج علق على كلام زوجته بقوله: إنه لا يوجد في هذه الدنيا قضعان واحد فقط.. ولكن يوجد فيها قضعانون كثيرون.. وقد رمتني الصدفة في ضيافة أحدهم.. وأنا لا أشك بأن هناك الكثير من أمثاله..

وعندئذ رأت الزوجة أنه لا فائدة من إقناع زوجها بأن قضعان سوف يموت قبله.!

وإستمر هذا التاجر ينفق على نفسه وعلى من يعولهم بكرم وسخاء منقطع النظير.. والله سبحانه هو مقلب القلوب وهو السميع البصير.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

لعبد الله النجدي العنزي في الأولاد

خطوى الولد مثل البليهي الى ثار
زود على حمله نقل حمل أليفه
وخطوى الولد مثل النداوي الى طار
يصيد دسمه مايصيد الضعيفة
وخطوا الولد ناشٍ على موته النار
صفرٍ على عود تظنه كتيفه
وأحد على جاره بختري ونوار
وأحد على جاره صفات محيفة

سالفة:

١٢ - البنات الثلاث .. وابن السلطان

اجتمع الأطفال كعادتهم عندما أظلم الليل.. وقال أحدهم إنني سوف أنوب عن جدتي هذه الليلة.. وأقص عليكم سالفة قصها علي والدي.. قد لا يكون أحد منكم سمعها..

فقالت الجدة هيا قصها علينا.. وكذلك الأطفال وافقوا على قول جدتهم..

وتصدر الطفل الحلقة.. وقال:

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنـا هاك الرجال الذي رزق ثلاث بنات جميلات ذكيات.. كل واحدة منهن معتزة بجمالها.. معتزة بذكائها معتزة بشبابها.!

وكان هؤلاء الفتيات لسن من أم واحدة . بل الكبرى والتي

تليها من أم والصغرى من أم ثانية.. وكانت الأختان الكبيرتان ينافسن أختهن الصغرى التي ليست أمها أمهن.. وكانت هذه المنافسة تجر إلى خصام.. قد يكون عنيفا في بعض الأحيان وفي بعضها يكون خفيفاً.!

وشعر الوالد بما يكون بين بناته.. وفكر في طريقة تمنع بها هذه الخصومات.. ورأي بعد تفكير طويل أن يشتري بيتاً مؤلفا من طابقين.. وبحث عن بيت فوجده واشتراه وأسكن الصغرى في الطابق الأعلى وأسكن أختيها في الطابق الأسفل وكان الوالد ينام عند كل واحدة ليلة.. ليؤنسها ويسليها ويأخذ منها في الكلام.. ويعطيها.. لأنه ليست عنده زوجة فزوجته الأولى طلقها.. وزوجته الثانية توفيت بسبب مرض مفاجىء لا يدرون ما هو.!!

وكان من الصدف الغريبة.. أن هذا البيت الذي سكنوا فيه مجاور لبيت السلطان الذي يحكم البلاد.!! وكان السلطان قد رزق مولوداً ذكراً هو ولي عهده وكان مسكنه في جناح مما يلي بيت والد الفتيات الثلاث.. وله نوافذ تطل على ما حول القصر.. وبالذات هناك نافذة مقابلة لنافذة الفتاة الصغيرة في الطابق الثاني.

وقد أطل ابن السلطان ذات يوم فرأى الفتاة الصغيرة.. فأعجب بها من أول نظرة.. وأخذ يراقبها ويتتبع حركاتها في غرفتها من غير أن تشعر به الفتاة.!!

فأعجب ابن السلطان بها أيما إعجاب.!! أعجب برشاقتها

وأعجب بنظافتها.. وأعجب بحسن ترتيبها لغرفتها وأعجب بلفتاتها.. وخطواتها.. وحركتها وسكونها..

وفكر في الزواج بها.. ولكن كيف يكون هذا.؟! إنه ابن السلطان.. وهي فقيرة تنتمي إلى عائلة فقيرة.. وقد تكون حقيرة أيضاً.. والفقر ليس عيباً.. ولكنها من عائلة مغمورة لا يليق بابن السلطان أن يصهر إليها.. لأن هذا الإصهار سوف يكون معروفاً ومشهوراً بين الناس.. وسيكون موضع تعليقات.. وتندرات بين أفراد الشعب إذا لم يكن الإختيار صواباً..

وابن السلطان تهمه سمعة والده.. وتهمه سمعته ومستقبله بين أفراد شعبه..

وفكر ابن السلطان في طريقة يصل بها إلى مطلوبه وعن طريق الحلال.. وبأسلوب لا يعرض سمعة السلطان وابنه للقيل والقال!!

وفكر فيما فكر فيه أن يقتل أبا الفتيات وبذلك تنحل عقدة من العقد أو تزول عقبة من العقبات التي تعترض طريقه.. في الزواج من تلك الفتاة التي هام بحبها..

ولكنه تراجع عن هذه الفكرة.. كيف يقتل رجلا مسلما بدون ذنب ولا عصيان لله.. ولا عصيان لأمر ولي أمر المسلمين!!

وفكر في أسلوب آخر يكون معقولا عند الناس.. ووجد

الأسلوب.. فأرسل إلى أبو الفتيات وعندما مثل أمامه.. حياه بتحية الإسلام وانتظر الأوامر ليقوم بتنفيذها.!!

وقال ابن السلطان إني أريد منك أن تأتيني بقرص من الخبز إذا وضعته في فمي ذاب حالا..

وأريد أن تأتيني بشراب يؤلم أضراس شاربه.. ولك أسبوع كامل تبحث عما طلبته منك.. فإذا إنقضى الأسبوع.. دون أن تنفذ طلباتي فإني سوف أقطع رأسك.. وأرميه للكلاب.!!

فخرج هذا النجار من قصر السلطان مهموما مغموما لا يدري ماذا يفعل.. إنه يعرف خطورة الأمر وأن ابن السلطان يستطيع أن يقول ويفعل.. وإذاً فإن الطريق السليم أن ينفذ الأوامر بأي طريقة من الطريق..

ولكن كيف يعرف ما يريده ابن السلطان.. إن مثل هذا الأمر لم يمر عليه طيلة أيام حياته الماضية ولم يسمع أن هذا الأمر جرى لأنسان آخر فسلك الطريق الصحيح للخروج من هذا المأزق.!!

والمهم أن هذا النجار عاد إلى بيته مرتبكا حزينا لا يدري ماذا يفعل.!!

ونام في الليلة الأولى بعد هذه الحادثة عند ابنته الكبرى ولاحظت ابنته سهومه وهمومه.. فسألته عن أسباب ذلك فتمنع في

أول الأمر.. ولكنها ألحت عليه حتى أخبرها بما جرى..

فقالت له ابنته الكبرى إن الأمر بسيط جداً ياوالدي أما الشراب فإنه شراب الليمون.. وخبزة شعير.. وسمع الوالد ما قالته ابنته الكبيرة.. ولكنه لم يقتنع به تمام الإقتناع.. ولكنه جاملها.. وقال إنني أعتقد أن هذا يمكن أن يكون هو الحل الصحيح.!!

وجاءت الليلة الثانية فنام عند ابنته الوسطى ولاحظت على والدها مثل ما لاحظت أختها.. وصار سؤال وجواب.. فكانت أفكار الأختين متقاربة.. والحل الذي رأياه حل واحد.

فشكر ابنته.. وجاملها وقال لها مثل ما قال لأختها الكبرى..

وجاءت الليلة الثالثة فنام عند الصغرى فلاحظت على والدها مثل ما لاحظت أختاها.. وسألته عن أسباب همه وغمه.. فأراد أن يخفي عليها الأمر لأنها صغيرة.. ولن يكون رأيها أفضل من رأي أختيها..

ولكن الفتاة ألحت على والدها.. حتى أخبرها بجلية الأمر.. فقالت إن الأمر بسيط جدا.. وما عليك إلا أن تحضر لي بطيخة مستوية.. فأحضرها.. فقطعتها قطعا صغيرة.. واستخرجت جميع حبها.. وأعطته والدها.. وقالت إذهب بهذا الحب إلى أختي ليستخرجا الأقراص.. ويرميا القشور وبعد ذلك أعد إلي تلك الأقراص.. وأنا سوف أعصر ماء البطيخة..

وأحتفظ به في إناء خاص.!!

وفعل الوالد مثل ما قالت له ابنته الصغيرة.. وجاء إليها بحب البطيخة بعد أن خلص من قشوره.. فطبخته.. وعملت منه قرصا.. إذا وضع الآكل قطعة منه في فمه ذابت حالا.!!

وفرح الأب بهذا الحل.. ورأى أنه هو الجواب الصحيح لما طلبه ابن السلطان.!!

وجاء اليوم الأخير للموعد المضروب.. وذهب هذا النجار إلى ابن السلطان.. ومعه الشراب ومعه القرص الذي صنع من حبوب البطيخ..

ووجد النجار ابن السلطان في انتظاره فقدم له الشراب.. وعندما ذاقه آلمته أسنانه.. وأخذ قطعة من القرص.. وعندما وضعها في فمه ذابت في الحال.!!

فقال ابن السلطان لهذا النجار لقد أصبت بعض الصواب وليس كله.. ولذلك فأنا سوف أعطيك ثلاثة ألغاز لتحلها الحل الصحيح.. وإلا فان الثمن هو رأسك وأريد أن تحل هذه الألغاز في خلال ثلاثة أيام فقط..

وأنصت النجار لهذه الألغاز.. وتكلم ابن السلطان فقال: ما هو الطويل الطويل.. وما هو المليح المليح وما هو الحلو الحلو.!!

ثم ختم ابن السلطان بأن قال إذهب الان وأتني بالحل الصحيح في الموعد المحدد. وإياك أن تتأخر..!

فذهب هذا النجار وهو لا يكاد يبصر طريقه.. لقد بدأ ابن السلطان يضيق عليه الخناق.. فبدل لغزين أعطاه ثلاثة. وبدل أسبوع أعطاه مهلة ثلاثة أيام فقط.!!

ونام في الليلة الأولى عند الكبرى فرأت ما يظهر على وجه والدها من الغم والحزن.. وعلمت بأن المشكلة الأولى قد تكررت.. فقالت لوالدها أخبرني بما يقلقك ويقض مضجعك فلعلي أستطيع مساعدتك على إجتياز ما يعترضك من عقبات.. أو يشغل بالك من مشكلات.!! فأخبرها والدها بما طلب منه ابن السلطان.. وما سوف يفعله به إذا لم يجب طلبه.. ولم يهتد إلى الحل الصحيح لهذه الألغاز.

فقالت له ابنته لا تحمل هما لذلك فأنا سوف أعرف حل هذه الألغاز إذا أنت أخبرتني بها..

وعندئذ أخبر الوالد ابنته بهذه الألغاز.. فقالت الفتاة أما الطويل الطويل فهو بيتنا.. وأما المليح المليح فهو أنت يا والدي.. وأما الحلو الحلو فهو أنا.!!

وسمع الوالد هذا الحل وشكر ابنته على اجتهادها وأظهر لها الفرح والسرور.. مع أنه يعلم أن هذا الحل بعيد من الصواب بعد السماء عن التراب.!!

وجاءت الليلة الثانية فنام عند الوسطى.. ولاحظت عليه مثل ما لاحظت أختها الكبرى.. وسألته فأجابها وطلبت منه أن يخبرها بالألغاز فأخبرها.. وأعطته حلا لها لا يبعد في أسلوبه ومعناه عن الحل الذي سمعه من أختها الكبرى.

فشكرها وطيب خاطرها..

وجاءت الليلة الثالثة فنام عند الصغرى ولاحظت على والدها مثلما لاحظت أختاها.. وسألته فأجابها وأخبرها بالألغاز الثلاثة..

فقالت له لا تهتم فإن الحل الصحيح لهذه الألغاز لدي جاهز.!!

فأما الطويل الطويل فهو مد النظر.. وأما المليح المليح فهو طلع الشجر.. وأما الحلو الحلو فهو النوم بعد السهر.!

واقتنع الوالد بهذا الحل.. واطمأن باله.. وزال عنه بعض الهم..

فلما حان الموعد ذهب هذا النجار إلى قصر السلطان وقصد جناح ولي العهد فوجده في إنتظاره فحياه بتحية الاسلام.. فرد عليه ابن السلطان التحية بأحسن منها وأمره بالجلوس.. ثم صار ابن السلطان يتحدث مع بعض جلسائه.. تاركا لهذا النجار فرصة ليسترد هدوءه.. ولتهدأ أنفاسه.. وليجيب على اسئلة ابن السلطان أو ألغازه بجواب هادىء رزين.!!

وسأل ابن السلطان وأجاب النجار بنفس الحلول التي قالتها له ابنته الصغرى . .

فسمع ابن السلطان تلك الحلول وتعجب من إحكامها وصوابها . . ولكنه كان مصراً على أن يظهر عجز هذا النجار . . عما أمره ابن السلطان وقد علم من طرق خاصة أن تلك الحلول ليست من صنع النجار ولا نتيجة لفهمه وإدراكه . . وإنما هناك في منزله من يحل له هذه الألغاز حلاً سليماً ممتازاً . !

وسأل ابن السلطان النجار عن أفراد عائلته . . فأخبره أنه ليس لديه إلا ثلاث بنات قد ماتت أمهن منذ فترة طويلة من الزمن . . وأنه لم يتزوج بأخرى خوفاً على بناته من زوجةٍ تؤذيهن . . وتنكد عليهن معيشتهن . !

وعندما علم ابن السلطان بعدد أفراد الأسرة . . قال للنجار . . إذهب الآن . . وأتني بعد أسبوعين ومعك بناتك الثلاث وهن حوامل . .

فلم يكن من النجار إلا أن يخرج . . ويذهب إلى بيته ويخلو بابنته الصغرى . . ويخبرها بما طلب ابن السلطان . . فطمأنته ابنته . . وقالت أترك الأمر لي . . فإذا جاء الموعد فأننا سوف نذهب . . وسأكون أنا المتكلمة باسمكم جميعا . . فاتركوا لي الأمر وسوف تجدون من كلامي وتصرفي ما يحل المشكلة . !

فاطمأن النجار إلى ثقة ابنته في نفسها . . وانقضت الأيام

بسرعة.. وجاء الموعد المحدد فأخذ النجار بناته الثلاث.. وذهب إلى ابن السلطان..

وعندما دخل عليه قصره وجده في انتظاره.!

وكانت البنت الصغرى قد أخبرت أختيها بأنه لو أصر ابن السلطان على سؤال كل واحدة على حدة ولو كان السؤال هو: تشتهي الحامل من النسوان.. خوخ ورمان.!!

وكان هذا السؤال الذي خطر على بال البنت الصغرى هو ما سأل عنه ابن السلطان تماماً.! وقد بدأ بسؤال الكبرى فأجابت بما قالت لها أختها وسأل الوسطى فكان جوابها هو نفس جواب أختها.. وسأل الصغرى فأجابت الحبلى من النسوان تشتهي كمثرى من حجر.! فضحك ابن السلطان من هذا الجواب البعيد من الصواب وضحك الحاضرون في مجلسه الذي كان مكتظاً بالخدم والحشم والزوار.!

وقال ابن السلطان بأعلى صوته: ياناس هل الكمثرى يخرج من الحجر؟ فأجابته الفتاة بصوت ناعم رقيق سمعه جميع الحاضرين:

يا ناس وهل الأنثى تحمل بدون ذكر.؟

وبهت ابن السلطان بهذا الجواب.. وأعجب بهذه الفتاة كل الإعجاب.!!



البنات الثلاث أمام ابن السلطان

كما أن الحاضرين جميعا اندهشوا مع الإعجاب بجرأة الفتاة.. وطلاقة لسانها وقوة حجتها.!

وقال ابن السلطان لوالد الفتاة إني أريد أن أتزوج بابنتك الصغرى.. فماذا ترى؟

فقال النجار إنه لشرف عظيم أن تتزوج ابنتي.. وأنا أوافق حالا وبلا تردد على هذا الزواج.. أقول هذا الكلام بحضور ابنتي التي سوف يكون سكوتها دليلا على موافقتها..

وسكتت الفتاة فعلا.. ولم تنبس ببنت شفه.. فعلم ابن السلطان وعلم الحاضرون بموافقتها من سكوتها وأحضر القاضي وعقد عقد الزواج..

وزفت ابنة النجار الفقير إلى ابن السلطان الخطير.. وذلك بفضل سلامة تفكيرها.. وطلاقة لسانها.. ورقة تعبيرها وتحبيرها..

أما أختيها فقد تسابق إلى خطبتهن كبار القواد.. من سادة البلاد.! وذهبت كل فتاة من بناته إلى بيت زوجها.. وبقي الأب وحيدا.. ليس لديه أنيس ولا حنيس.!!

وفكر هذا النجار الذي صار غنيا بعد أن كان فقيراً.. ومشهوراً بعد أن كان مغمورا.. فكر في الزواج الذي كان قد عزف عنه خوفا على بناته من اضطهاد النساء.. وشخص في مثل مركزه وغناه.. يتسابق إلى الإقتران به معظم النساء.!

وهذا فعلا ما حصل.. فقد خطب سيدة من بيت كبير معروف.. فرحبوا به.. وزوجوه.! وعاش الجميع في سبات ونبات.. ورزقوا الكثير من البنين والبنات.!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت..



سبحونة: -

١٣ - العجوز الساحرة والفتى الجميل..

أظلم الليل وأوى الأطفال إلى مساكنهم واجتمع فرقة منهم.. وذهبوا إلى حيث كانوا يجدون جدتهم التي لا تكاد تفارق مصلاها.. وعندما وصلوا إلى مكانها لم يجدوها.. وسألوا عنها فقيل لهم إنها أصيبت بوعكة بسيطة.. فذهبت عند إحدى بناتها. !!

وجلس الأطفال حيث كانوا يجلسون.. وطلب كبيرهم أن يتقدم أحد الأطفال بقصة أو سالفة نيابة عن الجدة..

فقال أحدهم إن لدي سبحونة تتعلق بالسحر.. وتتعلق بالنفاثات في العقد لا أظنكم سمعتموها قبل الآن.. فقال الأطفال بصوت واحد قصها علينا كفيت كل شر وهوان

فانتصب الطفل في مكان الجدة وقال هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي.. وإلى هنا هاك الرجال الذي تزوج ابنة عمه.. ورزق منها مولوداً ذكراً كان سلوة أبويه في صغره.. وأملهما المشرق في كبره..

فاهتم الوالدان بابنهما الوحيد.. وأولياه كل عناية.. في مأكله ومشربه.. وفي منامه وصحوته.!!

وشب الغلام جميلاً أديباً بهي الطلعة جذاب الشخصية.. وطلب الشاب من والده بندقية صيد فلبى طلبه.. وأحضر له بندقية من أطيب البنادق.. فصار الشاب يذهب في بعض الأوقات إلى بستان في طرف البلدة.. ويتجول فيه.. ويصطاد ما يجده من حمامة أو عصفور وفي بعض الأوقات يجد في هذا البستان أنواعاً من الطيور المهاجرة.. مثل الصفارى والغرنوق.. والبط وما أشبه ذلك..

وكان الصيد هو سلوته الوحيدة.. ورياضته المفضلة وفي يوم من الأيام رأته عجوز.. وهو في طريقه إلى هذا البستان فسحرت بجماله.. وبهاء طلعته فراقبته.. وعرفت أوقات ذهابه وعودته من هذا البستان.. وكانت هذه العجوز تتعاطى السحر خفية.. ولا تطلع على سرها هذا إلا من تثق به وتطمئن إلى كتمانه.!!

وفي ذات يوم زين لها شيطانها أن تسحر هذا الشاب وأن تأخذه إلى بيتها.. ليكون لها خاصة من دون سائر الناس.!!

ولكن كيف تسحره.. كيف تتصل به.. كيف تتعرف عليه.؟! كيف تكسب ثقته.؟!

وفكرت طويلاً في هذا الأمر.. وأخيراً رأت أن تلبس أحسن ما لديها من ملابس.. وأن تتحلى بأجمل ما لديها من حلي.. وأن تذهب إلى هذا البستان الذي يصطاد فيه هذا الشاب..

وهكذا صار وحاولت أن تغري هذا الشاب بنفسها.. ولكنه كان عفيفاً.. كريم الأخلاق.. نبيل المنبت والتربية.!!

وعندما يئست منه من هذا الطريق.. جاءته من طريق آخر..

فقد لبست ثياباً مهلهلة.. وأخذت عصاً تتوكأ عليها.. وذهبت إلى هذا البستان الذي يرتاده الشاب.. وأخذت معها زجاجة فيها نوع من الأطياب المسحورة..

ورأت الشاب.. وهو يتجول في هذا البستان ويصطاد من أنواع الطيور.. فقربت منه وقالت يا ولدي انني عجوز مسكينة وجائعة.. فهل تستطيع أن تتكرم علي بأحد هذه الطيور التي معك.. فتشويه لآكله.. وأواصل سيري إلى المدينة.؟!

فقال الشاب.. إنني سوف أشوي لك حمامة بكل ترحاب وهكذا فعل الشاب فاختار لها حمامة من أكبر الحمام التي اصطادها.. ثم شواها وقدمها إليها..

فأكلتها.. ثم تقدمت إلى الشاب وقالت له لقد أتعبت نفسك في شي هذه الحمامة.. وأصاب يديك وثيابك بعض الروائح والأوساخ.. فخذ هذه الزجاجة من الطيب.. وتناول منها بعض ما يزيل تلك الروائح والأوساخ.!!

فأخذ الشاب تلك الزجاجة.. وشكرها وودعها وعندما خلا إلى نفسه فتح الزجاجة فشمها فوجد فيها رائحة طيبة.. فأخذ منها بعض الشيء.. ومسح به وجهه ويديه.. وعندئذ أحس بأحاسيس غريبة ما كان يحس بها من قبل.!!

فلم يكن منه إلا أن يذهب مسرعاً إلى بيت أهله بعد أن رمى الزجاجة عنه بعيداً.!!

وكانت العجوز في هذه الأثناء تهينم بكلمات غامضة وتشير إشارات مبهمة.. إلى أن اختفى الشاب عن نظرها.. وبعد ذلك أسرعت في اللحاق به..
وصارت تراقبه من بعيد لبعيد.. حتى دخل بيت أهله فعرفت مكانه.. ثم انصرفت دون أن يشعر بها أحد أنها تتابعه..

وعندما دخل الشاب في بيت أهله.. تسلل مسرعاً إلى غرفته الخاصة.. وعندما ولج فيها أقفل الباب على نفسه.. وأحس بأنه بدأ يتحول خلقاً جديداً.. فلم يكن منه إلا أن نام على فراشه وهو خائف مرعوب.. وعندما استيقظ وجد نفسه قد تحول إلى خروف صغير.!!

وعندما جاء الليل وجد نفسه آدمياً سوياً.. وعرف الشاب أن هذا التحول الغريب من فعل العجوز.. ومن آثار ذلك الطيب الذي أعطته إياه.!!

وكانت أمه في ذلك اليوم ذاهبة لزيارة إحدى صديقاتها.. وعندما فتحت باب غرفة ولدها.. وجدت أن الذي في غرفته خروفاً.. فأخرجته ووضعته في زريبة المواشي.!!

وقالت لعل زوجها جاء به ليكون ضحية في العيد بعد أن يعلفوه ويسمنوه.. أو لعله لأحد الجيران فيسأل عنه عندما يفقده..

ولما رأى الشاب أمه بعد أن صار خروفاً صار يتبعها ويشم ملابسها.. وينظر اليها نظرات الشاكي الذي لايستطيع أن يفصح عما يعاني..

والمهم أن أمه أحبت هذا الخروف وعطفت عليه.. وصارت تهتم بطعامه وشرابه.. ولكنه كان يشرب الماء ولا يأكل من العلف الذي لايصلح إلا للخراف.. لأنه ليس بخروف.!!

وعندما جاء الأب أخبرته زوجته بهذا الخروف.. وسألته هل هو الذي جاء به.؟!

فأخبرها أنه لم يجيء بخروف.. ولعله لأحد الجيران فإذا فقده سأل عنه فأعدناه اليه..

وبقي هذا الشاب خروفاً عند أهله فترة طويلة من الزمن لم يسأل عنه أحد..

بينما ولدهم الشاب الذي خرج من عندهم للنزهة والصيد لم يعد.. وسألوا عنه في البلد فلم يجدوا له خبراً.. وذهبوا إلى البستان الذي كان في العادة يذهب اليه ويصطاد فيه وبحثوا عنه فلم يجدوا له أثراً..

وداروا على الآبار التي في البستان خوفاً من أن يكون سقط في احدها.. ولكنهم لم يجدوه..

وأخيراً يئس أهل الشاب من وجود ولدهم.. وفوضوا أمرهم الى الله وقالوا إذا كان على قيد الحياة فإنه سيعود إلينا في يوم من الأيام.. وإذا كان هلك فتلك سبيل كل حي.. وهذا حال كل مخلوق.!! وقالت الزوجة لزوجها لعلك أغضبته.. في يوم من الأيام.. أو خيبت أملاً من آماله.!!

فقال الوالد إنني لا أذكر أنه طلب مني شيئاً فبخلت به عليه.. أو أنه تصرف تصرفات شاذة فنهرته بسببها.. إنني لا أتذكر أن شيئاً من هذا حدث.. وإنما في اختفائه سراً لم يظهر لنا حتى الآن.. ولكن الأيام كفيلة بإظهاره في القريب العاجل.. أو البعيد الآجل.!!

وسكتت الوالدة على مضض.. وقالت لعلها نزوة من نزوات الشباب.. تزول بأي سبب من الأسباب.. ويعود إلينا

ولدنا.. لتعود إلينا السعادة والصفاء.. وأمن الأب على دعاء الأم.!!

وتتابعت الأيام دون أن يسمعوا عن ولدهم أي خبر لا عن موته ولا عن حياته.!!

أما العجوز فأنها كانت تمر ببيت الشاب في اليوم عدة مرات مؤملة في أن تراه.. أن تسمع صوته.. أن تسمع شيئاً من أخباره.!!

ولكنها في كل يوم تعود خائبة المسعى مشغولة البال.. أما أهل الغلام فقد يئسوا من وجوده.. كما أنهم ملوا وسئموا من تربية هذا الخروف.. لأنهم لم يعتادوا أن يربوا الخرفان..

وأخيراً اتفق رأي الزوجين على بيع الخروف والخلاص من الإهتمام بطعامه وشرابه.. لأنه في واقع الأمر يشرب ولا يأكل.. وحالته كل يوم تزداد سوءاً..

وخرج به والده الى السوق فباعه بثمن بخس دراهم معدودة.. واشتراه رجل على أمل أن يسمنه ويهتم بصحته ليكون ضحية لوالده الذي قدم الى ربه منذ عدة أشهر..

واهتم الرجل الذي اشترى هذا الخروف بإطعامه والعناية به كما أن زوجته كانت ترعاه في معظم ساعات الليل والنهار..

ولكن الزوجة لا حظت أن هذا الخروف يوجه اليها

نظرات.. ليست نظرات حيوان وإنما هي نظرات انسان.. وتكررت هذه النظرات من الخروف فداخل الزوجة شيء من الريبة والوحشة.!!

وطلبت من زوجها أن يبيع هذا الخروف.. وأن لا يتركه عندها لحظة واحدة.!!

وكانت العجوز تتبع مسار هذا الشاب الذي قلبته إلى خروف.. وتعرف من أخباره الدقيق والجليل..

وفي يوم من الأيام كانت تمر بالبيت الذي فيه هذا الخروف.. ورأت الرجل يقوده إلى السوق.. وعلمت أنه سيبيعه فتبعته.. وجاء أحد المشترين فدفع فيه ثمناً قليلا فلم يقبل صاحبه وجاء آخر فدفع فيه أقل من المبلغ السابق.. فلم يقبل أيضاً.!!

وعندئذٍ جاءت العجوز فقالت للرجل بكم تبيع الخروف فطلب فيه ثمناً زائداً عما دفع فيه سابقاً فوافقت العجوز ودفعت للرجل ما أراده..

وأخذت العجوز هذا الخروف وذهبت به الى بيتها وهي في غاية السعادة والسرور وعندما وصلت الى البيت ذهبت به حالاً الى الحمام فنظفته وعطرته ثم ذهبت الى السوق فاشترت له ملابس واشترت له طعاماً وشراباً من أحسن ما يعرض في الأسواق.

ثم عادت إلى بيتها فقدمت ذلك الى الخروف فأكل



العجوز تهتم بالشاب بعد أن قلبته إلى خروف

وشرب.. ووجد عناية في بيت العجوز أكثر مما كان يجد سابقاً..
وبدأت صحته تتحسن وبدأ خاطره يرتاح بعض الشيء.. وهو
يؤمل الخلاص من الحالة التي هو فيها في وقت قريب.!!

وصار في النهار ينقلب الى خروف.. وفي الليل يعود شاباً
جميلا كامل الأوصاف.!!
وكانت هذه العجوز تسرح وتمرح أثناء النهار ولا تكاد تستقر في
بيتها.. أما في الليل فإنها تبقى مع هذا الشاب الذي سحرها
بجماله.. فسحرته بعطرها وتعاويذها.. وكانت تلك الليالي التي
تقضيها مع هذا الشاب من أسعد الليالي التي مرت بها في
حياتها.!!

وتوالت الأيام. .وكانت أم الفتى لاتزال تتذكر ولدها وتندب
حظها السيء.. وتندب شباب ولدها الذى لايعرف ماذا كان
مصيره.!!

وفي ليلة من الليالي إجتمع نسوة في حفلة من الحفلات
وجاءت مناسبة فذكرت أم الشاب ماجرى على ولدها.. وأنه خرج
من بيت أهله ولم يعد.. وأنهم لم يقعوا له على خبر.. ولا يدرون
هل هو لايزال حياً أم أنه في عداد الأموات.!!

وكانت زوجة الرجل الذي اشترى الخروف منهم حاضرة
وكانت تعلم أن الخروف الذي اشتراه زوجها كان خروفهم..
وكان النساء يسمعن عن السحر وعن قصصه.. وعن قصص
الساحرات والمسحورين..

ولذلك فقد اسرت الى أم الشاب. ما لاحظته في الخروف الذي اشتروه منهم.. وقالت لها إنني أخشى أن يكون وقع في غرام إحدى الساحرات فجعلته خروفاً.. وقد علمت أن الذي حرص على شرائه وزاد في قيمته بمالا يستحق هو إحدى العجائز المشكوك في سلوكهن.!!

ووقع هذا الكلام في نفس الأم الحزينة.. موقع القبول وعندما تفرق النساء.. ذهبت الى بيتها.. وعندما جاء زوجها أخبرته بكل ماجرى.. وقالت لزوجها إنك يجب أن تبحث عن هذه العجوز.. وأن ترغمها على أن تعيد ولدنا الى ماكان عليه سابقاً.!!

فأنا لاأشك أن هذه العجوز هي التي سحرته ثم تتبعت خطواته حتى اشترته.. وحازته لنفسها.!!

وسمع الزوج هذا الكلام فلم يصدقه ولم يكذبه ولكنه قال في نفسه إنني يجب أن أعمل أي محاولة في سبيل إعادة إبننا إلينا.!!

وذهب الزوج الى السوق.. الذي بيع فيه الخروف وسأل أحد العمال الذين يساعدون أرباب المواشي.. أو من يشتري المواشي.. ووصف له العجوز والخروف.. فقال أنا الذي قدت هذا الخروف الى بيتها.. وقد أعطتني أجرتي مضاعفة وأنا أدلك على بيتها على شرط أن تعطيني مثلما أعطتني العجوز.!!

واتفقا على الأجر الذي يجب أن يدفع وذهب العامل بهذا

الوالد حتى أوقفه على بيت العجوز.. فشكره ونقد له الأجر المتفق عليه كاملا.!!

ثم عاد الى بيته ليرسم خطة محكمة للدخول في بيت العجوز.. وإرغامها على إعادة إبنهم الى ماكان عليه..

وعندما أخبر الزوج زوجته بما توصل اليه.. وأنه لم يبق إلا رسم الخطة.. قالت الزوجة إن الخطة أن أذهب أنا وإياك.. فادق الباب على العجوز فإذا فتحت الباب دخلت أنا ودخلت أنت في اثري.. وعندما نخلو بالعجوز.. نخبرها بأن الخروف الذي اشترته هو ولدنا.. وأنها هي التي سحرته.. وأن عليها أن تعيده انساناً سوياً كما كان.. وإلا فان نهاية حياتها سوف تكون على أيدينا.!!

وهكذا وقع.. وعندما قابلوا العجوز بهذا الكلام بهتت وارتبكت.. وحاولت أن تبعد هذه التهمة عن نفسها.. وكانت زيارتهم لها مفاجأة غير سارة بالنسبة الى العجوز.. التي وجدت نفسها في قبضة والدي الشاب.!!

وكثر الجدل بين الزوج والعجوز.. ونفد صبر الزوج فقام الى العجوز فأمسك بتلابيبها.. وضغط على حلقها الى أن كادت تلفظ أنفاسها.. ثم أطلقها لتنفذ أمره.. وتنقذ ولده.!!

ثم أعاد اليها التهديد.. وشدد قبضته عليها.!!

وأخيراً رأت العجوز أنه لا مفر لها إلا أن تعيد ولدهم الى ماكان عليه.!!

فأطلقها وقادتهم الى مكان الخروف.. وكان معها زجاجة تحتوي على مواد سحرية.. فأخذت منها قليلا ومسحت به على جلد الخروف فانقلب شاباً انساناً سويا.!!

فرأته أمه فكادت أن تطير من الفرح.. فاحتضنته وقبلته.. ثم أخذه والده وضمه الى صدره والدموع تكاد تتساقط من عينيه.!!

وكانت العجوز تقف قبالتهم خائفة مرعوبة.!! مع أنها أخذت العهود والمواثيق أن يعفوا عنها.. وأن لاينتقموا منها.. وأن لا يفضحوها... كما وعدتهم بالتوبة والاقلاع عن هذه الأمور المحرمة.. والتي عقوبتها الإعدام في معظم الشرائع والأحكام.!!

فأخذ الوالدان ولدهما ووفوا للعجوز بتعهداتهم بالعفو عنها.. وعدم إبلاغ السلطات الشرعية بجريمتها.. على شرط أن لاتعود الى مثل هذه الأمور.. فإن عادت.. فإنهم سوف يكشفون كل مستور.. وسيقفون منها موقف المنتقم الموتور.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

سالفة :

١٤ - من مكايد الزوجة لأقارب زوجها..

كان ياما كان في قديم الزمان والى هنا هاك الشاب الذي توفيت والدته.. ثم توفي والده.. وبقي وحيداً في هذه الحياة هو وأخته التي تصغره بعدة سنوات..

واعتمد الشاب على الله ثم على نفسه فبدأ يبيع ويشتري ويكسب مرة ويخسر أخرى.. ولكنه كان يحصل على مايكفيه هو وأخته..

وكان يسافر من وقت لآخر ليذهب ببضاعة إلى بلد أخرى فيبيعها.. ثم يشتري بثمنها بضاعة تصلح لبلاده ومواطنيه فيعود بها.!!

وكان إذا أراد أن يسافر وضع عند أخته كلما تحتاج اليه من طعام وشراب.. ثم أوصاها بقفل الباب وأن لاتفتح لأحد كائن من كان. !!

وكان غياب الأخ عن أخته لايطول في أغلب الأحيان..

وكبر الشاب فبلغ مبلغ الرجال وكبرت الفتاة.. وبلغت سن الزواج.. وجاء الخطّاب يخطبونها فكانت ترفض أن تتزوج قبل أخيها الذي هو أكبر منها.. وكان الشاب قد سمع عن مكائد الزوجات لأقارب أزواجهن.. فخشي على أخته من زوجة تكيد لها وتنغص عليها حياتها. !!

وبقي الأخوان على هذه الحالة عدة سنوات والأخت لاتريد أن تتزوج قبل أخيها.. والأخ لايريد أن يتزوج خوفاً على أخته من مكائد النساء. !!

وطال الزمن.. ومضت الأيام.. وبيت الأخوين هادىء.. والهدوء في بعض الحالات يكون مخيفاً ومزعجاً. !!

واشتاق الأخوان الى أن يسمعوا في بيتهم صوت طفل يدعو أمه أو أباه.. ويجلجل صراخه في جوانب البيت.. بالضحك تارة.. وبالبكاء تارة أخرى. !!

وأشارت الفتاة على أخيها بأن يبحث له عن زوجة فرفض في بادىء الأمر.. وقال إنني لن أتزوج حتى تتزوجي أنت.. وقالت

هي إنني لن أتزوج وأتركك وحيداً في هذا البيت. !!

وعاودت الفتاة كلامها مع أخيها حتي أقنعته بالزواج ووافق على أن يتزوج.. ولكنه كان متخوفاً على أخته. !!

وبحث عن شريكة الحياة.. بين العوائل الكريمة المعروفة التي هي في مستواهم الإجتماعي والإقتصادي. !!

وبعد بحث طويل.. وجد ضالته.. ثم استشار أخته عليها وعلى عائلتها.. فوافقت وقالت لأخيها توكل على الله وأسرع في الزواج.. ونسأل الله أن يكون زواجاً موفقاً..

وكانت الفتاة لا تعرف هذه الزوجة.. ولم ترها في يوم من الأيام.. ولكنها كانت تسمع عن عائلتها كما أن أخاها لم ير هذه الزوجة.. وإنما سمع بأوصافها من بعض من يعرفها.. لأن الناس في زمن مضى لايرون زوجاتهم إلا بعد الزواج..

والمهم أن مراسم الزواج تمت بسرعة حسب رغبة الزوج.. ونقل الزوج زوجته الى داره وكانت الزوجة تعرف أن له أختاً.. وأن هذه الأخت معه في البيت.. ولكنها كانت واثقة بأنها سوف تكون هي ربة البيت.. وهي المتصرفة في شئونه وأن أخت زوجها سيكون دورها ثانوياً. !! وأن الأخت ستقوم بما تكلفها به الزوجة من أمور البيت التي تصعب عليها. !!

وعندما دخلت الزوجة في بيت الزوجية استقبلتها الأخت

استقبالاً كريماً.. ورحبت بها ترحيباً حاراً..

واستمرت الأخت في القيام بجميع شئون البيت على عادتها..

ولكن الزوجة رأت أن الأمور إذا بقيت على ماهي عليه فإن دورها سيكون في البيت ثانوياً.. وهذا الدور لايعجبها.. بل هي تريد أن تكون هي المتصرفة الوحيدة في البيت بحيث تعمل ما يخف عليها.. وتكلف أخت زوجها بما يثقل عليها عمله..

وكان الأخ أو الزوج يهتم بأخته كثيراً ويراعي مشاعرها ويقول بينه وبين نفسه: إن الزوجة يمكن أن استبدلها بزوجة أخرى ولكن أختي الوحيدة أين أجد عوضها.؟!

ثم إنها من ناحية ثانية قد ضحت برغبتها في الزواج وانجاب الأطفال كل ذلك براً بأخيها ورعاية له.. وكلا هذين الأمرين وغيرهما كان من أهم الأسباب التي جعلت هذا الأخ يتعلق بأخته ويهتم بشئونها فلا يأتي من سفر إلا جاء لها بهدية.. كهدية زوجته.. ولايهم بسفر إلا أوصى زوجته بالاهتمام بأخته.. والحرص على عدم تكليفها بأي عمل يشق عليها..

وشعرت الزوجة بالغيرة من هذه الأخت.. وقالت في نفسها إن لي شريكاً في قلب زوجي وعواطفه والزوجة طبعاً أنانية من هذه الناحية.. إنها لاتريد لها شريكاً في حياة زوجها وفي عواطفه.. وفي اهتمامه ورعايته.!!

وقالت الزوجة فيما بينها وبين نفسها : إنني يجب أن أتخلص من هذه الأخت بأي شكل من الأشكال. إن هذا البيت لايسعني وإياها. !!

ولكن ماهي طريقة الخلاص.؟!

وهنا بدأت الزوجة تفكر في مختلف الطرائق وانشغل بالها بهذا التفكير.. عن أي شيء آخر في حياتها الخاصة.. وحياتها العامة..

وعزم الزوج ذات يوم على السفر.. وأخبر زوجته وأخبر أخته بهذا العزم.. وبالبلد التي سوف يسافر اليها.. وقال لهما كل واحدة تختار هدية آتي بها اليها من تلك البلد.

واختارت الزوجة نوع الهدية التي تريدها أما الأخت فإنها قالت إن هديتي أن ترجع إلينا سالماً.!!

وغضبت الزوجة من هذه الطريقة اللطيفة.. التي تعامل بها الأخت أخاها.. ولكنها كتمت هذا الغضب في نفسها.. كما أن هذا الغضب زادها عزماً وتصميماً على الخلاص من هذه الأخت بأي ثمن..

وسافر الرجل الى تلك البلد التي يحمل اليها بعض البضائع التي تروج فيها..

وخلا الجو للزوجة.. وعزمت على أن يكون الخلاص من

هذه الأخت في هذه السفرة..

وكان بيتهم في طرف من أطراف المدينة.. وكان يطل على بستان عامر بمختلف الأشجار.. التي تحمل شتى الثمار وأحلاها.!!

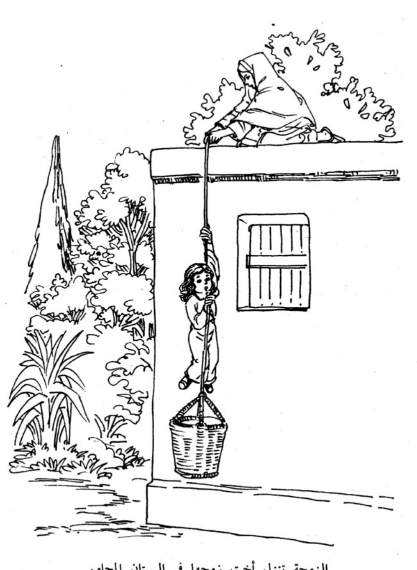
ففيه النخيل.. وفيه الرمان.. وفيه العنب.. وفيه المشمش.. والمهم أنه مليء بمختلف الفواكه والثمار.. وكان محاطاً بسور منيع لايستطيع أحد أن يتسلقه.. إلا بسلم طويل إذا كان على الأرض.. أو انحدار بالحبال إذا كان في بيت مجاور..

وقالت الزوجة لأخت زوجها إنني أشتهي اليوم تفاحاً.. ونحن لا نستطيع أن نخرج لنشتريه من السوق ولذلك فإني أرجو أن تنزلي إلى هذا البستان بواسطة هذا الحبل الذي سوف أنزلك به.. ثم أجذبك مع الفاكهة بواسطته.!!

وترددت الأخت في تنفيذ هذه الرغبة.. وكانت هذه هي المرة الأولى التي تتردد فيها هذه الأخت في تنفيذ أوامر زوجة أخيها.!!

والحت الزوجة على هذه الأخت.. واشعرتها بأنه لابد من تنفيذ هذه الرغبة مهما كلف الأمر.!!

وأمام هذا الإصرار من الزوجة خضعت الأخت.. وجلست في زبيل.. ثم أنزلتها زوجة أخيها قليلاً قليلاً.. حتي وصلت الى



الزوجة تنزل أخت زوجها في البستان المجاور

أرض البستان.. وبعد ذلك اتجهت الى أشجار التفاح فملأت حجرها.. ثم عادت مسرعة الى الزبيل.. فجذبتها زوجة أخيها.!!

وحمدت الله على السلامة.. حيث أن صاحب البستان لم يرها.. ولم يطلع على فعلتها..

وعاشت الفتاة ذلك اليوم حزينة كاسفة البال.. كيف أقدمت على هذه الفعلة النكراء.؟! إنها تسلل غير مشروع.. إنها سرقة يعاقب عليها الشرع.. إنه تصرف جنوني.. ولكن الله ستر عليها هذه المرة..

وجاء اليوم الثاني.. فقالت زوجة الأخ.. انني اليوم أشتهي قليلاً من الرمان من هذا البستان وعليك أن تنزلي.. وتقطفي لنا عدة حبات..

فامتنعت الفتاة.. وقالت لقد ستر الله علينا أمس وما كل مرة تسلم الجرة.. ثم إن هذه سرقة وأنت تعرفين عقوبة السارق.. وهي قطع يده.. فهل تريدين أن تقطع يدي.؟!

ولكن الزوجة لم تقتنع بهذا الكلام.. وقالت لأخت زوجها ان هذا لا يعتبر سرقة تقطع فيها اليد.. بل يعتبر نوعاً من زكاة هذه الثمار.. والذي ستر علينا في المرة الأولى سوف يستر علينا هذه المرة.!!

وألحت زوجة الأخ على أخت زوجها.. ولم تقبل لها عذراً..

وأمام هذا الإلحاح استسلمت الفتاة.. وأنزلتها في وسط الزبيل.. وقطفت الفتاة عدة حبات من الرمان.. ثم جاءت بها في حجرها.. وجلست في وسط الزبيل.. فجذبتها زوجة أخيها..

وأثنت على شجاعتها.. وخفة حركتها.. وتحقيقها لرغبات زوجة أخيها..

وجاء اليوم الثالث.. فقالت إنني أشتهي عدة حبات من الخوخ.. فأنزلي ياحبيبتي.. واقطفيها بسرعة.. ثم اصعدي بها الي..

وكادت الفتاة أن تبكي خوفاً من العواقب الوخيمة التي قد تترتب على فعلتها.. وإذا كان الله قد ستر عليها في المرتين السابقتين.. فقد تكون الكارثة في هذه المرة الثالثة..

ولكن الزوجة الحت على الفتاة.. وقالت لها إن هذه هي المرة الأخيرة التي سوف أكلفك بالنزول الى البستان.. فانزلي هذه المرة ولن أكلفك بالنزول مرة أخرى..

وخجلت الفتاة وخافت.. ولكنها أمام الحاح الزوجة استجابَت.. وقالت ما دامت هذه المرة الأخيرة فلأنفذ رغبتها.. ولعل ربنا الذي ستر علينا في الماضي.. يستر علينا هذه المرة..

ونزلت الفتاة.. وكان الفلاح قد شعر بأن حديقته يؤخذ من ثمارها.. فصار يترصد لهذا السارق ويراقب الموضع الذي هو ميدان السرقة.!!

وعندما استقرت الفتاة على أرض البستان.. نزلت من الزبيل.. واتجهت الى شجرة الخوخ وصارت تقطف منها..

وكانت زوجة أخيها تراقبها.. وعندما بدأت في قطف تلك الثمرة فاجأها الفلاح.. فقبض عليها بالجرم المشهود..

وعندما رأت الزوجة ما حدث جذبت الحبل والزبيل بسرعة فائقة.. ونظر الفلاح يميناً وشمالاً فلم ير أثراً لمن قد يكون ساعدها على القفز.. وعلى السرقة.!!

فأخذ الفلاح بيدها وقد استسلمت لمصيرها المحتوم.. الذي كانت تنتظره وتخشاه.. وقادها الفلاح فأدخلها على والدته وأخته.. وقال لهما أهتما بهذه الفتاة فقد يكون لها قصة سوف تكشفها الأيام..

أما ماكان من الزوجة.. فإنها أخذت شنة قربة وكفنتها.. وحفرت لها حفرة في فناء البيت ودفنتها.. وجعلت على طرفي القبر نصائب تحدد امتداد القبر من الشمال الى الجنوب..

وجاء الأخ والزوج من سفره.. فقابلته زوجته حزينة كسيرة الفؤاد فأحس الزوج بأن في الأمر شيئاً.. ولكنه تمالك أعصابه.. وسأل عن أخته فلم تجب على سؤاله.. ولكنها قالت له أدخل واخلع ثياب السفر وسوف أخبرك بما جرى.. والحمد لله على قضائه وقدره..

وكان الزوج يثق بزوجته كل الثقة.. ويعتقد أنها تحبه..

وتحب أخته.. وتراعي مشاعرها كما تراعي مشاعره.. ولا يتطرق الى ذهنه أي شك في هذه الأمور..

ولذلك فإنها عندما أخبرته بأن أخته قد توفيت بمرض مفاجيء.. صدق هذا الخبر.. وأخذه قضية مسلمة..

واستمرت الزوجة تقص عليه كيفية وفاتها وأنها غسلتها وكفنتها.. ثم صلت عليها.. ودفنتها في فناء البيت لتكون بالقرب من أهلها حية وميتة.!!

ثم أخذت بيد زوجها.. حتى أوقفته على القبر.!!

ولم يشك الرجل في صدق زوجته.. ولم يخامر قلبه أي ريبة في أن في الأمر مكيدة.. لأنه كان لايرى إلا حباً واحتراما متبادلا بين أخته وزوجته..

ولذلك فقد أخذ الأخبار قضية مسلمة.. وسلم أمره لله.. وسالت الدموع من عينيه.. وعزف عن الطعام والشراب. وحبس نفسه في البيت.. فلا يبيع ولا يشتري.. ولا يقابل أحداً إلا في طريقه الى المسجد لأداء الصلوات.. وفي عودته من المسجد الى بيته.!!

أما ماكان من الفلاح مع الفتاة.. فإنه تركها عند أمه وأخته وأوصاهما بها خيراً.. وقال لهما خذا أخبارها وقصتها بدقة.. واعرفا أسباب نزولها في البستان ومن أين نزلت.؟! ومن كان يساعدها على النزول والصعود.!!

وعرف الفلاح أخاها وعرف عائلته.. وأنه من أرومه كريمة.. وقبيلة معروفة.. وقد خيرها الفلاح بين العودة إلى بيتها أو البقاء عندهم حتى يحضر أخوها من سفره.. فاختارت البقاء عندهم حتى يحضر أخوها.. وترقب الفلاح عودة أخي الفتاة.. وعندما علم بقدومه من السفر عزم على خطبتها منه.. فعارضه عندما خرج من المسجد.. وقال له إنك حديث عهد بسفر وأنا جارك صاحب هذا البستان.. وأنا أدعوك إلى تناول طعام الغداء معها غداً.. وأراد الرجل أن يعتذر.. ولكن الرجل ألح عليه.. الحاحاً شديداً.. فقبل الرجل دعوة الفلاح على مضض..

وفي الموعد المحدد.. جاء الفلاح الى الرجل وذهب به الى بيته..

وعندما قدم الطعام.. أكلوا وشربوا وهم يتحدثون بشتى الأحاديث.. وفي مختلف المجالات..

وبعد ذلك قدم الشاي والقهوة ثم قال الفلاح لأخي الفتاة..

إن لدي أمانة ثمينة.. قد صنتها وحافظت عليها كما أحافظ على أعز شي لدي..

والآن أنا أريد أن أرد هذه الأمانة اليك.. إلا إذا وهبتني إياها.. أو أهديتني إياها.. أو بعتني إياها.!!

فقال أخو الفتاة أنا لا أعرف أني أودعتك أمانة.. حتى أتقاضاها منك أو أتقاضى ثمنها.!!

فقال الفلاح إنك لم تعطني هذه الأمانة ولكن الله ساقها الي بطريق الصدفة.. وعن طريق غير طريقك.. ولكنك أنت الذي تملكها.. وأنت الذي تستطيع أن تبيع أو تهب.. أو تسترد الأمانة..

واحتار الأخ في هذه الألغاز التي لم يفهم منها شيئاً.. وقال للفلاح أوضح لي من فضلك.. ما هي الأمانة.؟ وماذا تريد مني بالنسبة إلى هذه الأمانة التي تتحدث عنها.؟! بينما أنا لا أعرف عنها شيئاً...

فقال الفلاح إنها أختك التي وجدتها في البستان تقطف بعض ثماره.. وما كنت أدري أنها أختك لأني لا أدري كيف نزلت في البستان.. وما كنت أعرف من عائلتها أي إنسان.!!

ولذلك أخذتها وسلمتها لوالدتي ولأختي وأوصيتهما بها خيراً.. وطلبت منهما أن يعرفا خبرها وأسرتها وهل سرقتها عن حاجة.. أم عن رغبة في السرقة.؟! ورغبة في التخريب.؟! أم لدافع قهري ألجأها إلى هذا السلوك..

وقد سألاها فأخبرتهما الفتاة التي هي أختك بنسبها.. وحسبها.. وأنها في فعلتها تلك مرغمة.. والذي أرغمها هي زوجة أخيها.!!

وعندما سمع الزوج هذا الكلام كاد يصعق.. كيف تكذب عليه زوجته وقد وثق بها.؟! كيف تخونه وقد ائتمنها.؟! وقد خالط

غضبه الشديد.. فرح أشد منه.. وكاد الأخ أن يذهب في غيبوبة من صراع المتناقضات في نفسه بين السرور والاكتئاب.!! ولم يصح من أفكاره المختلطة إلا بقول الفلاح..

وأنا الآن أخطب منك أختك.. وأريد أن تزوجنيها على سنة الله ورسوله.. كما أنني من جهة أخرى أعرض عليك أختى الفتاة البكر إذا رغبت ذلك.. وسوف آتي بأختك الآن لتخبرك الخبر اليقين.!!

وجاء الفلاح بأخت الرجل.. فقصت على أخيها جميع ما جرى لها من زوجة أخيها.. وصار كلامها مطابقاً لكلام الفلاح

وعندما انتهت الفتاة من سرد قصتها.. قال لها أخوها هل ترغبين في الزواج من هذا الرجل الماثل أمامك.؟! فتلعثمت.. وتململت في جلستها.. ثم قالت الأمر اليك يا أخي..

وبعد هذا علم الأخ بأن أخته لا مانع لديها في هذا الزواج.. وعندئذ قال التاجر للفلاح: إني قبلت أختك زوجة.. كما أنني موافق على زواجك من أختي وعلينا الآن أن نذهب إلى القاضي ليعقد عقد نكاحنا..

وهكذا حدث فذهب الرجلان ومع كل واحد منهما أخته إلى قاضي البلد.. وأحضر الشهود.. وأبرمت العقود.. وزفت عروس كل واحد منهما إلى زوجها في ليلة واحدة.!

وجاء دور الزوج مع زوجته التي غدرت به في أعز مخلوق

لديه.. وألقت بأخته إلى الهلاك.. وعرضتها للفضيحة.. وفكر الزوج في طريقة حكيمة مستورة يتخلص بها من هذه الأفعى الفاتكة السموم..

وبعد تفكير طويل واستعراض عدة حلول وجد الطريقة.. وجاء إلى زوجته الغادرة.. وقال لها إنني سوف أسافر سفراً طويلاً.. ولا يمكن أن أتركك في البيت وحيدة.!! فاجمعي ما تحتاجين إليه.. وسوف أضعك عند أهلك إلى أن أعود.!!

وأحست الزوجة بأن في الأمر شيئاً.. فقد يكون انكشف أمرها.. لزوجها.. فهو يريد أن يتخلص منها وعلى أي حال فهي لا يسعها إلا أن تستجيب..

وإذا اخلا له البيت فقد يحفر القبر.. فيرى أن اللحد ليس فيه إلا قربه.. وإذا فأين أخته.؟!

فكرت في هذه الأمور ولكن تفكيرها لا يقدم ولا يؤخر.. ولا يغير شيئاً من واقع الأمر..

والمهم أن الزوج أخذ زوجته الخائنة.. وسلمها لأهلها.. وبعد يوم أو يومين أرسل اليها ورقة طلاقها.. التي وقعت عليها وقوع الصاعقة.. فقد كانت تحب زوجها حباً شديداً لرجولته وكرمه وأصالة محتده.. ولكنها أغواها الشيطان.. وزين لها أن تتخلص من أخته ليخلو لها وجهه.. ويخلو لها قلبه.. فتكون هي الكل في الكل.!!

ولكن عاقبة الطمع في كثير من الأحيان تكون وخيمة العواقب.. فقد تجر أعظم المصائب وقد قيل في الأمثال «الطمع مملز» أي يفوت على المرء ما يريده.. وقيل «من بغاه كله خلاه كله».

أما ما كان من الزوج وزوجته الجديدة.. فقد نقلها إلى بيته الخالي الذي كان ينتظرها.. كما أن صاحب البستان سمح لجاره وزوج أخته بأن يفتح باباً على البستان من بيته.. وأن تلتقي العائلتان.. في كل وقت وآن.!!

وعاش الجميع في سبات ونبات ورزقوا الكثير من البنين والبنات.. وكان لهم في هذه الدنيا صولات وجولات.. إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات..

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

١٠ - لابن سجوان في الغربة وقلة الأعوان.!!

يـاحسين ديـرات الجماعـه مـريفـه
والـلي مع الأجنـاب كنه عـلى نار
الـطير بالجنحان مـا أحسن رفيقـه
والى انكسر إحدى الجناحين ما طار
يمنى بـلا يسـرى تـراهـا ضعيفـه
ورجل بلا ربع على الغبن صبار

سالفة

١٥ - الفتاة الغريبة!!

كان ياما كان في قديم الزمان يوجد رجل تزوج وكانت أمنيته الوحيدة أن يرزق ولدا وبنتا.!!

وحقق الله رغبته فرزق أولاً بمولود ذكر.. ثم بعد سنتين رزق بمولودة أنثى.. وكان سعيدا كل السعادة بهذين المولودين.. وكبر الفتى وبلغ مبلغ الرجال.. وحرص والده على أن يزوجه ليسعد برؤية أحفاده قبل وفاته..

وبحثوا له عن عروس فوجدوها.. فتزوج وسكنت معه في بيت والده..

وعاشت العروس مع زوجها وأهله فترة من الزمن ولكنها

أخيرا ضاقت بالسكنى معهم.. إنها تريد الإستقلال مع زوجها في بيت خاص.. لا يشركهم فيه أحد.. لأن كثيرا من الأمور والترتيبات التي تعجبها لا تعجب الذين يسكنون معها.. أو الذين تسكن معهم.!!

وألحت الزوجة على زوجها بأن يستقل بأموره.. وأمام الحاحها استأذن الولد من والده ووالدته بأن يستقلوا بأنفسهم.. فمانعوا أول الأمر..

ولكنهم أخيراً رأوا أن من الخير أن يستجيبوا لطلب ولدهم..

فاستأجر الولد بيتا.. وانتقل بزوجته إليه وكانوا يتزاورون ما بين وقت وآخر.!!

وأراد الله على رأس العائلة أن يتوفاه الله.. وبعد فترة وجيزة لحقت به الأم إلى الدار الآخرة

ولم يبق بعدهم إلا البنت التي ليس لها عائل إلا أخوها..

وإنتقلت الفتاة إلى بيت أخيها مقبوضة الخاطر.. كسيرة الجناح..!

ولاحظ أخوها ما تعيش فيه أخته من هم وكمد.. وما يعتريها من وساوس وأفكار مزعجة فصار يلاطفها.. ويهتم بشئونها ويسأل عنها إن دخل البيت.. ويوصي زوجته بها خيراً إذا خرج من

البيت سواء كان هذا الخروج يستغرق وقتا طويلا أو قصيرا . . فهو صاحب أسفار . . يطول بعضها ويقصر بعضها الآخر . . وذلك في طلب الرزق والبيع والشراء . . ونقل بضاعة من بلد إلى آخر . . تروج فيه تلك البضاعة . .

وأراد أن يسافر ذات يوم فأوصى زوجته على أخته وقال لها إنك يجب أن ترفهي عنها . . وأن لا تكلفيها من العمل ما يشق عليها . . وأن تعطيها كلما تريده فيها في البيت أو خارج البيت . .

ووعدت الزوجة زوجها بأنها لا تعتبر أخته! إلا كأختها . . بل هي أعز من أختها . . لأن معزتها من معزة أخيها . . وأنت تعرف حبي لك واخلاصي في خدمتك وصدق حديثي فيما أبوح به إليك . !

واطمأن الأخ . . ومضى لسفره . . ولكن الزوجة كانت تبطن غير ما تظهر . . وتقول غير ما سوف تفعل . . وتعد بأوعاد هي عارفة أنها لن تفي بها . !

والمهم أن الزوجة صممت على الخلاص من هذه الأخت التي صارت ضرة أو شبه ضرة في بيتها وبيت زوجها . . فقد هربت منهم أولا . . ولكنهم لحقوا بها أخيراً . . أو لحقها أحد أفراد الأسرة التي كانت هاربة منهم . .

وفكرت الزوجة في المكيدة الناجحة . . التي تقضي على هذه الأخت . . أو تبعدها على الأقل من هذا البيت . . وفي نفس الوقت

فكرت في أن تكون المكيدة في مظهر الغيرة على شرف الفتاة. وشرف أخيها.. وشرف العائلة كلها.!

واطمأن بالها إلى الطريقة التي سوف تتبعها في الخلاص من هذا الضيف الجديد.. أو المنافس العتيد الذي جاءت به الظروف القاهرة إليها.!

وصارت الزوجة ترهق هذه الفتاة في أعمال البيت.. وتكلفها بكل أمر شاق فيه.. وإذ حاولت أن تؤجل.. أو تعتذر.. هددتها هذه الزوجة بأنها سوف تشكوها على أخيها عندما يجيء.. وسوف تخبره بأن أخته كسولة أكولة.. لا تقوم إلا بالتافة من أعمال البيت.!

وكانت الفتاة تخاف من أخيها.. بل هي تقدره.. وتحترمه.. وتقدر له عطفه عليها واهتمامه بشئونها وسؤاله عنها عند دخوله وعند خروجه.. ووصاياه لزوجته بأن تجعلها كأختها.. ولكنها من ناحية ثانية تعرف تأثير الزوجة على زوجها وأن الزوجة تحتك بزوجها وتؤثر عليه أكثر من الأقارب ولذلك قال الشاعر:

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا
مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

والمهم أن هذه الزوجة الشريرة رتبت أمورها.. وهيأت جميع الوسائل.. للخلاص من هذه الأخت.. وإلى الأبد..!

وقربت عودة الزوج والأخ.. وكان من عادته أن يكت لهم كتابا بأنه سيصل في اليوم الفلاني والساعة الفلانية.. وذلك قبل أربعة أيام أو خمسة أيام من قدومه.!

وكان من عادة أهله أن يستعدوا لقدومه بالنظافة والترتيب والتنظيم.. وإعداد لوازم الضيافة. أو على الأصح الوليمة التي يقيمونها إبتهاجا بمقدم رب البيت ورأس العائلة.!!

وكلفت الزوجة أخت زوجها بالقيام بجميع تلك الأعباء ما عدا الذبيحة فقد أوصت أحد أقاربها بأن يشتريها ويدخلها عليهم..

وفي اليوم الذي سيقدم في ليلته الزوج.. كانت الفتاة مرهقة في جميع ساعات النهار.. فرمت نفسها في الليل في مكان قصي من البيت ونامت فيه.. ودخلت الزوجة في غرفة الفتاة وعلقت في أحد مشاجبها ثوبا وغترة وعقالا.. كما وضعت في غرفة الفتاة بعض الأشياء التي لا يستعملها إلا الرجال..

وعندما قدم الرجل كانت أخته نائمة في مكان قصي من البيت أما الزوجة فكانت في إنتظار زوجها وعندما أناخ رواحله ساعدته في إنزال الأحمال وإدخالها إلى البيت وسأل عن أخته.. فقالت إنها نائمة. وقد حدثت لها قصة سوف أخبرك بها بعد وضع كل شيء في مكانه.!

وإنشغل قلب الأخ على أخته.. إنه لا يدري ما هذه

القصة.. ولا مدى تأثيرها عليه وعلى أخته وعلى عائلته والمهم أن الرجل ضغط على أعصابه.. وكتم ما في نفسه من هم ثقيل.. وانتظار لما سوف يفاجأ به بعد قليل.!

وانتهت تلك الأعمال المستعجلة.. وقال الزوج لزوجته أخبريني بالذي جرى.!

فقالت الزوجة إنه خبر مزعج.. وما كان بودي أن أكدر خاطرك وأنت قادم من سفر بعيد.. ومتعب من أعباء الحل والترحال.!!

ولكن الأمر مهم جداً. وهو يتعلق بشرف العائلة ولذلك فانه لا يسعني إلا أن أخبرك بجلية الأمر وعليك بعد ذلك أن تتصرف بما يقتضيه العقل والحكمة.!

وبعد هذه المقدمة المثيرة أخذت الزوجة زوجها بيده وقادته إلى غرفة أخته وأطلعته على ما فيها من الملابس الرجالية.. وقالت هذه بقايا محبوبها.!!

ثم أردفت ذلك بقولها: لقد نصحتها عدة مرات وحاولت أن أخيفها من مغبة ما تعمله.. وخطورة الطريق الذي تسلكه.. ولكنها كانت لا تعيرني إلا أذنا صماء.. وقلبا أغلف.. ونفسا قد ملئت بالهوى الأعمى.!!

فكاد الأخ أن يصعق من هول ما سمع.. وقال ماذا أصنع.

وقد أحضرت معي.. أو حضر معي صديق حميم يريد أن يتزوج من أختي.. هل أغشه وأزفها إليه وأنا أعلم سلوكها المنحرف.. أم أعتذر منه وأرده بعد أن وعدته بالزواج منها.؟

إنني لا أدري ماذا أصنع.. لقد احترت في أمري وأمر هذه الأخت وأمر هذا الصديق.!! فما هو رأيك يا زوجتي العزيزة.. في الخروج من هذه المشكلة المتعددة الجوانب.؟

وهنا جاء دور الزوجة لتلقي بثقلها في الخلاص من هذه الأخت.. وإلى الأبد.!

فقالت الزوجة لزوجها إن الرأي عندي ـ والرأي الأخير لك ـ أنه إذا دخل الضيف الخاطب عندنا نرمي بصخرة من أعلا البيت يسمع الضيف دويها فيسأل عن الخبر.. فنقول له إن هذا الصوت هو صوت سقوط الخطيبة من أعلا المنزل.. وقد أراد الله عليها فتوفيت ثم نتظاهر مع سياق هذا الخبر بالأسى والحزن.. ونسأل الله أن يعوضنا ويعوض الضيف بما هو خير منها.!!

ثم بعد سفر الضيف نحفر لها حفرة في فناء الدار وندفنها وندفن عارها معها.!

واقتنع الزوج بهذه الأفكار الجهنمية.. وأخبر ضيفه بما جرى فحزن على ما جرى لصديقه.. وسأل الله للفقيدة الرحمة ولأهلها بالصبر الجميل.!!

وكانت الفتاة تسمع ما يدبر لها من مكايد.. تحوك خيوطها زوجة أخيها.!!

وفكرت في طريقة الخلاص من الموت المحقق الذي ينتظرها ورسمت الفتاة طريق الهرب وصبغت نفسها بالسواد حتى صارت كأنها زنجية.!!

فلما انشغل أخوها وزوجته بتوديع الضيف أخذت بعض ملابسها الخفيفة.. ولبست لباساً متواضعاً يتناسب مع لونها.. وخرجت من البيت دون أن يشعر بها أحد..

وكانت قد عرفت طريق الرجل الضيف إلى بلاده.. فوقفت في جانب طريقهم.. فلما مروا بها تبعتهم تمشي عندما يمشون.. وتقف عندما يتوقفون ولاحظها الرجل وخادمه وسألوها أين ستذهبين وحدك في هذه الصحراء..؟ وأين أهلك.؟ وما هي قصتك؟

فقالت الفتاة إنني أعمل خادمة في أحد بيوت هذه البلدة.. وقد إستغنوا عن خدماتي.. وأريد أن أسافر معكم إلى بلدكم لعلي أجد عائلة كريمة أعمل لديهم إلى أن أعرف أين ذهب أهلي.!

فرحبوا بها.. وأعطوها جملاً تركبه.. وسار الجميع إلى أن وصلوا إلى بلدهم.. وعرض عليها الرجل أن تعمل في بيته فلم تمانع.. فأدخلها إلى بيته.. وقال لأهله إن هذه خادمة وجدناها في الطريق.. وهي تريد أن تعمل.. فدعوها عندكم تساعدكم في شئون المنزل..



الفتاة التي هربت مع القافلة خوفاً من القتل

وكان في بيت الرجل أمه وأخته.. وزوجته.. ففرحوا بها.. لأنها سوف تقوم بتنظيف البيت.. وترتيبه.. وعمل الشاي والقهوة..

وعملت الفتاة بجد وإخلاص.. وصارت إذا صنعت القهوة أو الشاي جاء ذلك متقنا لذيذا.. وفي ذات يوم سألوها هل تجيد الطبخ؟ فأجابت بنعم.. فقالوا لها اعملي لنا طعام العشاء.. فقالت حبا وكرامة.. وصنعت لهم عشاءاً فاخراً نظيفاً شهياً.. له طعم لذيذ.. ورائحة زكية..

فأكلوا ذلك الطعام كله.. وسأل الرجل عمن صنع الطعام؟ فقالوا له إنها الخادمة.!!

وكانت هذه الخادمة إذا أرادت أن تدخل المطبخ نظفت نفسها.. وأزالت عن جسمها السواد فبصرت بها أم الرجل.. فرأت شباباً وجمالاً.. ورأت خفة ورشاقة.!

فقالت لولدها إن هذه الخادمة لها قصة.. وهي ليست كما ادعت خادمة.!

فقال لها ولدها إسأليها عن قصتها.. وعن عائلتها ثم أخبريني بأخبارها..

وطلب صاحب البيت من أهله أن لا يعمل الطعام إلا هذه الخادمة.. ولم يسع زوجته وأمه إلا أن ينفذوا رغبته..

واستمرت هذه الخادمة في صنع الطعام ليلاً ونهاراً وكانت في كل مرة تصنع الطعام تأتي لهم بألوان جديدة من أنواع الأطعمة.. فأحبها وأحب أطعمتها كل من في البيت ما عدا زوجة الرجل فقد أدركتها بعض الغيرة من هذه الفتاة الغريبة التي لا يعرفون لها أصلا.. ولا يعرفون لها فصلاً..!

وسألتها أم الرجل عن قصتها.. فتمنعت أول الأمر ولكنها أخيراً أخبرتها بكل ما جرى لها من أخيها وزوجته.. وأخبرتها أن ولدها جاء ليخطبها من أخيها.. ولكن زوجته كادت لها.. وأرادت أن تتخلص منها.. وإلى الأبد..! أولا بحرمانها من الزواج وثانيا دفنها وهي حية.!!

وأخبرت الوالدة ولدها بكل ما سمعت.. وأثنت على أخلاق هذه الفتاة وحسن طباعها..

فتعلق الرجل بها.. وصمم على الزواج منها.. ولكنه لم يرد أن يتسرع بهذا الزواج.. وإنما كتب لأخيها الذي هو صديق له.. وعميل له في التجارة..

كتب إليه كتاباً رقيقاً.. يقول في جملته إن لديه بضاعة رائجة.. سوف تعطي ربحاً وفيراً.. وطلب منه أن يأتي إليه ليرى البضاعة.. فإما أن يشتريها.. وإما أن يأخذها إلى بلده على أن يكون الربح بينهما مناصفة..

ووصل الخطاب.. فكان الرجل هو الجواب.. بحيث لم

تمض مدة وجيزة حتى وصل أخو الفتاة إليهم . .

فاستقبله صديقه استقبالا حافلا . . وصنع له وليمة فاخرة . . صنعتها أخته . . بيديها وأعطتها من روحها ونفسها ما جعل أخاها يشم رائحة أخته في ذلك الطعام . . وأحس الأخ إحساساً غريباً بهذا الأمر قبل إن يخبره صديقه . . وقبل أن يسمع صوتاً أو يحس بحركة . !

وبعد أن انتهى الطعام بدأ شرب الشاي والكلام . . وقال الصديق لصديقه أو المضيف لضيفه لقد دعوتك لأخطب منك أختك . . أو على الأصح لأجدد خطبتها . .

ودهش الضيف بعض الدهشة . . وقال لمضيفه ألست قد قدمت علينا منذ فترة من الوقت خاطباً . . وأخبرناك أن الله قد أراد وقبض روحها في حادث أنت سمعته . !

فقال المضيف إني أخطب أختك الموجودة . . أما أختك التي ماتت فيرحمها الله . !!

فقال الضيف إذا كان لي أخت فقد زوجتها . . فقال المضيف إن لك أختاً وإنها قريبة جداً فقد تكون تسمع كلامك وتأنس بقربك . . وسوف آتيك بها الآن لتسمع منها قصتها . !

وبعد لحظات كانت الأخت أمام أخيها وجها لوجه وكانت مفاجأة سارة . . وفي نفس الوقت مخجلة فقد حرمها أخوها من رزق

ساقه الله إليها.. كما أنه سمع كلام زوجته وصدق كلامها وهم بالتخلص منها.. ولم يحاول أن يسألها أو يتثبت من أخبار السوء التي وصلت إليه عن طريق زوجته الشريرة.!!

كل هذه الأمور تفاعلت في نفسه.. ولكن عاطفة الحب والقرابة تغلبت عليه أخيراً فقبل أخته واعتذر إليها.. وقال إنها سقطة مريعة.. ولكننا نحمد الله إذ وقاك شرها.!

والحمد لله الذي قدر لهذه السقطة أن تصل إلى هذه النهاية السعيدة.!!

وقد وافقت على زواجك من هذا الرجل الكريم الذي هو صديقي.. والذي أنقذك الله على يديه.. فهل تقبلينه زوجا.؟ وغضت الفتاة من بصرها وأجابت بالسكوت.. والسكوت كما يقولون علامة الرضا.!

وجيء بالقاضي الشرعي وعقد عقد النكاح وزفت الفتاة الغريبة إلى ذلك التاجر الشهم الكريم في حفل بهيج.. وأغاريد وضجيج.!!

وبعد أن انتهت أفراح الزواج.. أراد الأخ أن يشد رحاله إلى بلده.. وجاءيودع أخته.!! فوجدها في إستقباله.. فقبلها وكرر إعتذاره منها.. وقال إنني سوف أنتقم من هذه الزوجة الشريرة التي فرقت بيني وبينك.. والتي اتهمتك زوراً وبهتاناً بما أنت بريئة منه.!!

وأرى أن أعظم عقاب لها أن أرسلها إلى أهلها.. ثم أتبعها بورقة طلاقها.. فهذا في نظري هو أنكى عقاب لها.!!

وحاولت الأخت أن تهدىء من ثورة أخيها.. ونصحته بأن لا يتسرع في الطلاق.. فقد يندم في وقت لاحق على التسرع.. وقالت إن تلك الأمور قد مضت إلى غير رجعة.. وأنها أصبحت جزءا من التاريخ الذي يجب أن نأخذ منه العبرة.. ولكنه يجب أن لا يصرفنا إلى أمور هدامة تنغص علينا حياتنا الحاضرة.. أو مستقبلنا المأمول..

وسمع الأخ هذه النصائح.. ولكنه لم يقتنع بها.. بل تعجب من صدورها من شخص في حق ناكبه.. بل قاتله معنويا.. وقاتله ماديا..!

وطيب الأخ خاطر أخته.. وقال لها كلاماً مبهماً فهمت منه أنه قد قبل نصائحها وأنه سيكون متزناً في تصرفه تجاه زوجته.. مع أنه قد صمم على خلاف ذلك.!!

واستأذن أخو الفتاة الغريبة في السفر إلى بلده.. فأرادوا أن يقيم عندهم مدة أطول.. ولكنه اعتذر بأن لديه أعمالاً مستعجلة سوف يعملها.. ثم يعود أليهم فيقيم عندهم كما يشاءون..

وقدم الرجل على زوجته فقابلته ببشاشة وفرحة.. ولكنه قابل بشاشتها وفرحتها بتجهم.. وانقباض فعلمت أن في الأمر شيئاً.. لأن زوجها ما كان يقابلها عند قدومه من السفر بمثل هذه

المقابلة.. فما الذي حدث.؟ وانشغلت الزوجة بأفكارها وهواجسها.. وانشغل الرجل بأمور تجارته.. وبأموره الخاصة.. وجاء الليل فاعتزل الزوج زوجته.. وهجرها في الفراش..!

وعندما رتب الزوج جميع الأمور تظاهر بأنه سوف يسافر غداً لأمر مستعجل.. وقد يطول سفره.. وعليها أن تأخذما خف من متاعها.. لتعيش مع أهلها حتى يعود.! ولم تصدق هذه المبررات.. وإنما هو الدمار والشتات.!

وهكذا ذهبت هذه الزوجة إلى أهلها ولم تعد بل أتبعها ورقة طلاقها.. ثم صفى تجارته.. في تلك المدينة ورحل إلى البلد التي فيها أخته وصديقه.. وإستأجر بيتاً.. وإستأجر حانوتاً.. واستقر بالقرب ممن أحبهم وأحبوه..

وقد أشارت عليه أخته بأن تبحث له عن زوجة ولكنه أجابها بالرفض.!!

وعاش الجميع في سعادة وهناء.. الأخ بعزوبته وصديقه بزواجه.. وكل في فلك يسبحون.. والله أعلم بما كان وما سوف يكون..

وحملت وكملت وفي أصبيع الصغير دملت..!

سالفة:

١٦ - محماس .. وفرسه السحرية!!

كان ياما كان في قديم الزمان رجل غني.. ومن كبار أهل بلده.. تزوج امرأة ورزق منها ولداً سماه محماس.!!

وعندما شب محماس وترعرع.. توفيت والدته.. وبقي محماس الصغير ووالده في البيت.. وليس لديهما من يرعى شئونهما.!!

فرأى والد محماس أنه لا بد من امرأة ترعى شئونهما وتهتم بأمو البيت ليتفرغ الوالد لشئونه التجارية وعلاقاته الإجتماعية..

فخطب إحدى السيدات فوافقت على الزواج به ولكنه إشترط عليها أن تكون بالنسبة إلى ولده محماس كأمه .. تتولاه بالعطف والرعاية.. وتعتبره كأنه خرج من بين أحشائها.!!

فوافقت المرأة على هذا الشرط.. وتعهدت بالوفاء به رحمة بالصغير.. ورعاية لحقوق الزوجية.!!

وتم كل شيء وتزوج الرجل بالمرأة ثم نقلها إلى بيته.. فاهتمت بشئون البيت.. وأظهرت عطفاً ورعاية لكل طلباته.. وتهتم بنظافته.. وتعد له جميع ما يحتاج إليه من مأكل أو ملبس أو توجيه لطيف خفيف.!!

وارتاح الطفل لهذه الأم الجديدة.. كما ارتاح الأب لما تقوم به زوجته نحو ابنه فأحبها.. واحترمها.. وقدر لها وفاءها بما تعهدت به..

ونشأ محماس ذكياً قوياً إذا كلف بعمل أداه أحسن الأداء وإذا وجه إليه النصح تقبله أحسن قبول.. فاعجب والده بذكائه.. وحسن تصرفه في جميع ما يكلف به.. أو يطلب منه..

وصار دائماً محماس على لسان والده فإن دخل البيت سأل عنه.. وإن خرج من البيت أوصى به خيراً.. وكثر ترداد اسمه على لسان والده حتى صار من لوازم كلامه قوله:

عمل محماس كذا.. قال محماس كذا.. كما أنه دائم الحديث عن تصرفاته داخل البيت وخارج البيت.!!

ورزقت الزوجة الجديدة بولد.. ثم رزقت بعد ولدها الأول بأنثى.. فانشغلت بأولادها من بطنها عن محماس وشئون

محماس.. وشعر محماس بتحول من جانبها ما كان يعهده.. ولكنه كتم هذا عن والده.. ولم يظهر أي شكوى أو أي تذمر من هذا التحول الغريب.. الذي ما كان يعرف أسراره.. أو يدرك أسبابه بعقله الصغير.. الذي لم يمر عليه شيء من تجارب الحياة.!!

وكبر أخو محماس من أبيه.. فكانت أمه تريد أن يلقى من حب أبيه وثقته أكثر مما يلقى محماس.. فإن لم يكن أكثر.. فلا أقل من أن يلقى من ثقة والده مثلما يلقى أخوه..

ولكن ولدها ليس في ذكاء محماس.. وليس في قوة محماس.!! وليست تصرفاته كتصرفات محماس.. ولذلك فان والد الشابين يعتمد على محماس أكثر مما يعتمد على ولده من زوجته الجديدة..

وكان اسم محماس هو الذي يتردد على لسان الوالد في كل مناسبة وصار محماس هو الذي ينتدب لكل مهمة.

وحز ذلك في نفس الزوجة الجديدة.. وصارت تنظر إلى محماس كمنافس لولدها.. وبالتالي كمنافس لها.!! في السيطرة على الأسرة وشئون الأسرة..

وبدأت الزوجة تقلب لمحماس ظهر المجن.. وبدأت.. بدل أن تهتم ببعض شئونه تحاول أن تضايقه.. وأن تنغص عليه حياته..وأن تكيد له عند والده.!

وأحس محماس بما تفعله زوجة والده.. وأحس بأنها بدأت تكرهه.. وتحاول في كل مناسبة أن تضايقه.. وأن تثير أعصابه ببعض الإشارات والعبارات التي لا يخفى عليه ما فيها من إهانة وإذلال..

وصبر محماس على ما يلقاه من زوجة والده.. فقد أصبح شاباً قوياً يمتلىء صحة ونشاطاً.. وهو فارس مغوار لديه فرس ألفها من صغره.. كما ألفته.. وعاش معها كما عاشت معه.. وكان يهتم بغذائها مثل ما يهتم بغذاء نفسه.!!
ويهتم براحتها فلا يكلفها ما لا تطيق.. وكانت فرسا غير عادية.. بمعنى أنها ملاك في شكل فرس.. وقد يقول بعضهم إنها شيطانة في شكل فرس.!!

وكانت هذه الفرس تخبر محماسا بكل ما يحاك حوله من مؤامرات.. وما يوضع في طريقه من عقبات.!!

وأراد محماس ذات يوم أن يسافر في مهمة من مهمات والده.. فصنعت له زوجة والده طعاماً ليأخذه معه في رحلته.. ووضعت في هذا الطعام سم ساعة.. أي إن الذي يأكله يموت من ساعته.. أو في خلال ساعة.!!

وبينما كان محماس سائرفا ممتطياً ظهر فرسه.. أخبرته هذه الفرس بأن الطعام الذي صنعت له زوجة والده مسموم.. وأن عليه أن يدفنه في الأرض فلا يأكله أحد من البشر.. أو تأكله إحدى الحيوانات فتلقى مصرعها حالاً..

فتخلص محماس من هذا الطعام.. وذهب إلى السوق فاشترى طعاماً غيره.. ثم استمر في طريقه إلى مهمته التي كلفه والده بانجازها.!!

وبعد ذلك عاد إلى والده سليماً معافى لم يظهر عليه أي أثر من آثار التسمم.!!

ورأته زوجة والده وفوجئت برؤيته سليم الجسم.. سليم التفكير.!!

فازدادت حقداً على محماس.. وفكرت في طريقة أخرى تقضي بها على حياته.. وتكون خفية حيث لا يشعر بها.. ولا يطلع عليها أحد..

فغسلت ملابسه.. وبعد نظافتها رشتها بنوع من السموم الفتاكة ثم جففتها.. ثم أعطته إياها ليلبسها.. فإذا عرق ذاب ذلك السم.. وتسلل إلى جسم محماس دون أن يشعر به أحد.!!

ولكن الفرس أسرعت إلى محماس فأخبرته بالسم الذي أشربت به ملابسه.. فأخذها محماس.. وأعطاها فرسه.. فأخذتها.. وأزالت تلك السموم من تلك الملابس.. ثم أعطته إياها فلبسها بعد أن أزالت تلك السموم..

ورأت الزوجة قريعا يلبس تلك الملابس دون أن يمسه أي سوء.. فاشتد غيظها.. وفكرت في طريقة أخرى تقضي بها على محماس قضاءاً مبرماً.!!

ورأى محماس أن هذه الزوجة سوف تتابع مكائدها حتى تقضي عليه . !!

صحيح أن فرسه تخبره بالمكائد السابقة فيتقيها . . ولكن ربما تغفل الفرس . . والرقيبة قد يغفل كما يقولون في الأمثال . . وقد تنشغل ببعض الأمور فلا تعلم ببعض المكائد . !!

هذا من ناحية ثم من ناحية أخرى فإن محماساً يعرف حب والده لزوجته . . وحبه لأولادها . . كما أنه يحب محماسا ويثق به أكثر من أي واحد منهم . .

ولكن حب والده وثقته به لن تنجيه من مكائد هذه الزوجة الشريرة التي لا يخلص من مكيدة من مكائدها حتى يعلق بمكيدة أخرى . !!

وإذاً فإن الوضع الطبيعي أن يرحل عن بلده . . أن يسافر إلى بلاد بعيدة . . وأن يستبدل أهلاً بأهل وجيراناً بجيران . !!

وفي ذات يوم بعد أن كملت لمحماس جميع استعداداته . . تسلل من قريته دون أن يشعر به أحد . . لأنه يخشى إذا عرف سفره أن يسأل لماذا يسافر ولماذا يهجر بلده . . ومحماس لا يريد أن يسيء إلى زوجة والده . . ولا يريد أن ينغص على والده هذا الحب المتبادل بينه وبين زوجته . !!

ولذلك اختار هذا الطريق . . وركب على ظهر فرسه . .

وسار إلى بلاد أخرى حاول أن تكون بعيدة لتنقطع أخباره عن أهله وبلده.. ولتنقطع أخبارهم عنه أيضاً.. لأن تلك المرأة التي هي زوجة أبيه والتي حلت محل والدته جرحته جرحاً عميقاً من الصعوبة بمكان أن يندمل هذا الجرح.. وأن يشفى منه محماس.. إلا بالبعد عن جارحه.. وانقطاع الأخبار بين الجارح والمجروح.!!

ووصل محماس إلى البلد التي قصدها.. وعندما صار في ضاحية من ضواحيها نزل من فوق ظهر فرسه.. فأعطته فرسه ثياباً رثه.. وأعطته خاتماً صغيراً وقالت له إذا احتجت إلي فما عليك إلا أن تلبس الخاتم في خنصر يدك اليسرى ثم تدعك ظاهره بيدك اليمنى.. بعد هذا سوف تجدني أمامك حالاً.!!

وشكر محماس فرسه الذكي الوفي وودعه إلى لقاء.!!

ودخل المدينة وصار يتجول في شوارعها.. وينظر إلى حوانيتها.. وإلى البائعين والمشترين فيها.. وكيف يتعاملون وكيف يتخاصمون.. وكيف يصطلحون.؟!

كل هذا أراد محماس أن يدرسه قبل أن يقرر هل يبقى في هذه المدينة.. أم يرحل إلى مدينة أخرى يكون أهلها أقرب إلى طبعه ومزاجه..

وظهر في ثيابه الرثة كمسكين يستحق العطف والشفقة وصار أهل البلد يتصدقون عليه.. ويعطونه ما يحتاج إليه من طعام وكساء.!!

أما سكناه فقد كانت في المسجد.. ينام فيه ليلاً.. أما في النهار فهو يتجول في أنحاء المدينة.. ويطوف في شوارعها.. وإذا احتاج إلى شيء استجداه فلم يبخلوا عليه بشيء مما يريده..

وعرف محماس في تلك البلدة بأنه مسكين متعفف لا يطلب أكثر مما يحتاج إليه..

كما أن محماسا عرف في أهل تلك البلدة كرم النفوس وطيب الجوار.. فأحب أهلها.. وأحب هواءها وسماءها.. وأحب غذاءها وماءها.!!

وفي يوم من الأيام لم يشعر أهل المدينة إلا بلصوص يغيرون على مواشيهم من إبل وبقر وغنم.. فيستاقونها أمامهم.. ويحاولون الهرب بها.. وتملكها..

وجاء الصريخ إلى أهل المدينة بأن لصوصاً استولوا على مواشيهم.. وأن عليهم أن يستنقذوها منهم.. وإلا ذهبت ثروتهم الحيوانية ملكاً للصوص.!!

وخرج أمير المدينة في لباس الحرب.. ودقت الطبول لاستنفار الشباب ورجال الشجاعة لاستنقاذ ثروة البلاد.. وأطلت الصبايا من أعلى المنازل.. تتطلع إلى الشباب وهم يرقصون رقصة الحرب.. ويرددون مختلف الأهازيج التي تثير الحماس في النفوس..

وردد الأبكار والصبايا مختلف الأصوات والأنغام التي تثير العزة.. وتثير روح الكفاح والاقدام.. في مجالات الكر والفر والخصام.!!

وسار أهل البلد يتقدمهم أميرهم في أثر اللصوص والتحم الجمع بالجمع.. وكثر الضرب والقتل.. ولكن اللصوص كانوا أكثر عدداً وعدة.. فانهزم أهل البلد أمامهم أذلاء صاغرين.. بعد أن رأوا أن التغلب على هؤلاء اللصوص قد يكون رابع المستحيلات.!!

وعاد أهل البلد أدراجهم إلى مدينتهم بعد أن خلفوا في ميدان المعركة عدة من القتلى والجرحى.. الذين سوف يكون لهم إليهم عودة.. لدفن الأموات ومداواة الجرحى..

وكان محماس لم يخرج معهم.. ولم يشاركهم في هذه الحرب.. وعندما سمع بهزيمتهم أمام اللصوص.. حز في نفسه ذلك.. وصعب عليه أن يفقد أهل هذه المدينة ثروتهم الحيوانية.. التي طالما سقوه من لبنها.. وطالما أطعموه من لحمها وشحمها.!!

ولم ير محماس بداً من الدخول في معركة مع هؤلاء اللصوص وإن كانت متأخرة.. ولكن لا بد مما ليس منه بد.!!

وخرج محماس إلى ظاهر المدينة.. ولبس الخاتم في خنصر يده اليسرى.. ومسحه بيده اليمنى.!!

وفي أسرع من لمح البصر كانت فرسه تمثل أمامه وتسأله عما يريد. ؟!

فقال لها أريد عدة الحرب.. لأعيد إلى أهل مدينتي الكريمة مواشيهم التي طالما سقوني من لبنها وأطعموني من لحمها وشحمها..

وفي أسرع من لمح البصر أيضاً.. كان محماس يلبس عدة الحرب كاملة.. ويعلو ظهر فرسه المحبوبة.. ثم يتجه إلى حيث سار اللصوص. !!

وقابله أهل مدينته منهزمين مقهورين.. وعلامات الحزن والفشل تلوح على جباههم..

فتركهم وراءه واتجه إلى ميدان المعركة.. وكان ملثماً بحيث لا يعرف أحد أنه محماس.. وواصل سيره في طريق اللصوص.. ورآه أهل المدينة.. وعلموا أنه جاء منتصراً لهم.. ولكن من هو؟! إنهم لا يعرفونه...

ولكنهم عندما رأوا جرأته واقدامه تبعوا أثره.. وواصلوا سيرهم خلفه للقاء باللصوص مرة ثانية. !!

ولحق محماس باللصوص. فجندل أول فارس قابله منهم وكان هذا الفارس هو أشجع القوم.. وأكثرهم إقداماً.. وجرأة. !!



محماس يهاجم اللصوص.. ويجندل الفرسان

وبرز إليه فارس آخر فتجاولا بفرسيهما جولة قصيرة ثم جندل محماس الفارس الثاني بلا مشقة ولا عناء..

وكان أهل المدينة ينظرون إلى هذا الفارس المغوار الذي جندل أعظم فارسين في اللصوص.. فلا يعرفونه.!!

وبعد جندلة هذين الفارسين.. صار محماس يشق صفوف اللصوص من الشرق إلى الغرب.. ومن الجنوب إلى الشمال.. وفي كل جولة من هذه الجولات يقتل عدة فرسان.!!

وأخيراً رأى اللصوص أنه لا قبل لهم بهذا الفارس وأنهم إذا استمروا في القتال فسوف يقضي عليهم جميعاً واحداً إثر واحد.!!

فقرروا الهرب بما تبقى من رجالهم.. وترك المواشي لأهلها.!!

وهكذا تحقق النصر لمحماس على أولئك اللصوص واستعاد أهل المدينة مواشيهم بعد أن هرب اللصوص.. وتركوها لأهلها..

وفرح أهل المدينة بهذا النصر الباهر.. وباستعادة ثروتهم الحيوانية.. ولكن فرحتهم لن تتم إلا بمعرفة ذلك الفارس المغوار الذي رد إليهم شرفهم.. ورد إليهم مواشيهم.!!

ولحق به الأمير وبعض فرسان المدينة.. ولكن محماساً أرخى لفرسه العنان.. فاستمروا في طلبه.. إنهم يريدون أن يعرفوه..

يريدون أن يكافئوه.. ولكنه استمر في هربه.. واستمروا في طلبه.!!

وأخيراً رأوا أنهم لا يستطيعون اللحاق به.. وكان حصان الأمير هو أسبق الخيل.. فأطلق له العنان.. واستحثه ليركض بأقصى سرعته ولكن الأمير مع ذلك لم يستطع أن يلحق بمحماس وعندما يئس من اللحاق به.. أرسل رمحه ليجرحه مع كتفه جرحا خفيفا يكون علامة عليه.. ليعرفوه بهذا الجرح فيما بعد.!!

وعاد أهل المدينة منتصرين على أعدائهم في الظاهر ولكنهم يحسون في داخل نفوسهم بأنهم كانوا مهزومين.!!

وكان الكل منهم في شوق شديد إلى معرفة ذلك الفارس الذي لا يجارى.. واقترح كبار أهل المدينة على الأمير أن يقيم حفلة عامة يحضرها جميع أهل البلد.. ليتعرفوا على ذلك الفارس الذي أسدى إليهم معروفا ماديا برد مواشيهم.. ومعروفا معنويا برد كرامتهم.!! وأقيمت الحفلة.!!

وحاول الأمير وأتباعه أن يتعرفوا على الفارس من خلال تلك الطعنة الخفيفة في كتفه..

ولكنهم لم يجدوه بين الحاضرين.!!

وكان للأمير ابنة في سن الزواج.. وكانت تراقب والدها وهو يطارد ذلك الفارس الملثم.. وعرفت شكل الفارس.. ولكنها لم تر وجهه.!!

وكان الجرح الذي أحدثه الأمير في كتف الفارس من جهة اليمين.. لا بد أن يكون مكشوفاً فقد كان لباس أهل المدينة الأزار والرداء الذي يستر الكتف الأيسر.. ويبقى الكتف الأيمن مكشوفا.. وسأل الأمير رجاله.. هل بقي أحد في المدينة لم يدع إلى هذا الاحتفال.؟!

فأخبروه أن الجميع قد دعوا.. وقد اجابوا الدعوة ما عدا محماس الرجل المسكين الذي يسكن في المسجد.!!

فطلب الأمير من أعوانه أن يدعوا محماسا... فذهب أعوان الأمير وأحضروا محماسا لتلك الحفلة.. وعندما حضر وجدوه قد غطى كتفيه الأثنين فلم يستطيعوا أن يروا ذلك الجرح الذي هو العلامة الفارقة.!!

وطلب الأمير من أعوانه أن يحتالوا لكشف كتفه الأيمن.. ليروا هل يجدون فيه جرحا..

وعندما وقف الضيوف ليتجهوا الى مكان المائدة قرب أحد أعوان الأمير من محماس.. ودعس على طرف ردائه فانكشف كتفه الأيمن.. وظهر الجرح بارزاً للعيان.!! ورآه أكثر من واحد من أعوان الأمير.!!

فذهبوا إلى الأمير مسرعين وأسروا اليه بما رأوا وعندئذ تحقق للأمير وأعوانه أن محماسا هو الفارس الملثم الذي فعل الأفاعيل باللصوص.. ورد إلى المدينة وأهل المدينة أموالهم.. ورد إليهم اعتبارهم.!!

وانتهت الحفلة.. بعد أن توصلوا إلى كشف ما كان مستوراً.. ورأت الأميرة محماسا في أثناء خروجه من تلك الحفلة.. وأيقنت أنه هو الفارس الذي طارده والدها.. وجرحه في كتفه الأيمن.!!

وكانت الأميرة قد تقدم لخطبتها كثير من الأمراء والزعماء من أبناء مدينتها.. ولكنها لم توافق على أي واحد منهم.. لأن لها شروطا خاصة في فارس أحلامها لم تتوفر في أي واحد منهم.!!

وقد أحبت هذا الفارس المغوار الذي يمتلىء قوة وشباباً ويمتلىء جرأة واقداماً.!!

وخلا الأمير بابنته.. وعرض عليها أسماء الأزواج الذين تقدموا لخطبتها.. وذكر صفات كل واحد منهم.. ومركزه الاقتصادي والاجتماعي.. وعشيرته التي ينتسب إليها..

ولكن الأميرة رفضت الجميع.. بحجة أنه ليس فيهم جميعاً ما تتطلبه الفتاة في الرجل الذي تريده زوجا.. وقال لها والدها اذا لم تتزوجي بواحد من هؤلاء فبمن تتزوجين.؟!

فقالت الأميرة إنني أريد محماساً ليكون زوجا لي.. ولا أحد غيره.!!

فضحك الأمير.. وتعجب من غرابة ذوقها.. وغرابة اختيارها.!! وقال:ـ

من هو محماس هذا الذي لم تختاري إلا إياه.؟!

إنه مجرد فقير غريب لا نعرف ماضيه.. ولا لأي أرومة ينتسب.؟!

ولا نعرف عنه أي شسيء ما عدا موقف واحد وقفه وهو مطاردته للصوص وانتصاره عليهم.. ورد أموال أهل المدينة إليهم.. ولا شيء غير ذلك.!!

فقالت الأميرة إن هذا الموقف يكفيني من محماس لان الشجاعة خلق كريم لا بد أن يصاحبه كرم الأخلاق.. والصدق والأمانة.. والإيثار في مواقف الإيثار.. كل هذه الخلال وغيرها من صفات الرجولة تكون تابعة للشجاعة.!!

ولهذا فان هذا هو رأيي الأخير الذي لن أغيره مهما كانت النتائج.!!

وقال الأمير فيما بينه وبين نفسه لقد أصيبت ابنتي بخلل في عقلها وتفكيرها.. فنتج عن هذا الخلل سوء اختيارها.!!

وانتهت الجلسة الأولى بين الأمير وابنته دون التوصل إلى اتفاق.!!

ولكنه تَركها على رأيها.. على أن يعاود حديثه معها مرة أخرى لعلها تفكر وتقدر العواقب فيما عزمت عليه واختارته..

وبعد فترة دعاها والدها وأعاد عليها حديث الزواج.. فأصرت الأميرة على رأيها الأول وقالت لوالدها اذا لم تزوجني بمحماس فانني سوف أبقى طيلة أيام حياتي بدون زواج..

وعندما علم الأمير باصرار ابنته على رأيها.. أرسل إلى محماس رسولاً يدعوه للعشاء بعد صلاة العشاء.. وذهب محماس في الوقت المحدد إلى بيت الأمير.. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يدعوه الأمير إلى بيته منفرداً. !!

ودخل محماس القصر بثيابه الرثة.. وهندامه المتواضع جداً.. فوجد الأمير في استقباله.. فصافح الأمير محماسا.. وتلطف في الكلام معه.. وتجاذبا أطراف الحديث.. وعلم الأمير أن محماسا ينتمي إلى أصل كريم.. وأن الذي دفعه إلى الغربة هو معاملة زوجة والده السيئة التي كانت تعامله بها..

وعندما قاربت الجلسة على النهاية عرض الأمير على محماس أن يتزوج بالأميرة. !!

وظن محماس باديء ذي بدء أن الأمير يسخر منه.. ولكن الأمير أعاد عليه العرض وطلب منه الموافقة على ذلك..

فقال محماس إنه شرف لي أن أتزوج بالأميرة ولكني أخشى أن تكون مخدوعة بزواجها مني فأنا فقير مسكين غريب.. قد لا أستطيع أن أوفر لها جميع متطلبات حياتها. !!

فقال الأمير دعك من هذه الأمور المادية فهذه متوفرة لدينا . . ولكننا أردناك زوجا للأميرة لقيم أخلاقية . .

- وعليك أن تحضر غداً بعد صلاة العشاء ليتم عقد الزواج . ؟!

وانفض الاجتماع وخرج محماس من بيت الأمير بثيابه الرثة . !!

وتساءل الحاشية عن تردد محماس إلى بيت الأمير هل يريده للخدمة . . أم يريده أن يرحل من البلاد . . أم يريد منه شيئا آخر غير هذا وذاك . .

والمهم أن محماساً حضر إلى بيت الأمير وهو بين المصدق والمكذب . !!

وعندما دخل على الأمير وجد عن يمينه رئيس القضاة وعن شماله شاهدين ليشهدا على عقد الزواج وهكذا أبرم عقد الزواج . !!

وقام القاضي والشهود وودعوا الأمير ودعوا للعروسين بالتوفيق . .

وبقي محماس وحده مع الأمير . !!

ولكن الأمير لم يلبث أن قام واستبقى محماسا في المجلس وحده . .

ودخل الأمير إلى جناح الحريم.. وزف الخبر إلى ابنته فابتهجت ابتهاجا مكتوماً.. وزف الخبر إلى والدتها فاستغربته أشد الاستغراب.!!

ولكن الشيء الغريب حقا هو أن الأمير.. طلب من الفتاة وأمها أن تزف الأميرة إلى محماس في تلك الليلة.!!

وعارضت الأم زواج ابنتها بمحماس.. وعارضت أيضاً أن يكون في تلك الليلة..!!

إلا أن الأمير قال لزوجته إن هذا هو اختيار ابنتك وأما الزواج في هذه الليلة فهو اختياري أنا.!! ولا مجال للجدال والأخذ والرد الذي لن يغير مما عزمت عليه شيئاً..

وسألت زوجة الأمير ابنتها هل أنت موافقة على زواجك من محماس.؟! فأجابت بنعم.. وسألت سؤالا ثانيا هل أنت موافقة على أن يكون الزواج هذه الليلة.؟! فقالت الرأي ما يراه والدي.!!

وقال الوالد ما دامت ابنتي وافقت على رأيي فأنا أرى أن يكون الزواج هذه الليلة.. فقومي يا ابنتي واستعدي لنزفك إلى زوجك في هذه الليلة.!!

وقامت الأميرة لتعد نفسها للدخول على زوجها محماس وخلا الأمير بزوجته.. وقال لها ما رأيك في المكان الذي نزفها فيه إلى محماس.!!

وكانت الأم ساخطة على اختيار ابنتها لهذا الزوج كما أن الأب لا يقل عن الأم سخطا.!!

فاتفق الاثنان على أن يكون الزفاف في حظيرة الحيوان.!!

وهكذا كان المكان.. ففرشوا لهما في الحظيرة حصيراً وجعلوا الوسادة برذعة حمار.. كل ذلك على روث الحيوانات التي نقلوها إلى مكان آخر.!!

ووضعوا الزوجة في هذا المكان.. وجاء محماس بملابسه الرثة.. فأدخلوه عليها في الحظيرة.. ورأى محماس أن الأمير وزوجته لم يرضوا عن هذا الزواج.. وأنهم أرادوا اذلال الأميرة في الدرجة الأولى.. واذلال زوجها في الدرجة الثانية.!!

وجلس محماس بجانب زوجته.. ولاطفها وطيب خاطرها.. لأنه وجدها حزينة لا تدري كيف تعتذر عما حدث.. ولا ماذا تصنع.!!

ولكن محماسا قال لها لا تحزني مما حدث.. فانني سوف أجعل هذه الحظيرة أجمل مكان في هذا القصر.!!

ثم أخذ الخاتم فلبسه في خنصر يده اليسرى.. ثم دعكه بيده اليمنى.. وفي الحال حضرت فرسه الحبيبة في شكل فتاة. وقالت له ماذا تأمرني.؟!

فقال إني أريد تنظيف هذه الحظيرة.. ثم فرشها بأطيب

فراش.. وأحسن رياش.. وأريد احضار طعام وشراب.. وكل ما لذ وطاب.. مع أفخر الأطياب.!!

فأبدت الفتاة كامل الاستعداد.. وبعد لحظات صار المكان كأنه قطعةمن الجنة.. فقد ملىء بالفرش الفاخر.. وعبق جوه بروائح الأطياب والزهور.. وأحضرت مائدة فوقها كل ما لذ وطاب من طعام وشراب.!!

وابتهجت الأميرة بما رأت.. وزال من خاطرها ما كانت تحسه من كآبة وخجل.. وعلمت أن رأيها لم يخب.. وأن اختيارها لمحماس كان اختياراً موفقاً.!! وسوف يندم والدها ووالدتها على ما صنعوه بها وعلى ما وجهوا إليها من إهانة واذلال.!!

وأكل محماس مع الأميرة.. وشربوا ما أحبوه من شراب.. ثم ناموا في أبهج جو وأطيب لقاء.!!

وجاء الصباح.. وقال الأمير لزوجته اذهبي إلى العروسين.. وانظري كيف حالها.؟!

وذهبت أم الأميرة.. قاصدة الحظيرة.. وعندما أقبلت عليها.. قابلتها روائح زكية.. ما كانت تعهدها في هذا المكان.. فاستغربت ذلك.. ودقت الباب على العروسين.. ففتحوا لها.!!

وعندما نظرت إلى تلك الحظيرة بعد أن تحولت إلى مكان نظيف يعج بالروائح الزكية لم تصدق عينيها بادىء ذي بدء كيف

تحول هذا المكان من زريبة حيوان.. إلى أن يكون أشبه بقطعة من الجنان.؟!

وقد رأت محماساً متكئاً على أرائك من الديباج.. بينما زوجته الأميرة مرتدية أبهى الحلل.. ولابسة أثمن المجوهرات.!!

ومائدة الافطار أمامهم عليها من جميع أصناف الطعام والشراب.. وكل ما لذ وطاب.!!

فرجعت زوجة الأمير مبهورة بما رأت.. وأخبرت الأمير بذلك.. فلم يصدق الأمير كلامها.. وقال في نفسه لا بد أن زوجتي مختلة الشعور تهذي بما لا يصدقه العقل..

وذهب الأمير بنفسه ليكشف الحقيقة.. وليرى الأمور على الطبيعة.!!

وعندما دق عليهم الباب فتح له محماس بنفسه.. واستقبله استقبالاً حاراً.. وأجلسه في مكانه.. وجلس بجواره.!!

ورأى الأمير جميع ما حدثته زوجته عنه رأي العين.. وعندئذ أمر الأمير محماسا وزوجته أن يصعدوا إلى القصر.. واختار لهم أحسن جناح فأسكنهم فيه.. وقال في نفسه ان محماسا هذا له شأن كبير لم نعرفه إلا الآن.. بينما ابنته قد تكون عرفت هذا السر.. واختارته من بين خطابها ليكون هو وحده شريك حياتها..

وأمر الأمير أن يقام لمحماس وزوجته حفل كبير كاعلان لهذا

الزواج. . ودعى إلى هذا الحفل كبار أهل المدينة ووجهاؤها. . ومن بين هؤلاء الوجهاء؛. . خطاب الأميرة الذين لم يختر واحداً منهم. !!

فحسدوا محماسا على ما ناله من قرانه بالأميرة. . كما حسدوه على مكانته من قلب الأمير فقد أظهر له اكراماً وتقديراً لا مزيد عليه. !!

وانتهى ذلك الحفل. . وخلا الأمير بمحماس واعتذروا اليه عما حصل سابقاً. . ثم قال له: ما الذي دعاك إلى الغربة وأنت من عائلة كريمة. . وفي رخاء من العيش فأخبره محماس بالسبب الرئيسي وهو ما تعامله به زوجة والده ثم إنه أراد أن يسافر ليزداد علما ومعرفة. . وقد اختار بلدة الأمير ليعرف أخلاق أهلها. . ومدى ايثارهم. . وقد وجد فيهم كلما يرفع من شأنهم. . فقد أحسنوا إليه. . وأولوه الكثير من فضلهم. . فلما وقعت غارة اللصوص على مواشيهم أحب أن يرد إليهم بعض الجميل الذي بذلوه له. .

فأعجب الأمير بكل ما سمع من محماس. . وعرف من كلامه الصدق والوفاء والاخلاص لمن أحسنوا اليه. !!

ولهذا وثق به كل الثقة. . وأسند إليه الكثير من شئون الإمارة فسار فيها بروية وعقل. . وسلك طريق العدل والاحسان بحيث لا تأخذه في الحق لومة لائم. !!

فأحبه الجميع.. وصار على لسان كل مواطن.. وكثر الحديث عنه بالثناء والاعجاب.!!

وحتى الأقوام الذين نافسوه على الأميرة وفاز بها دونهم أحبوه وأعجبوا به.. لأنه بطريقة تعامله معهم سل من نفوسهم عوامل الحسد والكيد والمنافسة.. وصاروا من المعجبين والشاكرين له والمثنين عليه في كل مناسبة من المناسبات.!!

وسارت الأمور بتدبيره وحسن سياسته على أحسن ما يرام.. حتى صار محماس هو الكل في الكل في تدبير شئون الإمارة..

فالأمير تقدم به السن.. وليس له من الأولاد الا زوجة محماس.. ولهذا صار مرشحا لتولي شئون الامارة بعد وفاة الأمير.. وليس في أهل البلد من يعترض على ذلك..

ومضت أيام تلتها شهور.. ومرض الأمير.. ثم انتقل إلى رحمة الله بعد أن أوصى أن يكون محماس هو خليفته على الإمارة.. ولم يعترض أحد على هذه الوصية.!! بل وافق عليها الجميع.. الصغير والكبير.. والمرأة والرجل.. ولولا اختيار محماس لكثر المتنافسون على الامارة.. ولكان من المحتمل أن يكون بينهم شقاق وافتراق.. قد يؤدي إلى فتن واقتتال.. لا يعلم نتائجها الا الله.!!

وقد بايع الجميع محماسا.. وارتضوه أميراً على مدينتهم ومدبراً لشئونهم العامة.. ومدافعا لا يجارى في أوقات الشدائد...

وقبل محماس أن يقوم بمهمات الإمارة بكل ثقة واقتدار فبايعوه على ذلك صغيرهم وكبيرهم.. فقام بالأمر خير قيام واختار له وكيلاً يقوم بالمهمات الخفيفة.. ويعالج بعض القضايا الأخرى بتوجيهات من محماس..

وسارت الأمور على أحسن ما يرام.. وأحب أهل المدينة محماسا فصار معظم أحاديثهم عنه وعن اسفاره في تفقد شئون الامارة فان سافر أو قدم تحدثوا عن سفره وقدومه وصار ذكره على كل لسان بحيث لا يستغرب أن تسمع منهم سافر محماس.. قدم محماس

وعندما استقرت الأمور.. وسار كل شيء في طريقه المرسوم تذكر محماس أهله وبلده.. وتذكر على الخصوص والده وإخوته.. واشتاق إلى رؤيتهم.. واشتاق إلى التعرف على أحوالهم.!!

وعزم على أن يقوم هو بنفسه بهذا الأمر.. وعزم على السفر.. واخبر زوجته بما عزم عليه من زيارة أهله فوافقت على ذلك.. بل شجعت عليه.!!

كما أنها أشارت على محماس أن يأتي بأهله معه.. وأن يسكنهم في جناح من أجنحة القصر الواسعة..

فشكرها محماس على هذا الاقتراح.. ووعدها بأنه سوف يعمل بما أشارت إليه.!!

وأصدر محماس أمراً بأن يتولى شئون الامارة في غيابه وكيله الذي وثق به كل الثقة. !!

وودع محماس زوجته.. وقال لها إنني سوف أذهب إلى أهلي منفرداً.. وبلا جلبة ولا ضوضاء.. وسوف ألقاهم منفرداً كما فارقتهم منفرداً. !!

فقالت له زوجته أنت وما تختار. !!

وفي ساعة من ساعات اخلاد الناس إلى الراحة تسلل محماس من القصر منفرداً بعد أن ودع زوجته.. وعندما صار خارج المدينة لبس الخاتم ودعكه.. وفي مثل لمح البصر وجد فرسه الحبيبة أمامه.. فامتطاها وسافر إلى أهله. !!

وبعد أيام قليلة وصل إليهم.. ودخل البيت فاذا الأمور قد تغيرت.. فقد كبر والده.. وتفرقت ثروته.. وعاشت الأسرة في شظف من العيش لأن إخوانه بعد كبر والدهم تسلطوا على ثروته وتصرفوا فيها باسراف وتبذير. !!

وسلم محماس على والده.. وسلم على اخوانه.. وسلم على زوجة والده التي قابلته بحياء وخجل.. لأنها تذكرت ما كانت تعمله ضده من المكائد الشنيعة.. ولكن محماسا قبل رأسها واحتفى بها.. وتجاهل كلما كانت تعمله ضده..

ثم خلا بوالده فأخبره بقصة رحيله من أولها إلى آخرها..

فابتهج الوالد أيما ابتهاج بما آل إليه أمر ولده الذي ظنوا أنه قد مات لانقطاع أخباره عنهم منذ أن رحل من عندهم..

وبعد أن قابله أهله جميعهم باعزاز واكرام وبعد أن أقام محماس عندهم عدة أيام عرض عليهم أن يرحلوا معه إلى المدينة التي أحبها وأحبته.. وأنزلته في القمة من إكرامها وتقديرها.. وجعلته هو المتصرف في شئونها وشئون أهلها.!!

فوافقوا جيمعاً على ذلك.!!

فاشترى لهم محماس جميع ما يحتاجونه في سفرهم.. من طعام وشراب ورواحل.. كما استأجر بعض المرافقين لهم.. ليخدموهم.. وليوفروا لهم جميع وسائل الراحة حتى يصلوا إلى المدينة التي يحكمها محماس..

وعندما استقلت قافلتهم في طريقها المرسوم.. خرج محماس إلى ضاحية من ضواحي المدينة فلبس خاتمه المعهود ثم دعكه وفي الحال حضرت فرسه المحبوبة.. فامتطى ظهرها وسار متجهاً إلى وطنه الثاني أو مدينته المحبوبة.. فوصل إليها قبلهم.. وأعد لهم استقبالاً حافلاً.. وأعد لهم في القصر الأميري جناحاً فاخراً..

وعندما وصلوا المدينة وجدوا محماساً في استقبالهم هو وجميع وجهاء البلد وزعماؤها.!!

وبعد أن وصلوا واستقر بهم المقام أقام لهم محماس حفلاً

كبيراً دعا إليه الكبار والصغار.. وعرفهم بأهله.. وعرف أهله بهم.!!

ولما انتهى ذلك الاحتفال صار أهل المدينة يتسابقون إلى إقامة الحفلات لعائلة أميرهم المحبوب.!!

واستمرت هذه الحفلات ردحاً من الزمن.. حتى نسي أهل محماس ما كانوا يعيشون فيه من شظف العيش وقلة ذات اليد..

وصار محماس يرعى حقوق كل واحد من أفراد أسرته لا يفرق بين واحد منهم وآخر وكان يزيد في بر والده والتواضع له ورعاية حقوقه.!!

كما أنه يرعى حقوق زوجة والده ويزيد في اكرامها.. وكان كلما زاد في اكرامها أحست بذنبها وبتأنيب ضميرها.. وكان محماس يقول لها كلما شعر بخجلها منه.. إننا يجب أن ننسى الماضي بما فيه.. وأن نفتح صفحة جديدة.. لحياة جديدة.. تكون مليئة بالحب والصفاء والوئام.!!

وكانت زوجة والده توافقه على كلامه.. ولا تطيق بحث الماضي.. لأنه ماض يقلق راحتها.. ويثير أعصابها.. ويحط من قدرها كأم.!!

هذا مع أن محماساً لم يذكر في أي يوم من الأيام ذلك الماضي.. ولكنه احساسها وحدها الذي كان يقض مضجعها.. ويخز ضميرها.!!

وكان محماس يبدو دائما في بهجة وسرور باجتماع شمله بأسرته.. وكانت الأميرة مسرورة بما يبهج خاطر زوجها ويجلب له السرور.!!

وعاش الجميع في سبات ونبات.. ورزق محماس من زوجته الكثير من البنين والبنات..

وانتقلت الامارة بعد ذلك من أسرة الأمير السابق إلى أسرة محماس وأولاده.!!

وسارت الأمور على أحسن الحالات.. إلى أن جاءهم هادم اللذات.. ومفرق الجماعات فانتقلوا إلى الدار الآخرة..

وحملت وكملت.. وفي أصيبع الصغير دملت.!!

للشاعر سليمان الطويل في الغزل

عسى الحيا يسقي جوانب شعيبه
حيث إنها ياعلي قد وقفت به
العين عين اللي برأس الشذيبه
في ماكر عسر لها طيرت به
والعنق عنق اللي ترب الجذيبه
أقفى يخز غزيله تلتفت به
والردف طعس باني ما وطي به
غب المطر شمس العصير أشرقت به
ياعلي صيور الليالي تجيبه
إلا ان غدت بي عنه وإلا غدت به

سبحونة: -

١٧ - جويرية.. واخيه..

هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال اللي متزوج بنت عمه.. وقد رزق منها بنتاً سماها جويرية.. ثم رزق منها ولداً ذكراً سماه عامراً..

وأراد الله على أم الطفلين فمرضت مرضاً شديداً.. أحست معه بقرب وفاتها ولم يدخر زوجها أي جهد أو مال في سبيل علاجها.. ولكن مرضها كان مستعصياً.. بحيث لم يستطع أحد ممن يتعاطى الطب أن يكتشفه.!!

وإنما كان الذين يتعاطون الطب يعالجون مرضها بحسب اجتهاداتهم فمنهم من يكويها بالنار.. ومنهم من يقرأ عليها بعض آيات من القرآن.. ومنهم من يعطيها بعض الأعشاب الصحراوية.. التي يظنون أنها علاج لمرضها..

ولكن جيمع هذه العلاجات لم يكن فيها أي شفاء ولم يكن فيها أي تخفيف للآلام التي تحس بها تلك الأم.. وأخيراً أحست بقرب نهايتها.. وكان أكبر ما يؤلمها هو فراق ولديها الصغيرين اللذين تخشى عليهما بعد وفاتها من زوجات الأباء.!!

فهي تعرف أن زوجها لن يبقى أبد الدهر أعزباً.. وكان هذا الهاجس هو أكثر ما يؤلمها ويقض مضجعها.. ولكنه المصير المحتوم الذي لا مفر منه.. وفكرت في طريقة تقي ولديها شر زوجات الآباء.. وكانت لديها وفي ملكها بقرة ورثتها من أبيها.. فأوصت بها لولديها.. وحرمت على زوجها بيعها أو ذبحها أو هبتها.. بل جعلتها منيحة لولديها.. ورفيقة لحياتهما..

كما أوصت زوجها بأن يتولى شئون ولديها بنفسه.. وإذا تزوج أن لا يتركهما عند زوجته الجديدة.. بل عليه أن يجعلهما في عشة أي كوخ بجوار البيت.. وبجوار البقرة الحبيبة إلى الجميع..

وتعهد لها زوجها بأن يلتزم بجميع وصاياها.. كما أنه وعدها بأن لا يتزوج حتى يكبر أولاده.. ويشقوا طريقهم في الحياة..

وطلبت الزوجة المريضة إمام مسجد البلد فكتب وصيتها وأشهدت عليها شهوداً عدولاً.. وتركتها عند إمام مسجد المدينة الذي هو مستودع أماناتهم.. ومستودع وصاياهم..

وبعد ذلك اسلمت روحها لبارئها تاركة زوجها وأولادها في

دنيا الفناء بعد أن عملت جميع الاحتياطات اللازمة لراحتهم وسعادتهم . .

وحزن الزوج على فقدان زوجته العاقلة المدبرة . . وشعر بفراغ كبير خلفته وراءها . . ولم يشعر بمقدار خدماتها وحبها إلا بعد أن فقدها . .

وقال في نفسه إنه سوف ينفذ وصاياها بحذافيرها ولن ينقض لها وعداً وعدها إياه . . ما دام على قيد الحياه . !!

وتحمل هذا الأب دور الأم ودور الأب . . واستمر على هذا فترة من الزمن . . ولكنه طال عليه الطريق وأثقله العبء الذي تحمله بعد فقدان زوجته كما أن الكثيرين من أصدقائه ومحبيه دائماً يشيرون عليه بالزواج . . ويخطئونه في تنفيذ هذا الوعد الذي وعده زوجته . .

والمهم أنه أخيراً اقتنع بأن الزواج ضرورة بالنسبة إليه . . وإلى أولاده . .

وقرر الزواج باحدى السيدات الناضجات وبحث حتى وجد الزوجة المناسبة لسنه . . والمناسبة لوضعه العائلي . .

وتقدم إلى أهلها فخطبها . . فوافق أهلها حالاً لأنها كانت قد تزوجت وطلقت . . والمطلقات لسن مرغوبات في تلك المدينة . .

واشترط الخاطب جميع الشروط التي يريد أن تلتزم بها زوجته فقبلوها . .

وتم الزواج ونقل الرجل زوجته الجديدة إلى بيته الذي كان يجاور الكوخ الذي فيه أولاده..

وارتاح الزوج مع زوجته الجديدة.. وسدت فراغاً كبيراً كان يشعر به قبل هذا الزواج.. واهتمت بأولاده الذين يسكنون في كوخ مجاور لبيت الزوجية.. واهتمت بالبقرة التي أوصت بها زوجته السابقة لأولاده.. والتي كانت في كوخ مجاور لكوخ الأولاد..

وارتاح الزوج لهذه الحياة الجديدة.. وتفرغ لأعماله التي يكسب منها قوته وقوت عائلته..

وسارت الأمور سيراً حسناً بادىء ذي بدء.. والتزمت الزوجة الجديدة بجميع الشروط التي اشترطها الزوج عند عقد الزواج.!!

ومرت أيام تتلوها أيام.. وكان للزوجة الجديدة أصدقاء وصديقات تزورهم ويزورونها ما بين وقت وآخر.. عندما ينشغل الزوج بأعماله..

وكان هناك علاقات.. وزيارات.. وداخل وخارج لبيت الزوجيه.. لا يعرف عنها الزوج شيئاً.. وكان الأولاد في كوخهم يطلعون على الداخل والخارج من بيت الزوجية.. فيخبرون والدهم بما يرون..

كما أنه كان هناك علاقات مشبوهة بين الزوجة وبعض

زوارها لا يعرف عنها الزوج شيئاً.. فكان الأولاد يخبرون والدهم بكل ما يرون من هذه الأمور فيحدث بين الزوج وزوجته بعض الخلافات.. بسبب هذه الزيارات..

وعلمت الزوجة بأن ما تفعله خلف ظهر زوجها لا يعرف عنه أحد شيئاً ما عدا هؤلاء الأولاد.. وعلمت يقيناً أن الأولاد هم الذين ينقلون إليه تلك الأخبار.. التي تعكر جو الأسرة.. ولا سيما بين الزوج وزوجته.!

وفكرت الزوجة في طريقة تتخلص بها من هؤلاء الأولاد الذين يطلعون على جميع أسرارها.. وأخبارها...

ولكن كيف.؟! إنها تريد أن تتخلص منهم بطريقة لا تعكر جو الزوجيه...

وفكرت الزوجة طويلاً في هذا الأمر.. واستعرضت طرقاً متعددة للخلاص من هؤلاء الأولاد.!!

ولكنها لم تهتد إلى الطريقة المثلى التي ترضى عنها من كل الوجوه..

وكان هناك ذئب يأتي كل ليلة.. ويدور حول الكوخ الذي يسكنه الأولاد.. ويلتمس باباً مفتوحاً أو غفلة من الأولاد يخرجون فيها من كوخهم.. ليلتهم في غفلة من الغفلات.!!

ولكن هذا الذئب لا تتاح له مثل هذه الفرصة.. ومع ذلك

فهو يأتي كل ليلة.. ويدور حول الكوخ معظم ساعات الليل.. وينشد نشيداً عمله لنفسه.. يتغنى به عند دورانه حول الكوخ وهذا النشيد هو: ـ

جـويـريـه وأخـيـه
في عـشـة محـمـيـه
يـا لـيـت مـن يـالاهـم
في لـيـلة شـتـويـه

وتسمع البقرة التي هي صديقة الطفلين وتسكن بجوارهما ما يقوله الذئب وتعرف قصده من الدوران حول كوخهما فتجيبه بنشيد على وزن نشيده.. وتقول: ـ

والله مـاتـالاهـم
مـا دام راسي حـيـه
أنـطحـك في يـافـوخـك
بـقـروني المـحـنـيـه

ويسمع الذئب نشيد البقرة.. ويعرف أنها سوف تدافع عن جويريه وأخيه.. وأنه لن يخلص إليهما ما دامت البقرة على قيد الحياة.!!

ولكن الذئب لا ييأس.. بل هو يأتي كل ليلة ويكرر نشيده.. وتجيبه البقرة مكررة نشيدها.. وتسمع زوجة الأب ما يدور بين الذئب والبقرة.. وهنا يخطر على بال زوجة أبي الطفلين طريق الخلاص من جويريه وأخيها..

وهذا الطريق هو التفكير في ذبح البقرة ليخلو الجو للذئب فيأكل جويريه وأخيها..

وفكرت الزوجة في حيلة تقضي بها على هذه البقرة واستعرضت شتى الطرق..

وأخيراً هداها تفكيرها إلى أن تنام على فراشها وأن تدعي المرض.!!

وهكذا فعلت.. وكان زوجها يحبها حباً شديداً غطى على حب زوجته الأولى.. فاستخضر لها عدة أطباء.. ولكنهم يعالجونها بانواع من الأعشاب لا تشفي علتها.. وأخيراً جاء إليها بشخص ادعى أن شفاءها سوف يكون على يديه.. وكشف عليها هذا الطبيب فلم ير فيها مرضاً من الأمراض التي يعرفها..

ولكن الزوجة قالت لهذا الطبيب إني رأيت في منامي أن شفائي لا يكون إلا بأكل كبد هذه البقرة التي لدينا.. فأشر على زوجي بأن يذبحها.. ويطعمني من كبدها.. فانني بذلك سوف أشفى.. وسوف تنال مكافأة من زوجي على شفائي.. كما أنك سوف تنال مثلها مني.!!

وطمع هذا الطبيب في ذلك الأجر المضاعف.. وأشار على زوجها بأن يذبح تلك البقرة.. ويطعم زوجته من كبدها ولحمها لمدة سبعة أيام..

بعدها سوف تشفى زوجته من مرضها العضال. !! وسمع الزوج كلام الطبيب.. ولكنه تردد في ذبح تلك البقرة.. وتذكر وصية زوجته الأولى.. فازداد تردده. !!

ولكن زوجته المريضة صارت تكرر عليه ما أوصى به الدكتور صباحاً ومساءاً وتقول له إن بدل البقرة بقرة مثلها..

وأمام الحاح زوجته.. وحبه لها استجاب لطلبها وأتى بجزار فذبح البقرة.. ورمى برأسها وجلدها حيث كانت تعيش..

وصار يطعم زوجته من كبدها ولحمها إلى أن شفيت تماماً..

وأعطى الطبيب أجره المضاعف بعد أن تظاهرت الزوجة بالشفاء..

وجاء الذئب على عادته.. وصار يدور حول العشة أي الكوخ.. وينشد نشيده المعهود وكانت الزوجة تسمع نشيد الذئب.. وترتاح له.. وتنتظر الساعة التي يهجم فيها الذئب على جويريه وأخيها..

ولكن رأس البقرة الذي رمي بالقرب من مربطها ينفتح ويتكلم.. ويرد على الذئب بنفس النشيد الأول الذي كانت تردده البقرة في حياتها..

فيخاف الذئب.. ويبتعد عن العشة.. وتسمع الزوجة

النشيد من رأس البقرة المذبوحه وتتعجب أشد العجب. !! كيف يتكلم رأس بقرة مذبوحة. ؟! ولكن هذه الزوجة الشريرة لا تيأس.. بل إنها مصممة على أن تواصل المساعي حتى تقضي على جويريه وأخيها. !!

لا لذنب جنوه.. ولكنه الحسد من عطف والدهما عليهما وحبه لهما.. وحدبه عليهما.. وهذه الزوجة لا تريد أحداً يشاركها في حب زوجها.. وعطفه ورعايته.. إنها الأنانية.. إنها حب الاستئثار بكل شيء.. وحرمان الآخرين من كل شيء. !!

وانتظرت هذه الزوجة الصباح.. فلما ذهب زوجها إلى عمله خرجت من بيتها وبحثت عن رأس البقرة حتى وجدته. ثم حفرت له حفرة عميقة في الأرض.. ثم دفنته فيها.. وجعلت فوق الطبقة الأخيرة من التراب طبقة من الحجارة الصلبة.. خوفاً من أن يتكلم هذا الرأس بمثل ما كان يتكلم به..

وبعد هذا العمل رجعت إلى بيتها.. وقد ارتاح بالها.. وقالت في نفسها لقد قضيت على هذا الرأس قضاءاً مبرماً.. وأمنت مناصرته لجويريه وأخيها.. وقد أصبح السبيل مهيئاً للذئب ليأكل هذين الطفلين ويريحها ويريح منهما. !!

وجاء الليل وعاد الذئب إلى سيرته الأولى وصار يدور حول عشة جويريه وأخيها.. وينشد نشيده المعهود:

جــويــريــه وأخــيــه
في عــشــة مــحــمــيــه
يــا لــيــت مــن يــالاهــم
في لــيــلــة شــتــويــه

وعندما أنهى الذئب نشيده الآنف الذكر.. كان هناك قطعة من جلد البقرة قد رميت حول أرض العشة.. فتكلمت وأجابت الذئب على نشيده قائلة: ـ

والله مــاتــالاهــم
مــا دام رأسي حــيــه
أنــطــحــك في يــافــوخــك
بــقــروني المــحــنــيــه

وسمع الذئب هذا النشيد.. فابتعد عن العشة خوفاً على نفسه من هذه البقرة التي قد وقفت له بالمرصاد.. وحرمته من أطيب زاد.!!

وسمعت الزوجة ما دار من حديث.. أو على الأصح ما قيل من نشيد.. وفكرت كثيراً في هذا الشيء الذي ما زال يتكلم.!!

لقد ذبحت البقرة.. فتكلم رأسها.. ثم دفنت الرأس في أعماق الأرض.. فما هو الشيء الذي يتكلم.؟! وجاء الصباح.. فذهبت زوجة الأب تبحث عن هذا الشيء الذي يتكلم.. ويقف في وجه الذئب ويتحداه.!!

ويحث هنا وهناك حتى وجدت قطعة من جلد البقرة.. ولم تشك الزوجة في أن تلك القطعة هي التي تتكلم.. فأخذتها.. وحفرت لها حفرة عميقة أكثر من ذي قبل ثم دفنتها ورصت عليها الحجارة.. ثم ساوت الأرض عليها.. بحيث لا يعرف أحد أنه حفر في هذا المكان.. أو دفن فيه أي شيء من أجزاء حيوان..

وجاء الليل وهذه الزوجة في غاية السرور فقد فتحت الأبواب ومهدت الطريق أمام الذئب لينال مطلوبه.. ويريح هذه الزوجة من هؤلاء الأولاد الذين يشركونها في حب زوجها.. كما أنهم عيون عليها لا تفوتهم شاردة ولا واردة من تصرفاتها.!!

وجاء الذئب على عادته في الليل حيث أنه لم يتسرب إلى نفسه اليأس.. من نيل مراده..

وصار يدور حول العشة علي عادته وينشد نشيده المعهود: ـ

جـويـريـه وأخـيـه
في عـشـيـة محـمـيـه
يـا لـيـت مـن يـالاهـم
في لـيـلة شـتـويـه

وعندما أنهى الذئب نشيده.. توقع أن يسمع الرد عليه من البقرة.. ولكنه في هذه الليلة لم يسمع رداً.. واستغرب الذئب وظن شتى الظنون التي منها ما هو في صالحه.. ومنها ما هو ضده..

وأعاد نشيده.. ثم قرب من عشة جويرية وأخيها فلم يسمع رداً.. ولم يشم للبقرة رائحة..

والذئب من طبيعته الحذر في اليقظة والمنام.. ولا يمكن أن يخدع.. وإذا كانت البقرة قد كمنت له في مكان آخر فإنه لن يقع في شباكها..

وصار الذئب يقرب تارة ويبتعد تارة أخرى ويرفع صوته بالنشيد المعهود فلا يسمع رداً..

وتفقد جيمع الأمكنة التي حول العشة.. فلم ير لها أثراً.. وعلم الذئب يقيناً أن البقرة قد أزيحت من طريقه.. إما بذبح أو بيع أو أي شيء آخر..

وهجم الذئب على العشة بعد أن اطمأن إلى أن العقبة الوحيدة قد أزيحت من طريقه.. وكسر الباب ودخل على جويرية وأخيها.. وبدأ بجويرية لأنها كانت هي الكبرى فقطع حلقومها.. ولأنها كانت صغيرة فلم تستطع الدفاع عن نفسها.. فسالت دماؤها ثم فارقت الحياة..

وبعد ذلك هجم على أخيها الذي يصغرها.. فعمل به مثل ما عمل بأخته..

ثم أكل من لحومهما حتى شبع.. ثم حمل على ظهره من لحومهما كلما استطاع حمله.. فذهب به إلى مكان بعيد.. وفرقه في



الذئب يهجم على جويريه وأخيه بلا مدافع

عدة مخابىء ليعود إليه متى جاع.. وحتى لو عثر على مخبأ من مخابئه.. فإنه لن يعثر على الآخر..

وجاء الصباح.. واستيقظ أبو جويرية.. وذهب ليطمئن على ولديه.. فرأى أثر الذئب.. ورأى الباب مكسوراً.. ودخل العشة فرأى الدماء سائحة على الأرض.. ورأى بقية أشلاء الطفلين مبعثرة هنا وهناك..

وكاد الأب أن يغمى عليه من هول ما رأى.. فذهب إلى زوجته مسرعاً.. وأخبرها بالخبر.. فأظهرت الحزن والاكتئاب.. ولكنها سراً كانت فرحة مسرورة.. فقد نجحت خطتها.. وأزاحت هذين الطفلين من طريقها.. واطمأنت إلى أنه لن يكون عليها رقيب بعد هلاكهما..

كما أنه لن يكون لها شريك في قلب زوجها.. وتعاون الأب المحزون وزوجته على جمع بقية تلك الأشلاء.. وكفنوها وصلوا عليها ثم حفروا لها قبراً فدفنوها..

وصمم الأب على الانتقام من هذا الذئب الذي افترس ولديه.. وعلم أن هذا الذئب سوف يعود إذا جاع ليأكل بقية الأشلاء.. فاشترى بندقاً.. وصار لا ينام في الليل.. بل يترصد عودة الذئب إلى هذه العشة.!!

وفي ليلة من الليالي المظلمة لم يشعر الأب إلا بالذئب يتسلل إلى تلك العشة بحثاً عن بقايا الطفلين..

وعندما صار الذئب في متناول رصاصة البندق أطلقها عليه الأب بعد أن سددها إلى رأسه.. فخر الذئب صريعاً.. وبقي فترة من الزمن يتشحط في دمه.. ثم هدأت حركته بعد أن أسلم الروح..

فخرج الأب من مكمنه.. وذهب إلى الذئب وبقر بطنه.. ثم أخرج كبده فصار يلوكها في فمه.. ويمزقها بأسنانه.. ثم يقذف بها في التراب.!!

وشعر الأب براحة لا يستطيع أن يحيط بها الوصف.. فقد مكنه الله من عدوه.. وعدو أولاده.. وأخذ بثأره.. ولكن أولاده لن يعودوا.!!

فعاوده الحزن والاكتئاب مرة ثانية.. ولكن زوجته صارت ترفه عنه وتسليه.. وتعده بأن الله سوف يعوضه عما فقد إذا صبر ورضي بقضائه وقدره.!! وصبر الأب المفجوع.. أو على الأصح تصبر.. لأنه لا مجال إلا الصبر..

ولكن حزنه على أولاده يعاوده ما بين وقت وآخر.. وصار يفكر في أولاده.. ولماذا لم يأكلهم الذئب إلا بعد ذبح هذه البقرة.؟!

وكاد الرجل أن يشك في زوجته.. لولا أن حبه لها غطى على ذلك الشك..

ثم صار الزوج يلاحظ على زوجته أنها في غالب الأحيان إما زائرة أو مزورة.. وهو لا يدري عمن تزور.. أو عمن يزورها..

ولكن حبه لزوجته جعله يتجاهل هذه الأشياء.. وجعله يظهر لزوجته ثقته التامة..

ولا يبدي لها شيئاً من شكوكه ووساوسه في هذه النواحي.. لاتصريحاً ولا تلويحاً..

وخرج الرجل من بيته ذات يوم.. وذهب إلى عمله على عادته المعهودة.. ولكنه أثناء عمله.. تذكر أنه نسي شئاً في البيت هو في حاجة ماسة إليه.. فعاد إلى بيته على غير عادته..

وعندما أراد الرجل أن يدخل في بيته سمع صوتاً غريباً عليه.. وسمع حواراً وأخذاً ورداً.. بين زوجته.. وهذا الغريب..

وأصاخ السمع إلى ما يجري من حديث.. وما يدور.. من مناقشات..

وعرف الرجل من تلك الأحاديث أن زوجته هي التي مهدت للذئب افتراس أولاده.. ليخلو الجو لهما فلا رقيب ولا حسيب.!!

وكاد أن يسقط على الأرض من هول الصدمة.. ولكنه تماسك قليلاً قليلاً حتى عادت إليه قوته.. وفكر فيما يفعل هل يدخل عليهما ويقضي على حياتهما.؟! أم يتركهما ويعود أدراجه.؟!

أو يأتي بشهود يشهدون الحادث ثم يترك للعدالة طريقها لتجري مجراها..

فكر الرجل في الطرائق الثلاث.. كما فكر في طرق أخرى تعتبر ثانوية بالنسبة إلى هذه الطرق الثلاثة.!!

وأخيراً استقر رأي الرجل على أن يعود أدراجه.. وكأنه لم يسمع شيئاً.. ثم يتخذ القرار الهادىء عندما تزول آثار الصدمة الأولى.!!

وعاد الرجل إلى عمله.. وعند موعد رجوعه إلى البيت عاد وكأنه خالي الذهن من كل ما جرى..

وبعد الغداء.. وعلى جلسة شرب القهوة والشاي قال الرجل لزوجته إنني سوف أسافر في عمل من أعمال تجارتي.. وقد يطول غيابي.. ولا يجوز أن تبقي وحدك في البيت.. فاجمعي ملابسك.. وما تحتاجين إليه لأذهب بك إلى أهلك.!!

وحاولت المرأة أن تقنعه بالبقاء في بيتها.. وأنه لا خوف عليها من أي شيء.. ولكن الرجل أصر على رأيه.!! وأمام اصرار زوجها لم يسعها إلا الرضوخ ـ مكرهة ـ على تنفيذ رغبته.. فجمعت ملابسها وحاجاتها الضرورية ثم ذهب بها حتى أدخلها في بيت أهلها..

وسافر الرجل ليظهر للجميع أن ذلك هو السبب.. ولكنه

عاد مسرعاً.. بعد أن زار إحدى البلاد.. وأعجب بجوها.. وأعجب بأهلها.. وبأخلاق أهلها.. وصمم على تصفية تجارته.. وبيع أملاكه.. والانتقال إلى تلك البلاد.. لأنه بعد أن حدث له ما حدث لا يستطيع البقاء في بلاده.. فرؤية عشة أولاده تذكره بهم فتجدد أحزانه.. ورؤية بيت الزوجيه.. يذكره بتلك الزوجة الغادرة الخائنة.!!

وهكذا عمل الرجل فقد باع أملاكه.. وصفى تجارته وانتقل إلى تلك البلاد واشترى فيها بيتاً أجمل من بيته السابق.. وفتح حانوتاً في وسط البلده.. وصار يبيع ويشتري ويأخذ ويعطى بأمانة وقناعة.. وعرفه أهل البلد.. وأحبوه.. وتعرف على عائلة كريمة فخطب من أهلها فزوجوه..

ورزق من زوجته الجديدة أولاداً وبنات صاروا قرة عين له ولزوجته.!!

ونسي في خضم تلك السعادة ذلك الماضي المظلم الذي حطم حياته الزوجية.. وكاد أن يحطم حياته الاجتماعية..

وعاش الرجل مع زوجته وأولاده في سبات ونبات.. وكبر أولاده وزوج الجميع فرزقوا الكثير من البنين والبنات.. وعاشوا حتى جاءهم هادم اللذات ومفرق الجماعات..

وحملت وكملت وفي أصبيع الصغير دملت.!!

سالفة:

١٨ ـ فخذان من عتيبه.. وقاتل ومقتول..

كان يا ماكان في قديم الزمان فخذان من قبيلة عتيبه يرحلون جيمعاً.. وينزلون جميعاً.. وكان مصيفهم واحد على أحد المياه الوافرة.. ومشتاهم واحد.. عندما يلتمسون العشب والربيع لمواشيهم من إبل وغنم.. أما البقرة فإن البدوي لا يقتنيها.. ولا يربيها.. بل إنه يرى فيها أكثر من ذلك حيث يحتقر الحضري الذي يقتني الأبقار ويربيها..

وكان هذان الفخذان قد ألف بعضهم بعضاً.. أولاً للرحم والدم.. وثانياً لأنهم يرون أن الاجتماع قوة والتفرق ضعف.. ولذلك قال أجدادنا في أمثالهم: ـ
الجمعا معزة..

والمهم أنهم في سنة من السنين كانوا ينزلون على ماء غزير في

الصيف.. وذلك في جنوب الجزيرة.. وكان الأطفال والشباب يتجمعون في ساعات من الليل والنهار يلعبون ويعبثون.. ويتصارعون ويتسابقون.. وفي بعض الحالات يضعون لهم هدفاً ثم يرمونه بالحجارة ليروا أيهم أكثر تسديداً للرمية.. وأيهم أكثر إصابة لها؟.

وفي ذات يوم تحدى أحد الشباب واحداً من زملائه ليصارعه.. وكان كل واحد منهما يثق بنفسه ويثق بقوته.. فاتفقا على المصارعة.. وجعلا بينهما رهاناً.. وأشهدوا على هذا الرهان..

واتفق الجميع على الزمان والمكان.. واجتمع أطفال القبيلة ليشهدوا هذا الصراع..

وكان الموعد ليلاً.. وتماسك الشابان وهز كل منهما صاحبه ليعرف جوانب الضعف فيه.. وجوانب القوة.. وكان أحدهما أقوى من الآخر.. وأبصر بطريقة الصراع.. إلا أنه كان يخفي قوته.. أو أنه لم تتح له فرصة لإظهار هذه القوة.. وقد فاتنا أن نذكر أن الشاب القوي اسمه سرحان.. أما اسم الشاب الثاني فهو كليب..

وكان الذي دعا إلى المصارعة هو كليب.. وقد قيل في حكم الأولين إذا دعيت للمبارزة فأجب فإن الداعي ظالم والظالم مهزوم.!!

وبعد محاولات من كل من سرحان وكليب في أن يصرع أحدهما الآخر.. انتهز سرحان فرصة مواتية له.. فرفع كليب إلى أعلا.. ثم ألقاه على الأرض بكل قوته فارتطم بالأرض بشكل عنيف.. وكان من سوء حظ كليب أن يقع رأسه على حجر حاد كسر جمجمته.. وسال دماغه وفارق الحياة حالاً..

ودهش المتفرجون على الصراع.. بل أصيبوا بوجوم شديد.. أما سرحان فقد كادت قواه أن تنهار.. لأنه ماكان يريد أن يصل الارتطام بالأرض إلى حد القتل..

ولهذا فقد هرب مسرعاً إلى بيت والده وأخبره بالخبر فما كان من والد سرحان إلا أن يجمع بعض كبار قومه.. ثم يذهب بهم إلى والد كليب.. ويخبرونه بالخبر.. فيسعى الجميع إلى ميدان المصارعة.. ويحملون كليب.. ويغسلونه ثم يصلون عليه ويدفنونه..

ثم يرافقون والد كليب إلى بيته ويتوجهون إليه بالعفو عن سرحان.. فهو لم يقصد قتل ابن عمه.. ولكنها الصدف السيئة التي جعلت رأس كليب يرتطم بذلك الحجر المشؤم..

ولم يزل كبار القوم يسلون والد كليب ويطلبون عفوه وصفحه عن ابن عمه..

وأخيراً أجابهم والد كليب إلى ما طلبوا.. وأعلن بينهم أنه



الشابان يتصارعان.. ويقتل أحدهما الآخر

القضاء والقدر.. وأنه قد عفا وصفح عن ابن عمه سرحان.. وأنه لن يناله منه أي شيء ما دامت لهما الحياة..

وتفرق الجماعة بعد ذلك.. وذهب كل واحد منهم إلى شأنه.. وانتهت شهور الصيف.. وبرد الوقت.. وأقبل موسم الأمطار والربيع..

وحان رحيل القوم عن ذلك المورد إلى جهات الخصب والرعي.. وكان والد كليب المقتول يتجنب رؤية سرحان الذي قتل ولده.. لأنه كلما رآه تذكر ولده.. وتذكر حزنه عليه.. ولذلك فهو يحاول أن لا يراه.. وإذا صادفه في طريقه ابتعد عنه وسلك طريقاً آخر..

وكانت أم كليب تحرض زوجها على قتل سرحان.. الذي قتل ولدها الوحيد.. ولكنه لا يصغى لقولها.. ولا يستجيب لتحريضها..

وعندما أراد القوم أن يرحلوا ذهب والد كليب إلى والد سرحان.. وسأله إلى أين سترحل.؟! فأجابه والد سرحان بأنه سوف يرحل إلى الشرق.. إلى الدهناء.. وسوف يكون طريقنا واحداً.

فأجابه والد كليب.. بأن الطريق لن يكون واحداً.. بل إنه سوف يتجه إلى الغرب إلى جهة حمى ضريه..

وتفرق الجماعة.. فريق شرق.. وفريق غرب ومكثوا بعد التفرق فترة من الزمن لا يرى أحد منهم أحداً.

وكادت جروح والد كليب أن تندمل.. وأحزانه أن تتبخر.. لولا أن والدة كليب تعيد ذكر ولدها في كل مناسبة.. وتذكر زوجها بولده.. وتحرضه على قتل قاتل ولدها..

وكان الزوج لا يعير كلامها أي اهتمام.. ولكن والدة كليب تعيد على زوجها كلامها في كل مناسبة حتى أقنعته في آخر الوقت بأنه عار عليه أن يموت ولده.. وأن يبقى قاتله على قيد الحياة.!! ومن كثرة ما كررت عليه زوجته التحريض.. اقتنع بأنه لا بد من قتل قاتل ولده والتكن النتيجة ما تكون.!!

وبدأ والد كليب في الاستعداد للرحيل.. لطلب الثأر في ولده.. وأعد راحلة قوية.. وسلاحاً ماضياً.. ثم ترك زوجته وامتطى راحلته.. واتجه إلى جهة المشرق.. إلى الدهناء.. حيث أخبره والد سرحان بأنه متجه إليها..

وقرب والد كليب من الدهناء.. وصار يتنقل من حي إلى حي ويسأل عن والد سرحان..
ولكنه كلما جاء إلى مكان وجده قد رحل عنه إلى مكان آخر..

واستمر والد كليب في تتبع آثار والد سرحان.. حتى عثر عليه.. وعرف مكانه بالتحديد..

وهنا جاء دور الهجوم.. ثم الهرب.. إنه لا يريد أن يأتيهم في وضح النهار.. بل يريد أن يتسلل إلى قاتل ولده في الليل.. فيقضي عليه.. ثم يهرب!! فإذا جاء الصباح وجد الولد مقتولاً.. ولا يدرى من قاتله.!

ولكن لا بد من رسم خطة للهجوم والهرب.. ولا بد من إخفاء الأثر..!

وفي ليلة حالكة السواد أخفى راحلته في مكان منزو.. وبعيد بعض الشيء عن مضارب الحي.. وبعد أن هدأ السمار.. ونام الكبار والصغار.. تسلل إلى الحي.. وكان يعرف بيت ابن عمه والد سرحان.. ويعرف أين ينام سرحان.. وأين ينام والد سرحان وزوجته..

وعندما قرب والد كليب من الحي شمت ريحه الكلاب فهجمت عليه من كل جانب.. وكان لا يزال بعيداً عن الحي..

ولذلك لم يستيقظ أحد من أفراد الحي بنباح الكلاب. وقد تكاثرت الكلاب على والد كليب.. وخشي أن تفضحه كما خشي أن تمزق ثيابه.. وتلحق به بعض الجراح التي قد تعوقه عن أداء مهمته.!!

وبينما كان في كفاح مع الكلاب.. ومحاولة لتهدئتها.. كان من جملة هذه الكلاب كلب ابن عمه والد سرحان حيث شم ريحه.. فعرفه.. وانقلب هذا الكلب بعد ذلك من عدو إلى

صديق.. وصار ينافح دون والد كليب.. ويبعد الكلاب عن طريقه.. وعندما رأت بقية الكلاب فعل صاحبها علمت أنه صديق.. وأنه لا خوف منه.. واستمر الكلب يقود والد كليب حتى أدخله في بيت والد سرحان..!

ورأى القوم كلهم نائمين.. ورأى قاتل ولده نائماً في بيت منفرداً عن والديه.. ومهدت له جميع الطرق ليقتل قاتل ولده..

ولكن ضميره استيقظ في آخر لحظة.. وفكر في وفاء هذا الكلب ودفاعه عنه.. واستماتته في ذلك الدفاع مع أنه حيوان وليس انساناً.. وأنه لا يجمعه بهذا الكلب نسب ولا قرابة.. ومع ذلك دافع عنه واستمات في الدفاع.!!

ثم قال والد كليب لنفسه.. إنه لا يليق بي أن يكون الكلب أكثر مني وفاء.. واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم ألقى السلاح على الأرض.. ونام بجانبه.. قريباً من بيت ابن عمه والد سرحان..

وجاء الصباح.. واستيقظ الحي.. وقام والد سرحان وعندما نظر خارج بيته رأى رجلا نائماً والسلاح بجانبه فأيقظ زوجته.. وأخبرها بأن لديهم ضيفاً لا بد من إكرامه.. فقالت من هو.؟ فقال لها إنني لا أدري من يكون.. ولكننا لا بد أن نعرفه فيما بعد..

واستعدت والدة سرحان وهيأت الفطور.. واستيقظ

الضيف.. فعرفوه وإذا هو ابن عمهم.. فرحبوا به.. وتلقوه في الأحضان.. وأكرموه غاية الإكرام.. فقال والد كليب إنني لا أستحق هذا الإكرام.. فقال له ابن عمه ولماذا؟

فأخبره والد كليب بما هم به من قتل ولده سرحان وما صار من الكلاب التي كادت أن تمزقه شر ممزق وما صار من كلب والد سرحان من معرفته والدفاع عنه حتى أوصله إلى مكان الأمان.. ثم يردف والد كليب قوله:

وعندما وصلت إلى بيتكم استيقظ ضميري وقلت لنفسي: إنه لا يليق بي أن يكون هذا الكلب أكثر وفاءا مني.. واستعذت بالله من الشيطان الرجيم.. كما استعذت به من وساوس الحريم.. فإن زوجتي هي التي حملتني على هذا المركب الصعب.. والحمد لله الذي عصمني من ارتكاب هذا الذنب.!!

وأنا الآن أعاهدك بأوثق العهود.. وأحلف لك بأغلظ الأيمان بأن لا يمس ولدك مني أي سوء بعد الآن..

ففرح والد سرحان.. حتى كاد لا يسعه المكان ثم ذبح الذبائح.. وأقام الأفراح على شرف ابن عمه.. ودعا جميع رجال الحي.. فكان يوماً مشهوداً.. وعملاً محموداً..

وبعد أن أقام عندهم والد كليب ثلاثة أيام في إعزاز وإكرام.. قفل راجعاً إلى زوجته التي كانت تريد أن تسمع

بأخباره.. وترجو أن يأخذ بثاره.!

وعاد والد كليب إلى زوجته.. فتلقته بفرح وسرور.. وسألته أول ما سألته عن نجاح مهمته.. فأخبرها بأنه نجح أيما نجاح.. ولم يفارق سرحان إلا بعد أن رأى الدم من فؤاده قد ساح.!!

ففرحت أم كليب فرحاً شديداً بأخذ زوجها بالثار.. ونجاته من المهالك والأخطار.!!

وعندما ذهبت فورة الفرح.. والترح أخبرها زوجها بالحقيقة والواقع.. وقال لها لقد أنفت أن يكون الكلب أكثر وفاءاً من أبي كليب.. فعفوت عن ابن عمي.. وعاهدته أوثق العهود.. وحلفت له بأغلظ الأيمان بأن لا يمسه مني سوء مدا الدهور والأزمان.. وهذا هو كل ما كان..

وعندما سمعت زوجته هذا الكلام رضخت للواقع وقالت لعل الله يعوضنا في كليب بمن هو أبرك منه.. وبعد أشهر قلائل أحست بأنها حبلى مع أنها كانت قد توقفت عن الإنجاب.. وانتهت أشهر الحمل فوضعت غلاماً كالقمر.. وعوضها الله عن كليب بهذا المولود الذكر.. الذي جاء على كبر..

ثم التحم شمل القبيلة.. بعد أن زالت عوامل الحزازات والأحقاد.. وإلى الله المنقلب والمعاد..

وعاش الجميع في سبات ونبات إلى أن جاء هادم اللذات ومفرق الجماعات.. وسبحان الذي له الملك والملكوت..! الحي الذي لا يموت.!

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دملت

الخيار بين ثلاث خصال.!!

يقال إن أحد العلماء عرض عليه القضاء عدة مرات فكان يعتذر بشتى الأعذار.!!

وفي سنة من السنين طلب الخليفة هذا العالم.. وقال له: إنني أريد منك أمراً من ثلاثة أمور:ـ

إما أن تلي القضاء.. وإما أن تعلم أولادي.. وإما أن تتناول معي طعام الغداء هذا اليوم..

وفكر العالم قليلا.. ثم أجابه الى أن يتناول معه الغداء فهو أخف الثلاثة ضرراً في نظره.!!

وأمر الخليفة الطباخ بأن يعمل لهم نوعاً من الطعام فاخراً.. فأكل منه العالم..

وعندئذٍ قال الطباخ للخليفة ان هذا الطعام سوف يقوده بزمام.. لكل ما يكلف به مدى الأيام.!!

وقال الراوي إن هذا العالم بعد هذه الأكلة تولى القضاء.. وعلم أولاد الخلفاء.. وتكرر تناوله معهم طعام الغداء.. والعشاء.!!

سالفة:

١٩ - راشد مع أبو راسين !!

كان ياما كان في قديم الزمان رجل فقير قد تزوج بنت عمه.. وكان يسعى لطلب الرزق لاسعاد نفسه وإسعاد زوجته ولكن الأقدار تعاكسه.. وتعاديه.!!

وكانت زوجة هذا الفقير تريد من زوجها أموراً كثيرة ولكنه لا يقدر عليها.. ولذلك فهي في أغلب الأحيان زاهدة فيه.. وفي حالات كثير تزدريه..

وكان يتحمل من ابنة عمه كل ما يصدر منها من هفوات.. ويتغاضى عما تحدثه كلماتها من جراحات!! لأنها أولا ابنة عمه فهي من لحمه ودمه.. وثانياً لأنه يحبها ويرتاح لعشرتها.. ويرتاح لرؤيتها.. ولذلك فهو يتحمل بعض المنغصات منها حفاظا على العلاقات الزوجية.. وأملا في أن تنفرج الشدة ويفتح الله له باباً

جديداً من الرزق.. فالحظ كما يقولون في الأمثال يمرض ولا يموت.!!

وجد الرجل واجتهد في طلب الرزق.. وصار كلما حصل على مال أعطاه زوجته لتوفر لنفسها ما تريده من حاجات النساء.. وما بقي بعد حاجاتها تصرفه على شئون معيشتها هي وزوجها..

واستمر الرجل في قرع جميع أبواب الرزق.. ولكنه لا يفتح له إلا من أضيق الأبواب..

وعلم الرجل أن هذا قدره.. وأن عليه أن يجد ويجتهد في طلب الرزق.. أما التوفيق.. أما الكسب الكثير والسريع فهذا شيء ليس في يده.. وإنما هو في يد الله مقسم الأرزاق..

وفي ذات يوم كان الرجل يجلس مع امرأته في جلسة عائلية.. يتجاذبون فيها أطراف الأحاديث..

وانجر الحديث إلى المعيشة التي يعيشونها.. فصارت الزوجة تشكو وتتأوه.. وتظهر التقزز والسخط على معيشتها مع زوجها..

ورد عليها زوجها بأنه لا شيء من ضروريات الحياة ينقصها وأنها يعيشان مستورين.. وأنهما أيضاً أحسن حالاً من كثير من العائلات الأخرى التي تعيش في شظف من العيش أشد منهم.! فأجابته زوجته بجواب جرح مشاعره.. حيث قالت له: أراك تغبطنا بهذه المعيشة كأنك أبو راسين.!!

وصدم الزوج بهذه العبارة.. ودارت به الدنيا وفكر فيمن يكون أبو راسين هذا.!! إنه لا يعرفه ولكنه سوف يسأل عنه.. وسوف يلقاه حتى ولو كان في آخر الدنيا.!!

وخرج راشد من بيته ليسأل معارفه عن أبي راسين هذا من يكون.. وسأل واحداً وثانياً وثالثاً فلم يجد عند أحد منهم خبراً..

وأخيراً وجد امرأة عجوزاً من معارفه فسألها عن أبي راسين.. فأخبرته ببلاده.. وأخبرته بعائلته وتحدثت عما يملكه من ثروة طائلة.. وكرم حاتمي سارت بأحاديثه الركبان.. وتحدث به كل إنسان.!

وسألها الرجل عن سبب تسميته بأبي راسين..

فقالت العجوز إن السبب أن الرجل كريم كما قلت لك وهو لا يذبح لأضيافه أقل من ذبيحتين.. ولذلك سمي بأبو راسين.!!

وعلم هذا الزوج المكافح جميع المعلومات التي يريدها عن أبي راسين.. وصمم على السفر إلى بلد هذا التاجر الشهير.. والأمير الكبير.. لعله يجد لديه ما يفرج كربته.. ويزيل شدته.!!

وأخبر الرجل زوجته بأنه سوف يسافر لطلب الرزق وقد يطول سفره.. وأمرها بإعداد ما يلزمه في السفر.!!

وفرحت زوجته وأملت آمالاً طوالاً عراضاً في أن يعود إليها

زوجها من سفره بثروة طائلة.. تعيزل فيها وتبيزل فيها.. وتفاخر بها من هو دونها في مستوى المعيشة..

وسافر الرجل قاصداً بلدة أبي راسين.. ولقي الشدائد والأهوال في طريقه إليه.. فقد كان وحيداً.. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يسافر فيها.. وكان لا يعرف الطريق إلى هذه المدينة إلا بحسب الوصف.. فلم يكن في تلك الأزمان طرق مزفتة.. ولم يكن هناك سيارات.. وإنما كانت توجد الإبل والخيل والبغال والحمير.!

هذه هي وسائل المواصلات.. أما الطرق فما هي إلا آثار القوافل التي تسم الطريق من كثرة ما تطأ عليه.. فتكون جادة يهتدي بها الناس إلى المدن.. وإلى موارد الماء..

وجد الرجل في السير.. حتى وصل في النهاية إلى بلدة أبي راسين.. وأودع راحلته عند أحد أبناء البادية.. ودخل البلد.. وسأل عن بيت الأمير فدل عليه.. فرأى قصراً كبيراً.. واسع الحديقة عالي البنيان وله سبعة أبواب كل باب عنده عبد مملوك.. وكلب عقور.. وذلك لحراسة الأبواب عن دخول الأجناب.. في غير أوقات الزيارة.!!

فذهب هذا الغريب ألى أحد الأبواب فمنع وقصد الثاني والثالث فكلهم يمنعونه. ويقولون له إن هذا ليس وقت زيارة.. وهو يحاول أن يقنعهم بأنه لا يريد أن يدخل على الأمير مع عامة

الناس.. وإنما يريد أن يدخل عليه في أوقات فراغه.. وأن يتكلم معه بأسرار وأخبار وهما على انفراد.!

ولكن الحراس لديهم أوامر بأن لايدخل أحد القصر في غير أوقات الزيارة..

وجعل هذا الرجل الغريب ينتقل من حارس إلى حارس وكلهم يمنعه من الدخول.. وعندما جاء إلى الحارس الأخير أو الذي قبل الأخير.. وأخبره بقصته.. وطلب منه أن يسمح له بالدخول إلى القصر.. والسلام على أبي راسين.!!

قال له هذا الحارس إن الأوامر لدينا مشددة.. بأن لا يسمح لأحد بالدخول.. ولكنني شفقة عليك سوف أتعامى عن هذه الأوامر والتعليمات.. فاذهب الآن.. وآت بلحمة وبعظامها وأرمها للكلب.. لينشغل بها عنك..

وأما أنا فإنني سوف أتظاهر بالنوم.. وعندئذ تدخل القصر.. وإذا دخلت مع البوابة فإن أحداً لا يستطيع أن يمنعك من السير في طرقات القصر وردهاته.. حتى تصل إلى الأمير أبو راسين.. فتسلم عليه.. وتقول له كل ما لديك من كلام.. وتطلب منه كلما تريده من حاجات.!!

وهكذا فعل الرجل.. ودخل راشد القصر.. ولكنه قبل دخوله القصر.. وصف له الحارس طريق الوصول إلى الأمير..

وقال له إمش مع هذا الطريق.. ولا تخرج عنه يميناً أو شمالاً.. حتى تصل إلى شجرة كبيرة فانعطف من عندها إلى جهة اليمين.. ثم استمر في السير.. حتى تقبل على ردهة كبيرة من ردهات القصر.. وعندئذ ترى الأمير أبو راسين جالساً بين أهله وعياله.. وخدمه الخاصين.!!

وسار الرجل الغريب كما وصف له الحارس وأقبل على الأمير فوجده كما وصف له الحارس.. بين أهله وولده.. وتنحنح.. ثم سلم فرد عليه الأمير السلام. ثم قال له من أنت.؟ ومن أين جئت.؟

فقال أنا فلان ابن فلان.. وقد جئت من البلد الفلانية للسلام عليك أولاً.. ثم لأخبرك بقصتي مع زوجتي.!!

فأدناه الأمير.. وأجلسه بجانبه.. وسأله عن أفراد عائلته. فأخبره عنهم.. فإذا الأمير تربطه صداقة قديمة بوالد الرجل.!!

ثم قال له أخبرني بقصتك مع زوجتك.. فأخبره راشد بما جرى.. كما أخبره بما قالت له زوجته عن أبي راسين..

فقال الأمير لقد وصلت إلى من سوف يلبي طلباتك ويحقق رغباتك.. وأنت عندنا ضيف عزيز أبوابنا لك مفتوحة.. وصدورنا بوجودك مشروحة!!

ثم أمر الأمير أحد الخدم بأن ينزله في أحد القصور الأميرية.. وأن تهيأ له جميع أسباب الراحة.. وصار راشد الرجل



راشد يقف أمام أبو راسين ويسلم عليه

الغريب يعيش في بحبوحة من العيش لا يحلم بها.. ويحاط بكثير من مظاهر الإعزاز والإكرام في غدوه ورواحه لمجالس الأمير..

وفي جلسة من جلسات الأمير.. عرض عليه أن يزوجه أحدى بناته.. فقال راشد إنه شرف علظيم.. ومكرمة جليلة لن أقوى على شكرها.!!

وقال الأمير لزوجاته وكان عنده عدة زوجات وعدة بنات ـ قال لزوجاته من هي من بناتي التي تقبل أن أزوجها بهذا الرجل الغريب.!!

وقالت كل واحدة منهن رأيها.. وأخيراً اتفق الجميع.. الأمير وزوجاته بأن التي تصلح له سلمى واستشاروا سلمى فسكتت.. والسكوت ـ عادة ـ علامة الرضا..

فعقد الزواج.. وأقيمت الإحتفالات ونصبت أعلام الأفراح.. ودخل راشد على سلمى في جو بهيج.. مليء بالأغاني والضجيج..!

واستمرت هذه الأفراح سبعة أيام.. كانت تنحر فيها الذبائح.. وتقدم الولائم في جميع ميادين المدينة..

وانقضت أيام الأفراح.. وسكن راشد وسلمى في قصر مستقل بخدمه وحشمه.. مع توفير جميع ما يحتاجه العروسان.!!

وصار راشد من أعز جلساء الأمير.. وأقربهم إلى قلبه كما أنه

موضع ثقته في الرأي والتدبير..

وكان أهل المدينة يحترمون راشد أولاً لمكانته عند الأمير.. ولأنه زوج ابنته. وثانياً لدماثة خلقه وحسن معاملته للناس.. وتواضعه الجم للكبير والصغير.!!

وعاش راشد مع زوجته الأميرة عيشة هنية رضية.!! حتى نسي أهله السابقين.. وأحب البلد وأهله حتى كاد أن ينسى بلده..

وبقي على هذه الحالة عدة أشهر.. وأخيراً استيقظ في نفسه حب بلده.. وتذكر مراتع صباه.. أما زوجته وابنة عمه فقد أنسته حبها زوجته الجديدة.!!

ولاحظ الأمير أبو راسين أن راشداً قد يكون اشتاق إلى بلده.. فدعاه ذات يوم.. وقال له:

إن اشتقت إلى بلدك وذويك فلا مانع لدي أن ترحل أنت وزوجتك مع جميع ما تحتاجون إليه.. وإن رغبت المقام عندنا فعلى الرحب والسعة.!

وإن أردت أن تتنقل ما بين بلدنا وبلدكم فالأمر راجع إليك..

فشكره راشد.. وقال له كأنك قد أطلعت على ما في

نفسي.. فأنا لي أقارب وإخوان أطلت الغيبة عنهم وقد اشتقت إليهم.. فإذا أذنتم لي فإنني أريد السفر بأهلي إلى بلدي.. وأعدكم بأن انقطاعي عنكم لن يكون طويلاً.!

فأذن الأمير لراشد بالسفر.. وأعدت الرواحل وأعدت الفرش.. وأعدت الأرزاق.. وأعد الخدم والحشم وعندما تكامل كل شيء.. سارت القافلة في طريقها إلى بلدة راشد.

وكان الوقت الذي سافروا فيه ربيعاً.. والجو معتدلاً وطريقهم الصحراوي مليء بالأعشاب والغدران.. ولذلك كان سيرهم بطيئاً.. وإذا رأوا مكاناً معشوشباً.. وغدراناً عميقة أقاموا عندها يوماً أو يومين لترعى رواحلهم.. ولترتاح من ثقل الأحمال التي فوق ظهورها..

وعندما قاربوا بلد راشد.. أقاموا خيامهم في واد جميل.. وركب راشد ذلوله.. وذهب إلى بلده بمفرده وكان يعرف دلالا يبيع البيوت.. فذهب إليه واشترى بواسطته بيتاً من أفخر بيوت البلد.. وكان موقعه بالقرب من بيت زوجته القديمة.!!

وعندما جهز البيت وأثثه بفاخر الرياش.. جاء بزوجته الأميرة وأسكنها فيه..

ثم ذهب إلى زوجته وابنة عمه.. فسلم عليها.. وسلمت عليه.. ورأت عليه آثار النعمة والصحة والسعادة.!! فقالت له

لعلك نلت خيراً كثيراً في هذه الرحلة.. ولم يعترض طريك أخطار ومتاعب..

فأجابها زوجها بأنه نال خيراً كثيراً.. وجلب لها الغنى والثروة الطائلة.. وأنها لن تشكو الحاجة بعد اليوم..

ففرحت الزوجة فرحاً شديداً وحمدت الله على نيل زوجها ما كانت تتمناه.

وقالت سلمى لزوجها قص علي قصة رحلتك منذ فارقتني إلى أن رجعت إلي..

فجعل راشد يقص عليها قصته ويصف لها الطريق الذي سلكه.. ثم كيف قابل أبو راسين.. الذي ذكرت له زوجته.. وهزأته.. وعيرته.. بأنه لن يكون مثله.. ولن يدانيه في غناه وكرمه.. وكيف تزوج ابنة الأمير.!!

وعندما سمعت زوجته خبر الزواج بابنة أبي راسين لم تصدق سمعها.. واستعادت الكلام فأعاده..

فانقلب فرح الزوجة بقدوم زوجها ترحاً.. وسعادتها شقاءاً.. وزهدت في الغنى والثروة التي جاء بها.. فقد كدر خاطرها خبر الزواج بابنة أبي راسين.. وجعلت هذه الزوجة تلوم نفسها فهي التي أثارت في نفس زوجها أمر السفر.. وهي التي

ذكرت له أبا راسين من باب التصغير والتحقير.. وهي التي كرهته في نفسها بكثرة طلباتها وتجدد رغباتها.!!

وصبرت هذه الزوجة على الضرة التي هي مشتقة من المضرة.. وتأقلمت معها..

وكان زوجها حكيماً سليم الرأي سليم التدبير.. فعدل بين زوجتيه في القسمة.. ينام عند هذه ليلة.. وعند الأميرة ليلة.. وصارت هاتان الزوجتان تتسابقان في نيل رضاه.. وتوفير جميع أسباب الراحة له.. ولم يكن بين زوجتيه كما قال أحد الأعراب:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي
وقد حاز الشقا زوج اثنتين
وقلت أعيش بينهما خروفاً
أنعم بين أكرم نعجتين
ولكني غدوت قرين بؤس
أمزق بين أشرس ذئبتين
رضا هذي يهيج سخط هذي
فما أعرى من احدى السخطتين
فعش عزبا فإن لم تستطعه
فضرباً في عراض الجحفلين

بل عاش راشد كأسعد الأزواج.. وكان في كل سنة يذهب بالأميرة لزيارة والدها وأقاربها.. ثم يعود بها محملة بالتحف والهدايا

والأرزاق والنقود التي تقوم بشئون زوجتيه.. ولا يحتاج معها إلى أي شيء آخر من شئون دنياه..

وعاش الجميع في سبات ونبات.. ورزقوا الكثير من البنين والبنات.. ثم في الختام جاءهم هادم اللذات ومفرق الجماعات.. وسبحان الحي الذي لا يموت ومن له الملك والملكوت..!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



القضاة.. والمحاباة.!!

قيل إن أحد الخلفاء ولى أحد العلماء على قضاء بغداد.. وكان الخليفة يثق بنزاهة هذا العالم كل الثقة.. إلا أن الكثيرين من حاشية الخليفة قالوا إنه يحابي بعض الخصوم..

وأكثر جلساء الخليفة ترديد هذه التهمة.. فلم يكن من الخليفة إلا أن يحضر هذا العالم القاضي الى مجلسه وهو مكتظ برجال الحاشية..

وجلس القاضي بجانب الخليفة.. وتحدث الخليفة.. وتحدث الجالسون.. وفي هذه الأثناء عطس الخليفة.. فشمته جميع الجالسين.. ما عدا هذا العالم..

وقال الخليفة لقد شمتني جميع الحاضرين إلا أنت.!؟

فقال القاضي إنك لم تحمد الله.. ولو حمدت الله لشمتك.!! وانتهت الجلسة.. وخرج القاضي.. وبقيت الحاشية..

فقال لهم الخليفة: لو كان هذا القاضي محابياً أحداً لحاباني.!! وخالف السنة وشمتني ولو لم أحمد الله.!!

سالفة:

٢٠ - الرجل الذي يبحث عن حظه النائم

كان ياما كان في قديم الزمان يوجد رجلان أخوان من أب وأم.. ومات والداهما ولم يخلفا لهما مالاً ولا عقاراً.. وكان أحدهما يدعى أحمد وهو الكبير أما الثاني فيدعى سعيد.. وهو الأصغر.. وبدأ كل منهما حياته من الصفر.. أي من لا شيء.!!

فأما أصغر الأخوين سعيد.. فقد انفتح له باب من الرزق واسع.. فتزوج وصار له أولاد.. ولديه خدم وحشم.. ولديه حدائق غناء.. ومراكب فارهة وبالجملة فإن سعيد يعيش كأغنى إنسان في بلده.!! وكأسعد والد وزوج بين أفراد عائلته..

وهذا كله بعكس أخيه أحمد.. الذي لم يطرق باباً من أبواب الرزق إلا انسد في وجهه.. ولم يتجه وجهة في الحياة إلا وجد

النحس في طريقه ولم يشارك في أمر من الأمور إلا كانت نهايته الخسار والبوار..

وكان أحمد يجلس ليحاسب نفسه ويقارن بين معيشته الضنك.. ومعيشة أخيه الرضية الرخية الهنية..!

وكان كلما فكر في هذا الأمر إزدادت حسراته.. وانهمرت عبراته.. وتضاعفت آلامه.!!

وكان يقارن بين مكانته الإجتماعية في بلده.. وبين مكانة أخيه فيرى بوناً شاسعاً.. فأخوه يقدم في المجالس وإذا تحدث أنصت إليه.. وإذا رأى رأياً أثنى السامعون على رأيه..

بينما أحمد يجد نفسه مهملاً مطرحاً.. إن أكرم فمن باب المجاملة لأخيه.. وإن حضر في مجلس فتحدث لم يكن لأحـاديثه أي صدى.. وإن رأى رأياً قابله الجميع بالإهمال.!

وضاقت الدنيا بأحمد.. وجعل يفكر في حظه التعس الذي جعله يعيش هذه المعيشة النكدة الشحيحة.. وفكر بعض ساعات خلواته بأنه لا بد أن يعمل شيئاً.. لتغيير وضعه الشاذ الذي يقلقه في الليل ويذله في النهار.!!

ونام أحمد ذات ليلة.. وهو يفكر في هذه الأفكار وبينما هو مستغرق في منامه سابح في أحلامه.!! رأى فيما يرى النائم أن شبحاً ظهر له في منامه ثم قال له مالي أراك حزيناً كاسف البال دائم

البلبال. ؟ لماذا لا تكون مثل أخيك؟

فقال له أحمد ومالي لا تكون حالتي هكذا وأنا أعيش في شقاء.. وفقر وعناء..! بينما أخي يعيش في نعمة ورخاء.. ويتمتع بجميع مباهج الدنيا.. مع أنني أسعى أكثر مما يسعى.. وأطرق من الأبواب كل باب.!! إلا أن باباً واحداً منها لم يفتح لي.!

فدلني جزاك الله خيراً على الطريق الذي أصل منه إلى رزقي.. وأحفظ به مكانتي.. وأصون به كرامتي.!! فقد سئمت الكد والتعب بلا فائدة..

فقال له الشبح إن حظك نائم أو مريض.. والحظ قد يمرض ولكنه لا يموت.. فابحث عن حظك حتى تجده.. ثم أيقظه في رقة ولين.. فإذا استيقظ حظك فنم.. فإن الأرزاق سوف تأتيك من كل مكان.. وسوف تعيش بعد ذلك في أمن وأمان.!!

واستيقظ الرجل وتلك الكلمات ترن في أذنيه.. وآمال الغنى والثروة تداعب خياله.. وصورة الشبح يتذكرها وكأنه يراها في اليقظة رأي العين.!!

وأراد أن يسافر من ذلك اليوم بحثاً عن حظه النائم أو حظه المريض.. ولكنه فكر قليلاً.. وقال في نفسه لعلها أضغاث أحلام.. لعلها من وحي الشيطان.. لا وحي الرحمن.. فلا داعي للعجلة.!!

وجاءت الليلة الثانية.. ونام وتلك الرؤيا تشغل باله.. فقد أسالت لعابه وفتحت آماله.!!

ورأى في الليلة الثانية كما رأى في الليلة الأولى.. فالشبح هو الشبح.. والكلام هو الكلام.. وإزداد إيمان الرجل وتصديقه بأن العلة في فقره هي نوم حظه.. أو مرضه وهذا الشبح يحثه.. على السفر والسير في البلاد.. والبحث عن هذا الحظ النائم.. أو هذا الحظ المريض.. وإيقاظه من نومه إذا كان نائماً.. أو علاجه من مرضه إذا كان مريضاً.!!

وكاد الرجل أن يسافر لولا أنه كان سمع من بعض العارفين المجربين.. أن الرؤيا إذا كانت صادقة فإنها تتكرر ثلاثة مرات.. ولذلك فهو لن يتسرع.. وسوف ينتظر الليلة الثالثة فإن كان الشبح صادقاً فإنه سوف يأتي ويكرر ما قاله سابقاً..

ونام الرجل في الليلة الثالثة وتلك الرؤيا تملأ عليه آفاق فكره.. والغنى يداعب أفكاره وخياله.!!

ولم يشعر بعد استغراقه في النوم إلا بالشبح يقف أمامه مثلما كان يقف سابقاً.. ويكرر عليه نفس الكلام الذي قاله سابقاً: حظك نائم فابحث عنه حتى تجده.. فإذا وجدته فأيقظه فإنك بعد ذلك سوف تكون أكثر ثروة من أخيك أو أي واحد في بلدك.!!

واستيقظ الرجل من نومه.. وهو يتذكر الكلام.. ويتخيل صورة الشبح كأنه يراه رأي العين..

عندئذٍ لم يبق إلا العزم على السفر.. ومواصلة الجهد حتى حظه فيوقظه.. فإذا استيقظ الحظ فإن الدنيا سوف تأتيه من كل جانب.. وسوف يضربها عوجاء فتأتي معتدله..

وبدأ الرجل في الإستعداد للسفر.. وعندما تكامل له ما أراد شد الرحال وجعل يهيم في الصحاري والقفار.. ويكاد يواصل سير الليل بالنهار.. ما عدا سويعات ينام فيها.. ويأخذ نصيباً من الراحة..

وبينما كان ذات يوم يسير.. رأى من بعيد سواداً عظيماً يكاد يسد الأفق.. فاتجه إليه.. وعندما قرب من هذا السواد وإذا هو غابة كثيفة مليئة بالأشجار والكهوف..

ونظر إلى أحد الكهوف وقال لنفسه إنني سوف أنام في هذا الكهف.. وأترك راحلتي ترعى في هذه الغابة الخضراء.. وفي الصباح أواصل سفري..

وقصد الرجل ذلك الكهف.. وعندما دخله وجد فيه أسداً رابضاً.. وعندما رأى الرجل كشر عن أنيابه.. وهم بافتراسه.. ولكن الرجل أظهر الخضوع والتذلل وقال للأسد أرجوك أن تعتقني أيها الأسد لوجه الله فأنا رجل فقير شقي في حياتي الماضية.. وأنا أبحث عن حظي لعلي أسعد في أيام حياتي الباقية..!

وكان كل شيء في قديم الزمان يتكلم ـ كما تزعم العامة ـ ولهذا فقد تكلم الأسد.. وقال إني سوف لا أقتلك.. وسأحميك ما

دمت في هذه الغابة رحمة بك وشفقة عليك ولكن بشرط واحد. . !

فقال الرجل وما هو؟

فقال الأسد إذا وجدت حظك فاسأله لماذا أنا آكل ولا أكاد أشبع. . فأنا كلما أكلت. . أحسست بالجوع أكثر من ذي قبل. .

وإذا سألت حظك فأخبرني بجوابه عندما تعود أدراجك. !!

فقال الرجل إنني على أتم الإستعداد بأن أسأل حظي إذا وجدته كما أردت. . ثم أخبرك في طريق عودتي. .

ونجا الرجل من الأسد. . وواصل سيره بحثاً عن حظه النائم. !!

ومضى يهيم في الصحاري والقفار. . ويشاهد الجبال والأنهار. . وهو في كل يوم يؤمل أن يجد حظه. . ولكن آماله تخيب وسهمه لا يصيب. !!

وفي ذات يوم مر بمزرعة أحد الفلاحين. . ومشت راحلته في وسط تلك المزرعة فأحدثت بعض الأضرار في المزروعات. . وجاء إليه الفلاح يعدو وأخذ بتلابيبه وقال لقد دمرت علي مزروعاتي. . وأفسدت علي بعض ثمراتي. . فإما أن تعوضني عما دمرت. . وإما أن تذهب معي إلى قاضي البلد وحاكمها ليحكم بيني وبينك. ؟

ولكن من أين لهذا الرجل الفقير أن يدفع تعويضاً لهذا

الفلاح؟! إنه لا يملك شيئاً من المال.. ليدفعه.. ولكنه يملك لساناً طلقاً.. ومنطقاً عذباً.. ودمعات عند اللزوم يرسلها ليستدر بها العطف.. ويطلب بها اللطف.!!

واستجمع الرجل كل أسلحته.. وألقى بها في ميدان المعركة للخلاص من هذا الفلاح الذي يطالب بحق لا غبار عليه..

وأخيراً استطاع أن يقنع الفلاح بأن ما حصل خطأ غير مقصود.. وأنه نادم على ما جرى.. وهو يطلب الرحمة والعفو.. ولو كان يستطيع دفع تعويض عما جرى لفعل.. ولكنه رجل فقير.. وحظه نائم.. وهو يبحث عن هذا الحظ النائم ليوقظه.. فإذا استيقظ حظه فإنه مستعد لدفع جميع ما يطلب منه..!!

فرحمه الفلاح.. ورق قلبه عليه.. وقال له إنني سوف أسامحك وأخلي سبيلك بشرط واحد فقط..

فقال الرجل وما هو هذا الشرط.؟

فقال الفلاح إذا وجدت حظك فاسأله ما بال مزرعتي إذا أينعت أشجارها.. وتفتحت أزهارها.. تساقطت تلك الثمار.. وذبلت بسرعة تلك الأزهار..

فتعهد الرجل الفقير بما طلب منه..

ثم واصل سيره باحثاً عن حظه النائم.. وضرب في الأرض

فأداه مسيره إلى مدينة كبيرة مكتوب على بوابتها «ممنوع دخول الغرباء في هذه المدينة» . .

ولكن الرجل تجاهل ما كتب ودخل هذه المدينة . . ولم يسر إلا قليلاً بداخلها حتى رآه أحد جنود السلطان فقبض عليه . . ثم ساقه إلى السلطان ليلقى جزاءه حسب نصوص الأنظمة والأحكام . !!

كانت مخالفة الأوامر والتعليمات تعتبر لديهم من أكبر المحرمات . . وتستحق أقصى العقوبات . !!

وسأله السلطان لماذا خالفت الأوامر؟ ودخلت المدينة بدون إذن ولاة أمرها؟ أما تعلم أن هذه الجريمة عقوبتها القتل؟

فبكى الرجل . . وقال للسلطان إنني لا أقرأ ولا أكتب وأنا رجل غريب فقير . . أهيم في بلاد الله . . وأنا عبد من عباد الله باحثاً عن حظي النائم . !!

فأرجو أن تطلقوا سراحي . . وأن لا تريقوا دم إنسان لم يرد بكم سوءاً . . ولا يضمر لكم شراً . . !

فرق قلب السلطان عليه . . وقال إنني سوف أطلق سراحك وأنقذك من القتل بشرط واحد . ! فقال الرجل الفقير إنني أتعهد بالوفاء بهذا الشرط مها كانت قسوته . . ومهما كلفني من جهد . !

فقال السلطان إذا وجدت حظك.. وجئت راجعاً إلى بلدك فاسأل حظك لماذا مدينتنا مصابة بالإفلاس ومصادر رزقها تقتر على كل الناس.؟

فقال الرجل الفقير سمعاً وطاعة.!

فخرج الرجل من المدينة بعد أن نجا من موت محقق.. وواصل سيرة في مجاهل الصحراء.. وفي الشعاب والوديان وبينما كان يسير ذات يوم في أحد الوديان.. والجبال تحف به ذات اليمين وذات الشمال.. لمح غاراً في عرض الجبل..

وكان قد نال منه التعب واحترت عليه الشمس فتوجه إلى ذلك الغار ليرتاح فيه إلى آخر النهار.!

وعندما دخل الغار رأى بداخله شخصاً يغط في نوم عميق.!!

فخاف وارتعب.. وتسلل وهرب.. وسار في هذا الوادي حتى وجد فيه مكاناً مخصباً.. وغاراً آخر معجباً.. فأناخ راحلته.. ووضع ما فوقها في ذلك الغار.. وتركها ترتاح وترعى من أعشاب الوادي وأشجاره..

وكان قد أخذ منه التعب كل مأخذ.. فتمدد على الأرض واخذته سنة من النوم.. ولم يشعر وهو في تلك السنة من النوم إلا

بالشبح المعهود يقف على رأسه.. ويقول له: إن الشخص الذي رأيته نائماً في الغار هو حظك.. فعد إليه.. وأيقظه بكل أدب واحترام.. وبعد ذلك سوف تنال كلما تريد من ثروة وحطام..!!

واستيقظ الرجل من نومه.. وعاد راجعاً أدراجه إلى ذلك الغار.. فحط فيه متاعه.. وصاريكلم ذلك الشخص النائم بكل جرأة وشجاعة.. إنه حظه..!! ولا خوف منه.. بل إن الأمل يتركز في إيقاظه ورضاه..

واستمر الرجل في مخاطبة ذلك الحظ النائم.. حتى تحرك ثم استيقظ.. ثم هب واقفاً.. وقال لمن أيقظه لماذا أيقظتني من نومتي اللذيذة.. وما الذي تريده مني الآن..!!

فقال الرجل إنك حظي.. وقد خاطرت بحياتي وعرضت نفسي للمهالك كل ذلك في سبيل الوصول إليك.. فأنا أعيش في ضنك من العيش لا مزيد عليه وأعيش بين أهلي وولدي مكسور الجناح محروماً من ثمرات الكفاح.. بينما أخي الصغير سعيد في نعيم وارف.. ويتمتع بمكانة مرموقة في مجتمعه..

فقال له حظه لقد استيقظت الآن فعد أدراجك وسوف يوافيك الغنى والمجد في طريقك..!! قبل أن تصل بلادك..

فقال الرجل لحظه لقد مررت في طريقي بثلاثة أخطار لم أنج منها إلا عندما وعدتهم بأن أسألك عن أمور يتعلق بها مستقبلهم.. وتتعلق بها سعادتهم..

فقال له حظه اسأل عما بدالك فإنني سوف أجيبك عما تسأل بلا تردد ولا تفكير. !! فسأله الرجل عن السبب في أن تلك المدينة المحرمة على الغرباء تعيش في ضائقة مالية.. ويعم أهلها فقر مدقع لا مثيل له في البلدان المجاورة لها؟

فقال الحظ إن السبب أنه يحكمها امرأة.. وقد قال رسولنا الكريم: ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة. !!

قال الرجل والسؤال الثاني أنني مررت بمزرعة أحد الفلاحين.. وخبطت راحلتي في مزرعته.. فأكلت ما أكلت.. ودمرت مادمرت.. فأخذ الفلاح بتلابيبي.. وطلب مني التعويض أو السجن.. فأخبرت هذا الفلاح بحالتي.. وأنني فقير معدم.. وأنني أبحث عن حظي.. ورجوته أن يعفو عني.. وأن يتسامح عما جرى. !!

وأن هذا الفلاح سامحني على شرط أن أسألك عندما أجدك عن الأسباب التي من أجلها تتساقط ثمار تلك المزرعة قبل نضوجها.. وتذبل أزهارها قبل أن تتفتح أكمامها.؟

فأجاب الحظ على هذا السؤال بأن تحت أرض هذه المزرعة كنز عظيم.. فإذا بحث الفلاح عن موقع هذا الكنز.. ثم استخرجه.. فإن المزرعة سوف تصلح ثمارها.. وتتفتح أزهارها.. وسوف تعطي من الثمار بقدر ما تلقى من العناية بعد إخراج الكنز من جوف الأرض.!

وقال الرجل لحظه بقي سؤال واحد وهو السؤال الذي يخص الأسد فقد طلب مني أن أسألك لماذا لا يزداد مع الشبع إلا جوعاً.. ومع كثرة الأكل إلا رغبة في زيادة الأكل.؟

فقال الحظ إن هذه علة لا سبيل إلى شفائها إلا بافتراس رجل مغفل.. وأكل لحمه.. وإمتصاص دمه وعظامه.!!

وودع الرجل حظه.. وعاد منصرفاً من حيث أتى.. ومر أول ما مر على المدينة التي لا يدخلها الغرباء.. وكانوا قد عرفوه.. وترقبوا عودته.. ولذلك فقد أخذوه حالاً إلى حاكم المدينة حسب التعليمات التي لديهم.. وعندما قابل الحاكم قال له أخبرني لعلك وجدت حظك.. فقال نعم.. فقال الحاكم وماذا قال لك عن سبب الضائقة والفقر التي تعيش فيها بلادنا؟

فقال الرجل لقد أخبرني حظي بأن سبب الضائقة هو أنكم وليتم أمركم امرأة.. وقد ورد في حديث رسولنا الكريم قوله: «ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

وعندما سمع حاكم المدينة أو عمدتها هذا الكلام أبلغه للملكة حالاً..

فقالت الملكة ائتوني بالرجل حالاً.. فذهبوا به إلى الملكة.. وإذا هو شاب وسيم يتدفق نشاطاً وحيوية.!!

فقالت له الملكة لقد بلغني ما قال حظك بالنسبة للضائقة التي

تعيش فيها مدينتنا.. والسبب الذي من أجله حدثت هذه الضائقة..

وأنا مستعدة أن أزوجك نفسي.. وأجعلك ملكاً على البلاد تحكمها وتتصرف في شئونها بحسب ما تفرضه مصلحة البلاد والعباد.. فما رأيك في هذا الأمر؟

وكان هذا العرض مفاجئاً لصاحب الحظ الذي كان نائماً فاستيقظ.. وفكر الرجل قليلاً ثم قال للملكة.. لقد استيقظ حظي ورزقي سوف يأتيني في أي مكان من بلاد الله الواسعة.. ولكنني لا أفضل بلداً على بلدي التي ولدت فيها.. وتربيت في ربوعها.. وعشت في أحضانها.. ولي فيها لدات وأصدقاء لا أرتاح إلا برؤيتهم.. والإجتماع بهم.. وتجاذب أطراف الحديث معهم.!!

وعندما رفض الرجل زواجه بالملكة وتسنمه ذروة الرئاسة.. سمحوا له بالعودة إلى وطنه..

وواصل الرجل سيره ليعود إلى بلده.. ومر في طريقه بصاحب المزرعة فرحب به وهلا.. ثم قال له:

لعلك وجدت حظك وأيقظته من منامه.. فقال الرجل نعم لقد وجدته وأيقظته ووعدني خيراً.. وسألته عما طلبت فأوضح لي أن السر في تساقط الثمار.. وجفاف الأزهار.. هو أن في باطن



الباحث عن حظه يقف أمام الملكة وتعرض عليه الزواج

أرض مزرعتك كنز عظيم.. فإذا استخرج ذلك الكنز من باطن الأرض عادت مزرعتك إلى أحسن ما تكون المزارع.. فنضجت ثمارها.. وتفتحت أزهارها.. وغردت أطيارها وصارت بهجة للناظرين.. وقرة عين للمستثمرين.!!
ففرح الفلاح بهذه البشرى فرحاً شديداً.. وأقام وليمة فاخرة للرجل الذي زف إليه هذه البشرى.. وقال له إن لي لديك رجاء.؟

فقال له الرجل.. وما هو؟ إن طلبك مجاب.. ورأيك فيما تريده صواب.. فأخبرني بما تريد.. فأنا طوع أمرك بكل تأكيد.!

فقال له الفلاح إني أريد أن تبقى في ضيافتي لعدة أيام نبحث خلالها عن هذا الكنز الذي بشرتني به والذي سوف تنال منه أكبر نصيب.!!

فقال الرجل إنني سوف أشاركك في البحث عن الكنز أما المشاركة فيه فإنني لست في حاجة إليها لأن حظي قد إستيقظ.. وسوف يأتيني الرزق في بلدي.. وبين أهلي وولدي من كل باب..

والمهم أن الفلاح وصاحبه شرعا في البحث عن الكنز.. ولم تمض عدة أيام حتى وجداه.!!

إنه كنز عظيم فيه الذهب والفضة.. وفيه الجواهر

والألماس.. وفيه مالا يخطر على بال أحد من الناس.!!

وعندئذ.. بدأ صاحب الحظ يستعد للسفر..

فقال له الفلاح.. لقد أعجبت بنشاطك.. وأعجبت بأخلاقك.. وأنست بأحاديثك.. فابق معي في هذه المزرعة لأعمل فيها أنا وإياك.. وأجعلك شريكي في الكنز.. وشريكي في المزرعة.. فالخير كثير سوف يسعني وإياك.. ويمكنك أن تأتي بعائلتك وأمك وأباك.!

فقال أحمد إنني لست بعد إقاظ حظي في حاجة إلى شيء من أمور الدنيا.. ولا يطيب لي المقام إلا بين أبناء بلدي.!!

فقال الفلاح إذاً فخذ بعض هذا الكنز حلالا بلالا.!!

فقال الرجل إن الكنز في أرضك.. وأنت أحق به.. ولن أحمل نفسي وراحلتي شيئاً من الأثقال لأن الحظ سوف يفتح لي الأبواب.. وسوف يهيء الأسباب.. فشكراً لك.. وبارك الله لك فيما أعطاك.!!

وترك صاحب الحظ المستيقظ ذلك الفلاح.. وواصل السير إلى بلده.. وقد بقي في طريقه الأسد الذي كف عن إفتراسه بشرط أن يسأل عن شفاء دائه..

ووصل أحمد إلى الأسد.. فوجده في ذلك الغار يترقب الأخبار.!

فسلم الرجل على الأسد.. سلام الصديق على الصديق فرد عليه الأسد التحية بأحسن منها.. وقال له تفضل ما هي أخبارك.. وماذا لقيت في رحلتك.؟ ولعلك وجدت حظك فأيقظته من نومه الطويل العميق.!!

فقال أحمد نعم لقد وجدت حظي بعد رحلة طويلة.. ومشاق وأهوال.!!

فقال الأسد وما هي الأهوال التي إصطدمت بها في طريقك؟

فأخبره أحمد بقصته مع الفلاح في الذهاب والعودة.. وأخبره بقصته مع أهل البلد التي لا يدخلها الغرباء.. في الذهاب والإياب.. وأخبره بما وقع بينه وبين حظه من سؤال وجواب.؟

فقال الأسد.. وماذا قال حظك عن حالتي.. وما طلبت منك أن تسأله عنه..

فقال أحمد لقد سألت حظي بعدما استيقظ عن حالتك وما تحس به من الجوع الدائم حتى بعد أن تشبع.. فأخبرني أن شفاءك من هذا المرض متوقف على أن تأكل لحم رجل مغفل.. وأن تشرب من دمه.. وأن تأكل ما يمكن أكله من عظامه.!!

فقال الأسد..وهل هذه هي إجابة حظك بدون زيادة ولا نقصان.؟ فقال الرجل نعم هذا هو جوابه بلا زيادة ولا نقصان.!!

فقال الأسد.. وهل تدري أنك أنت المقصود بهذا الكلام..

فقال راشد بكل إنزعاج - كيف يرميني حظي في هذه الورطة المميتة؟

فقال الأسد إنك أنت الرجل المغفل الذي فيه شفاء مرضي.. وهل هناك من هو أكثر منك تغفيلاً؟ فقد واتاك الحظ عندما طلبت منك الملكة أن تتزوجها وتكون أنت زوج الملكة وحاكم البلاد.!!

فقد ابتسم لك الحظ وواتتك الفرصة فأضعتها.!! والفرصة إذا لم يغتنمها المرء صارت غصة كما يقول الحكماء.!!

ثم واتتك الفرصة ثانية.. عندما عرض عليك الفلاح أن تكون شريكه في الكنز.. وشريكه في المزرعة.. فرفضت ذلك.. وأضعت حظك.

وهذه الفرصة الثانية التي أتيحت لك.. ولكنك لم تنتهزها وقد قيل «إنتهزوا الفرص فإنها تمر مر السحاب».!!

والآن أنا سوف أقتلك وآكل لحمك وأمتص دمك.. ولكني رعاية لحقك.. وتقديراً لوفائك أخيرك هل تريد ذلك في هذا اليوم أم أؤجل ذلك إلى الغد؟

فقال أحمد إنني أريد أن تؤجله إلى الغد ففي سلة السيف

فرج كما يقولون في الأمثال.. ولعل الله أن يبعث لك بنصيب أفضل مني فأبقى عدة أيام.!! وفي هذه الأيام العدة يأتي من ألطاف الله ما لم يكن في البال.!!

وفي اليوم التالي لم يجد الأسد أفضل من هذا الرجل المغفل.!!

فقال له الأسد لقد وفيت لك بوعدي.. كما وفيت أنت بوعدك.. والآن هل تريدني أن أبدأ في أكل أعضائك عضواً عضواً وأنت حي؟ أم تريدني أن أخبط رأسك بيدي خبطة قوية تطلع بها روحك؟

أم تريدني أن أقطع أوداجك وأتركك حتى تفيض روحك؟

إن من حقك علي أن آخذ رأيك في الطريقة التي تكون فيها نهاية حياتك.. ورحيلك من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة؟

فقال الرجل إنها طرق ثلاث لا خيار فيها.. فكل واحدة أسوأ من أختها.!!

وإذا كان ولا بد من الإختيار.. فإنني أختار أن تخبطني بيدك على رأسي.. حتى أفقد وعيي.. ثم بعد ذلك اصنع بي ما شئت.. فما لجرح بميت إيلام.!! وعليك وعلى الدنيا السلام.!!

وهكذا انتهت حياة هذا البائس الفقير الذي صارت منيته في

أمنيته.. وتعددت الأسباب والموت واحد.!!

وقد قيل في حكم الأولين تقطع أعناق الرجال المطامع..
وحملت وكملت وفي أصبيع الصغير دملت.!

المرأة.. وحفظ السر!!

يقال إن رجلاً وجد كنزاً ففرح به فرحاً شديدا.. وأراد أن يخبر زوجته لتفرح مثله ولكنه خشي أن تذيع هذا السر.. فيكون هَدفاً للصوص والطغم.. ومطامع الحكام.!!

وأراد أن يختبرها.. فجاءها يوماً وهو حزين فقالت مالك..
فقال لقد حدث لي حادث.. ولكني أخشى أن أخبرك به فتذيعينه.. فيكون العار والشنار.!!

فوعدته بأن تحفظ هذا السر.. فقال لها إنني عند ماأصبحت هذا اليوم.. خرج من بطني بيضة في حجم بيضة الدجاجة.. هذا هو السر الذي أريد أن لايذاع.!!

وخرج الرجل الى أعماله.. وخلت الزوجة لنفسها..
فدقت الجدار على جارتها.. فأطلت عليها من أعلا السطح وأخبرتها أن زوجها باض في هذا الصباح بيضة.!!
وقالت لها ان هذا الأمر سر فإياك أن تذيعيه.. فوعدتها بالكتمان.!!

ولكنه لم يأت المساء.. حتى صار أهل القرية يتحدثون بأن فلاناً باض كما تبيض الدجاجة عشر بيضات.!!

سالفة:

٢١ - خمسة رجال.. يبحثون عن الرزق

تتوالى في بعض الأحيان سنوات من الجوع والقحط.. يضيق فيها المرء بنفسه بسبب ضيق المعيشة.!!

وفي سنة من هذه السنوات ضاق الرزق على خمسة من رجال احدى القبائل.. واتفقوا على أن يسافروا.. وأن يضربوا في كبد هذه الصحراء.. بحثا عن الرزق.. والرزق في عرفهم قد يكون حلالاً.. كالشيء الذي يكسبه المرء من طريق مشروع.. وبعرق الجبين.. وقد يكون حراما كالمواشي والأموال التي يستولي عليها المرء من أموال الغير بطريق القوة.. أو طريق الاختلاس..

وقد سافر هؤلاء الرفقة الخمسة يلتمسون الرزق سواء كان حراما أو حلالاً.. فقد اضطرتهم الحاجة.. وحداهم الجوع ليركبوا هذا المركب الصعب على ما فيه من مخاطر جمة.. قد تبلغ في

بعض الأحيان أن يفقد المرء حياته.. لأن الأموال والمواشي سوف يدافع عنها أهلها دفاع الأبطال.. ولن يتركوها لقمة سائغة لكل من صال وجال.!!

ومن عادة الرفقة أن يختاروا أفضلهم فيجعلوه أميراً عليهم يأتمرون بأمره.. ولا يخرجون عن رأيه فيما أحبوا.. أو كرهوا..

وسار هؤلاء الرفقة.. وليس معهم طعام يأكلون منه.. وليس في الصحراء من يستضيفونه ليطفىء عنهم حر الجوع.!!

ومضى اليوم الأول.. ثم مضى اليوم الثاني.. وليس معهم إلا قليل من الماء.!!

وبدأ الجوع والتعب يدب إلى نفوسهم وأجسامهم.. لأنهم لم يصادفوا في طريقهم أي حيوان من الحيوانات الأليفة.. أو الحيوانات المتوحشة.. ولو وجدوا شيئاً من ذلك لأكلوه ولم يفكروا فيه أحلال هو أم حرام.؟!

وجاء اليوم الثالث.. واشتدت عليهم وطأة الجوع القاتل ولكنهم صبروا وصابروا.. وجامل بعضهم بعضاً.. فلم يبدُ من أي واحد منهم أي شكوى أو تذمر.!!

وجاء اليوم الرابع دون أن يأكلوا شيئا.. وأحسوا بأنهم سوف يذهبون طعمة للموت جميعا إن لم يتدبروا أمرهم.. وينقذوا

حياتهم.. ولو كان ذلك بهلاك بعضهم في سبيل بقاء البعض الآخر.!!

وجمعهم أميرهم.. وصارحهم بالأمر.. وقال انه لا بد من تضحية.!!

ونظر إلى رفاقه.. ووقع نظره على أكثرهم لحماً وشحماً.. وقال إنني أرى أن نذبح رفيقنا هذا الكثير اللحم والشحم.. ونأكله.. ولا بأس من ذهاب واحد ليعيش أربعة.. فما رأيكم أيها الرفاق.؟!

فوافق الجميع على رأي الأمير.. ما عدا ذلك الشخص الذي سوف يذبح ويؤكل.!! فانه انزعج وبكى.. وقال للأمير مع الرفاق:

إنكم تعلمون أنني أنا الكاسب الوحيد لعدة من الأطفال والنساء.. الذين لا سند لهم ـ بعد الله ـ غيري.!!

لهذا أرجو أن تعتقوني من القتل من أجل هؤلاء الصبية والنساء.!!

وتأثر الرفاق بجزعه ودموعه.. لأنهم يعرفون أنه لم يقل إلا حقا فأعلن الأمير رأيه بترك هذا الرجل فهو صادق فيما قال.. ووافق الرفقة على رأي الأمير.. وصرفوا النظر عنه مكرهين.!!

ثم نظر الأمير إلى البقية الباقية من رفاقه.. ووقع نظره على



الرفقة الخمسة يتشاورون فيمن يأكلون من رفاقهم

أحدهم وهو شاب ليست عليه مسئوليات عائلية.. لأن له إخوة سوف يقومون مقامه في شئون أسرته..

واستشار الأمير رفاقه في ذبح ذلك الشاب فكلهم وافقوا وكذلك هذا الشاب الذي سوف يذبح وافق على أن ينقذ رفاقه.. ولو كان سوف يدفع الثمن غاليا.. وهو حياته.!!

وقال لرفاقه.. أنا أعرف أنني أقلكم مسئوليات.. ولذلك فأنا موافق على انقاذ حياتكم بموتي.!!

وأنا لا أريد منكم إلا شيئاً واحداً.؟!

فقالوا وما هو.؟! فقال تمهلوني إلى الغد.. حتى نرد الماء الذي نحن في طريقنا إليه.. فان وجدنا شيئا يسد رمقنا قبل الماء.. أو على الماء فذلك ما نتمناه جميعا.. وإن وردنا الماء.. دون أن نجد شيئا يؤكل.. فانني أسمح لكم بقتلي وأكلي.!!

فوافق الأمير.. ووافق الرفقة على طلب زميلهم.. وساروا إلى الماء يجرون أنفسهم جراً.. حتى أن أرجلهم لا تكاد تحملهم من شدة الجوع والتعب.!!

وكان من حسن حظ هذا الشاب الذي كان سيقتل ويؤكل.!! ان رفاقه وجدوا على الماء كلبا ميتا..

وعندما رأوه فرحوا واستبشروا.. فهم سوف يأكلونه..

وسوف يكون في أكله انقاذ لحياة رفيقهم الوفي الذي بذل حياته في سبيل حياة رفاقه. !!

فأوقد الرفقة النار.. وشووا ذلك الكلب وأكلوه.. ثم عادوا إلى مضارب بيوت العشيرة.. ولسان حالهم ينشد بيت الشاعر القديم:

وكم طوفت في الآفاق حتى
رضيت من الغنيمة بالإياب

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.

قال ابن لعبون في وصف بعض البلدان

داربها الأنذال تشرى بزايد
قبل اللوازم وابن الأجواد بزهيد
داربها معنى قديم العوايد
رفع الوضيع ووضعها للصناديد
ثوب الحيا ما بين أهلها طرايد
مشاية بالزور مثل الطواريد
ناس إلى حدوك صوب المساجد
فاعرف ترى الحنشل بها لك ملابيد
وان كان نك مازحتهم بالجرايد
شالوا عليك مسحلات المزانيد
يا الله عسى موجودهم للفقايد
ووجيههم بين الليالي فراهيد

سالفة:

٢٢ - رميزان .. مع شريف مكة ..

رميزان هذا كان أميراً لبلدة الروضة في منطقة سدير وكان شاعراً فارساً ذكياً سريع البديهة حاضر الجواب.. حكيها فيها يقول صائب الحدس فيها يتخيل..

وعاش رميزان في القرن الحادي عشر الهجري وله شعر كثير في الحكم والكرم والشجاعة.. ووصف طبائع البشر.. وتقلبات الأيام.!!

ومن شعره في وصف الدنيا وأهلها قوله:-

الأقــدار مــا عـنهــا انهزام وكـلـما
تعـدل ولـو طــال اعتـدالـه مـال

كم قـاعـد بـالـظل وانـزاح ظله
وكم قـاعد بـالشمس جـاه ظـلال
وكم عـايـل دومن يخـلى مخـافـه
ومستـسـلـم دومـن عـلـيـه يعـال
فلا تجزع إلى صابك من الدهر حادث
فـلا كـدر إلا مـقـتـفـيـه زلال
ولا تكن مفـراح إلى طلث طولـه
ولا تجـزع إلى يومن ينـالك حـال

ويمضي رميزان في قصيدة طويلة كلها على هذا النمط من الجودة والأصالة وصدق التجربة. !!

وهذه أمور ليس ها هنا موضع بحثها وتحليلها. . وانما الذي نريد أن نتطرق إليه هو قصته مع شريف مكة المكرمة. . الذي كان يحكمها آن ذاك ويدبر أمورها ويشرف على المشاعر المقدسة. . وعلى حجاج بيت الله الحرام. .

وكان رميزان يحج في معظم السنوات. . حيث يرافق حجاج سدير. . أو أن حجاج سدير يرافقونه. .

فيستفيدون من خبرته. . ويستفيدون من شجـاعته ويستفيدون من أصالة آرائه. .

فاذا وصلوا إلى مكة فان من الواجب عليهم أن يسلموا على شريف مكة. . وأن يقدموا له فروض الطاعة والاحترام. !!

وكان رميزان قد سبقته شهرته إلى مكة وإلى شريفها. .
وصارت قصصه في الفطنة والذكاء وسرعة البديهة طرفة المجالس. . وسلوة السمار. !!

وفي سنة من السنوات التي حج فيها رميزان ذهب إلى الشريف هو وكبار جماعته بعد أن قضوا مناسك حجهم أو عمرتهم. . شك الراوي في أي الأمرين كان. !!

وعندما سلموا عليه. . كان الشريف قد قال لجلسائه إنني سوف أختبر رميزان من حيث لا يشعر. . وسوف أسأله سؤالاً واحداً يكشف عن ذكائه الذي تتحدث به الركبان. . ويجرى على كل لسان. .

وقال الشريف لرميزان بلا مقدمة ولا تمهيد:ـ

ما هو أحسن الطعام يا رميزان. ؟!

فقال رميزان قرص البر يا سيدي. !!

ثم قطع الشريف كلامه في هذا الموضوع وأنهاه. . وصار يتكلم في مواضيع أخرى. . لا تمت إلى الطعام بأي صلة. .

وانتهت الجلسة بعد ذلك وتفرق الجالسون من ذلك المجلس ثم ذهب كل حاج أو معتمر إلى بلاده. .

ثم جاءت السنة التي تليها. . وحج رميزان على عادته مع

حجاج أهل سدير.. وعندما وصلوا مكة.. وأتموا مناسك العمرة.. ذهبوا ـ كالعادة ـ للسلام على شريف مكة.. وجلس الزائرون بعد السلام.. وسأل الشريف عن أحوال الحجاج.. وسأل عن راحتهم ثم وجه الحديث إلى رميزان وسأله بلا تمهيد ولا مقدمات قائلاً:ـ

بأيش يا رميزان.؟!
فقال رميزان بلا روية ولا تفكير: بالسمن يا سيدي..

وهذا السؤال من الشريف وهذا الجواب من رميزان تكملة لما بدآ به في السنة الماضية.!!

وكان أكثر الجالسين في تلك المناسبة لا يعرفون معنى لهذا السؤال.. ولا ذلك الجواب.!!

وعندما خرج رميزان مع جماعته.. سأل بعض الحاضرين الشريف عن ذلك السؤال.. وذلك الجواب.؟!

فأخبرهم الشريف بما هدف إليه.. وما توصل إليه.. من تأكده من ذكاء رميزان وسرعة بديهته.. وأن كثيراً مما يحكى عنه من نوادر الذكاء لا يبعد أن تكون صحيحة..

أما رميزان فقد عرف أن الشريف أراد بما صنع أن يختبر ذكاءه.. وأن يسبر غور ذاكرته وأن يرى كيف يتصرف أمام المفاجآت.. التي قد لا يكون حسب لها حسابا..

وقال رميزان لرفاقه أثناء أداء مناسك الحج.. إنني سوف أخدع الشريف.. وآخذ منه عشراً من الخيول الأصائل.. بطريقة مقبولة.. وسوف لا أردها عليه.. بطريقة مقبولة أيضاً.!!

وتعجب رفاق رميزان مما فكر فيه رميزان.. من الجرأة على شريف مكة وخديعته.. وأخذ بعض خيوله التي لا يهبها.. ولا يهب شيئا منها لأي انسان كان..

بهذا جرت عادة الشريف.. إنه قد يعطي بعضا لمال.. ولكنه لا يعطي شيئا من الخيول.. ولا سيما خيوله الأصائل.!!

وانتهت مناسك الحج.. وقال رميزان لرفاقه إننا سوف نذهب لنسلم سلام الوداع على الشريف وأريد أن يذهب معي منكم عشرة أشخاص لاستلام عشر من الخيول الأصائل من اصطبل الشريف.!!

فقال له رفاقه: إنك لن تستطيع ذلك مهما بالغت في التحايل.!!

فقال رميزان تعالوا معي وسوف ترون ما يحدث..

وذهب معه عشرة أشخاص من رفاقه.. وفي طريقهم إلى مجلس الشريف.. مروا على اصطبل الخيل.. ونظر إليها رميزان.. وتفحصها.. ثم ذهب إلى مجلس الشريف وسلم عليه وقال له إنني جئت لأودعك.. ولكنني في طريقي إليك مررت على

اصطبل الخيل.. فرأيت بعضها هزيلاً ضعيف الحال.. لأنها لا تأكل من أعشاب الصحراء المفيدة النافعة للخيل..

ولدينا في بلادنا وديان وشعاب مليئة بالنباتات التي تحبها الخيل وتسمن من أكلها.. وتزداد قوة ونشاطا.. وسرعة.. حتى أنها إذا أكلت من تلك الأعشاب والنبات تكاد تطير براكبها بين السماء والأرض.. فابعث معي يا سيدي عشراً من خيولك الأصائل.. وسوف آتي بها في وقت الحج القادم.. وسوف ترى صدق ما أخبرتك به وحدثتك عنه..

فأعجب الشريف بكلام رميزان.. وأعجب بفكرته.. وكان يثق به كل الثقة.. فوافق على أن يعطى عشراً من الخيل الأصيلة الضعيفة.!!

وسلم رميزان على الشريف.. وودعه ثم خرج من عنده في طريقه إلى اصطبل الخيل.. فوجد الأوامر قد سبقته إلى سائس الخيل.. بأن يختار رميزان عشراً من الخيل ليذهب بها معه الى نجد.!!

وإختار رميزان ما أراد دون أي معارضة.. وكان جماعته حاضرين فسلم كل واحد منهم مقود إحدى الأفراس.. وذهبوا بها إلى رحالهم

وكان من رأى تلك الأفراس عرفها.. بأنها من خيل الشريف.. ثم يتساءل الناس كيف وصلت هذه الأفراس الى



رميزان ورفاقه يمتطون جياد الشريف

رميزان وجماعته.. هل هي هبة.؟! هل هي هدية لأحد أمراء نجد.؟! هل أعطيت لرميزان ليبيعها.. ويضع ثمنها فيما هو أحسن منها وأقوى.؟!

كل هذه التساؤلات وأكثر منها جرت على ألسنة كل من رأى تلك الأفراس مع رميزان.. والتي لايشكون أنها أفراس شريف مكة.؟!

والمهم أن ريمزان وجماعته توجهوا بتلك الأفراس الى نجد.. ولكنهم كلما مروا بماءٍ يقطنه أحد أحياء العرب.. عرفوا أفراس الشريف.. وصاروا يتساءلون عن السبب في وجودها في حوزة رميزان.!!

إن أحياء العرب يتساءلون.. ولا يصلون الى جواب عن تساؤلاتهم.. ويبحثون فلا يصلون الى نتيجة في بحثهم فسر وجود هذه الخيل في حوزة رميزان لايعرفه حتى رفاق رميزان.. وانما الذي يعرفه شيف مكة.. ورميزان.. والسر هذا كان بين اثنين لم يعرفه أحد كما قال الشاعر الشعبي:

السر بين أثنين مايندرى به

وإلى درى الثالث تحاكوا به الناس

وانقضت أيام العام سراعاً.. وجاء موسم الحج.. وحج رميزان مع جماعته على عادته..

وبعد إنقضاء المناسك ذهب رميزان على عادته للسلام على

الشريف.. وبعد السلام سأل الشريف عن أحوال الخيل.. وهل سمنت وازدادت قوتها وازداد نشاطها وازدادت سرعتها.؟!

فتحدث رميزان عن الخيل.. وما تعيش فيه من نعمة وحرية ونشاط.. وأنها على أحسن مايرام..

ثم سأل الشريف قائلا:

هل أتيت بها معك.؟!

فقال رميزان: أحضرتها.. وما أحضرتها.. فظهر الغضب على قسمات وجه الشريف.. وقال لرميزان ما هذا التناقض في كلامك.. أحضرتها وما أحضرتها.؟!

فقال رميزان حلمك ياسيدي.. فانني سوف أقص عليك جميع ماجرى لنا في طريق عودتنا الى بلادنا وبعد ذلك يكون الأمر لسيدي..

فقال الشريف: وقد علم أن في الأمر شيئاً: قل ماتشاء وأوجز.

فقال رميزان: إننا عندما وصلنا ماء عشيرة كان يقطنه عدة قبائل من العرب.. وعندما رأوا الخيل عرفوها أنها خيل سيدي.. وقال بعضهم لبعض لقد أهداها سيدنا لرميزان.. وهكذا صار يتحدث العربان في كل مورد نرده من المياه عن هذه الخيول بمثل هذا الكلام..

ولذلك يا سيدي لم أستحسن أن أعود بالخيل اليكم بعد الذي سمعته من كلام القبائل.. حتى آخذ رأيكم.. لأنني أخشى أن تتحدث القبائل إذا رأوني عدت بها فيقولون إن الشريف عاد في هبته.. واسترجع هذا العام ما كان وهبه في العام الماضي.!!

والآن ياسيدي الأمر اليك فان أمرت بعودتها أعدتها.. وإن أمرت ببقائها لدي أبقيتها.؟!

وبعد أن سمع شريف مكة هذا الكلام هدأ روعه وخف عضبه.. أو على الأصح تلاشى غضبه.. وقال لرميزان : مادامت القبائل قد تحدثت في مجالسها بهذا الكلام فالخيل لك بارك الله لك فيها.!!

وهكذا استطاع رميزان ـ بهذه الحيلة اللطيفة أن يأخذ من الشريف عشراً من الأفراس الأصائل التي تعتبر من أعز الممتلكات.. في العصور الماضيات.!!

وبهذا انتصر رميزان أولاً.. وانتصر أخيراً وصارت قصتهم يتحدث بها الأقوام في مجالسهم.. وينقلها الأحفاد عن الأجداد.. وانتهت تلك العصور والى رب العالمين المعاد.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

سالفة :-

٢٣ - الشريف لا يتزوج إلا شريفة..

كان ياما كان في قديم الزمان رجل ينتمي الى الأشراف والأشراف هم الذين ينتسبون الى قريش.. أو ينتسبون الى بني هاشم أقارب نبينا الأدنون.!!

وكان هذا الشريف قد تزوج إحدى بنات عمه ورزق منها مولوداً ذكراً.. ثم أراد الله عليه وقدر فأصيب بمرض عضال مفاجيء فتوفى وترك زوجته وولدها وحيدين.. وترك لها ثروة لا بأس بها كما ترك لهما حديقة غناء لا يطير غرابها.. وهذه الحديقة فيها من جميع أشجار الفواكه.. وجميع أنواع الخضروات.. وفيها النخيل الباسقات.!!

وهذه الحديقة كانت في طرف من أطراف المدينة ولا تبعد عن

بيت هذا الشريف إلا حمس قهوة أي بمقدار مايحمس البن على النار . .

وكانت عائلة الشريف هذا تذهب الى هذه الحديقة سيراً على الأقدام . . ولا يأخذ السير اليها إلا مقدار ربع ساعة على الأكثر .

وكان في هذه الحديقة عبد مملوك هو وزوجته وأولاده . . يقومون بحراستها . . ويقومون بسقيها ويقومون بزراعة بعض الخضروات في مواسمها . !!

كما أن هذا العبد المملوك لديه أوامر مشددة من سيده بأن لايمنع أحداً من الدخول في هذه الحديقة . . وأكل مايشاء من ثمارها . . أو السباحة في بركتها الكبيرة التي هي دائماً مملوءة بالماء . . بالماء . .

وكبر ولد الشريف وهو يعيش مع والدته . . ويشرف على مخلفات والده . . وأحس هذا الولد برغبة شديدة الى الزواج . !!

وباح هذا الولد برغبته هذه لوالدته . . وطلب منها أن تبحث له عن زوجة صالحة . . ووعدته والدته بذلك . .

وبعد عدة أيام دعته وقالت له لقد بحثت لك عن زوجة . . فوجدت نساءً كثيراً . . كلهن يصلحن لك . . ولكنهن لسن من الأشراف . !!

فقال لها ابنها إن زوجتي التي أريدها لابد أن تكون من

الأشراف.. فهذه طريقة آبائي وأجدادي.. ولن أغيرها ولن أحيد عنها..

فقالت له والدته إذاً أعطني فرصة أخرى لأسأل وأبحث لك عن واحدة من الأشراف..

وسألت الوالدة كل معارفها.. فأخبرها أحدهم بأنه يوجد في القرية الفلانية رجل من الأشراف ولديه ابنة هي في سن الزواج.!!

وأخبرت الوالدة ولدها باسم والد الفتاة.. وأخبرته ببلده فعرفه.. لأنه من أبناء عمه الأدنين.. ولكنه كان منسياً لأنه فقير ضعيف البدن.. ضعيف الهمة.!!

ولكنه لامفر من الزواج بابنته.. لأنه لايوجد إلا هي.. ولا مجال للإختيار.!!

وكتب الشاب لأبن عمه يخطب منه ابنته.. وبعد أيام قليلة جاءه جواب خطابه بالموافقة..

واتفق الشاب مع عمه على ليلة العقد.. وليلة الزواج وذهبوا الى القرية التي يقيم فيها عمه...

فلما وصلوا اليها وجدوا أبا العروس شيخاً هرماً قليل الجهد ضعيف الرأي.. وأموره كلها في يد زوجته الشابة القوية.. التي هي الزوجة الثانية.. أما أم العروس فقد توفيت منذ سنوات بعيدة.!!

والمهم أنهم عندما وصلوا لم يجدوا من يستقبلهم.. ولم يجدوا استعداداً للزواج.. وكل ماهناك أن عم الفتى عندما علم بقدومهم ذهب اليهم ورحب بهم ثم عاد الى زوجته وابنته فأخبرهما بوصول الزوج ورفاقه.. وأنهم نصبوا خيامهم في ضاحية من ضواحي البلد..

وذهب الشاب مع بعض رفاقه الخاصين.. وجيء بامام القرية فعقد عقد الزواج.. وفي الليل زفت العروس الى عريسها.. في شكل مزر.. فقد كانت الفتاة صغيرة.. لاتعرف من أمور الحياة الزوجية قليلاً ولا كثيراً.. وكانت زوجة والدها لاتعيرها أي اهتمام ولا تقيم وزنا لهذا الزواج.!!

ولذلك فقد كان المكان الذي زفت فيه العروس الى عريسها قذراً..

وكان فرشه مهلهلاً بالياً.. وكان لباس العروس لايليق في مناسبات عادية.. فما بالك بمناسبة لاتمر بالمرء ـ غالباً ـ إلا مرة واحدة.. في عمره المديد..

وعندما رأى الزوج هذه المناظر.. صدم صدمة عنيفة.. ولكنه جامل وصبر.. وعندما جاء الصباح استأذن من عمه.. وقال إنني مع رفاقي سوف نذهب.. ثم أعود اليكم بمفردي.. فوافق عمه.. ولم يعارض في شأن سفرهم..

وعاد الشاب الى أمه.. فأخبرها بكل ماجرى.. وما سمع

وما رأى.. وقال لأمه لقد تقززت نفسي عندما رأيت المكان الذي زفت إلي فيه.!!

ولذلك هربت من عندهم أنا ومن معي منذ الصباح الباكر.. بعد أن وعدتهم بأنني سوف أعود اليهم في وقت قريب..

وعلمت والدة العريس أن ماوقع كله من كيد زوجة الأب.. فطيبت خاطر ولدها.. وقالت له إنك على صواب فيما فعلت.. والخير إن شاء الله فيما اختاره الله.!!

وبعد عدة أيام من هذا الكلام ذهبت أم العريس مع أحد أقاربها الى والد الفتاة التي تزوجها ولدها وأقنعته بأن يبعث معها زوجة ولدها.. فتمنع أول الأمر.. وقال إنه لابد أن يأتي هو ويأخذ زوجته بنفسه!!

إلا أن الأم أتت له بأعذار أقنعته فوافق على ارسال ابنته مع والدة زوجها..

وعادت الأم بزوجة ولدها.. ولكنها لم تخبره بعودتها ولم تسكنها معهم في دارها.. بل جعلتها في بيت جارة لها.. وأوصتها عليها بتأديبها وتهذيبها.. وبذلت لها كل ما يرضيها ويغريها.!! وكانت تزور زوجة ولدها في أكثر الأيام.. وتشرف على أحوالها.. وتشرف على تطورات حياتها.!!

ولم يمض وقت طويل حتى صارت الفتاة من أجمل نساء زمانها

وأكملهّن أدباً.. وأكثرهّن أناقة.. وأعملهّن بآداب الحديث.. وحقوق الجليس.!!

وفي يوم من الأيام البستها أم زوجها أحسن الملابس وزينتها بأفخر الحلي.. ثم قالت لها. خذي يابنتي هذه الملابس.. وأذهبي بها الى حديقتنا في المكان الفلاني فاغسليها ونظفيها.. ثم جففيها.. وبعد ذلك عودي بها الى البيت.!!

فرحبت الفتاة بالقيام بهذه المهمة.. فهي تعرف أن الحديقة لزوجها.. وأن كل من فيها من العمال تابعين لزوجها.. ولذلك فقد ذهبت الى هذه الحديقة.. وكأنها تنتقل من جانب منزلها الى الجانب الآخر.!!

وعندما وصلت الفتاة الى الحديقة شرعت في عملها منذ وصولها.. فقد قصدت البركة.. أو على الأصح الساقي الذي يخرج من البركة.. وشرعت في غسل الملابس التي معها.. وعندما انتهت من غسلها قامت وبحثت عن مكان مشمس فنشرت فيه الملابس..

وفي هذه الأثناء من جيئة الفتاة وذهابها.. رآها الموكل على شئون الحديقة.. فبهره جمالها.. وكاد أن يغمى عليه من شدة تأثير مارأى.!!

وانتهت الفتاة من مهمتها.. وعادت الى بيت جارة عمتها أو أم زوجها..

ثم صارت هذه الفتاة تذهب في كل أسبوع مرة فتغسل بعض الملابس.. وتتجول في الحديقة.. وتقطف منها بعض الزهور.. وتجني منها بعض الثمار.. فلا تجد أي معارضة.!!

وذهب وكيل الحديقة الى سيده.. وأخبره بقصة هذه الفتاة.. وماتتمتع به من جمال باهر.. كما أخبره بأنها تأتي في يوم الجمعة من كل أسبوع..

وسمع الشاب كلام وكيله على الحديقة.. وهو بين المصدق والكذب.. فقد تكون نظرة الفلاح وذوقه مخالفةً لنظرة الأشراف من أمثاله.!!

وكاد أن يتجاهل ما أخبره به الفلاح.. لولا أنه قال في نفسه:

وماذا يضيرني لو ذهبت الى الحديقة يوم الجمعة.. ورأيت ما رآه وكيلي.. وطردت الشك باليقين.. فليس الرائي كالسامع.. وليس الخبر كالمعاينة.؟!

وذهب الشاب الشريف الى حديقته يوم الجمعة وبقي يتجول داخل الحديقة انتظاراً لمجيء تلك الفتاة.. وعندما حان موعد مجيئها.. رآها من بعيد.. فاختفى وراء بعض الأشجار.. في مكان قريب من الساقي الذي تغسل فيه الملابس..

وجاءت الفتاة على طبيعتها.. وجلست في المكان المعتاد..

وأخذت في تنظيف مامعها من الأثواب.. وعندما انتهت من ذلك قامت لنشرها وتجفيفها.. والشاب الشريف يراها من حيث لاتراه..

فرآها مقبلة.. ورآها مدبرة.. ورآها جالسة ورآها واقفة.. ورأى حركاتها وسكناتها.!!

وكاد الشاب أن يجن من جميع ما رأى.. ولم يستطع الحراك من مكانه في ذلك اليوم..

وانتهى عمل الفتاة.. وجفت الملابس فجمعتها ولفتها في قطعة منها.. ثم عادت أدراجها الى البيت الذي تسكن فيه..

هذا والشاب الشريف كان لايزال في مكانه في الحديقة.. يفكر كيف يتكلم معها في المرة القادمة.؟! كيف يعرف اسمها.؟! كيف يعرف أهلها.؟! وهل يمكن أن تجيب على اسئلته.. وأن تفصح عن هويتها.؟! ومن أين جاءت.. والى أين تعود.؟!

وبقي الشاب الشريف طيلة أيام الأسبوع يفكر في أفضل الطرق للتعرف على هذه الفتاة.. لا لأمر يسيء الى دينه أو أخلاقه.. ولكن ليتزوج بها.. وليربط حياته بحياتها..

وجاءت الجمعة التالية.. وصمم الشاب الشريف أن يكلم فتاته.. وأن يحاول التعرف عليها وعلى أهلها..

وقرب موعد مجيء الفتاة.. فاختفى في مكانه المعتاد..



الشريف يراقب الفتاة.. ويهيم بحبها

وجاءت الفتاة على عادتها.. وجلست حيث كانت تجلس.. وشرعت في عملها الذي جاءت من أجله..

وعندما قامت لنشر الملابس تقدم اليها يدفع نفسه بقوة وشجاعة.. وقد رسم في مخيلته ما سيقول لها.. وجواب ما ستقول له..

وعندما قرب منها سلم عليها.. فنظرت اليه بحذر.. وأراد أن يجاذبها أطراف الحديث.. فلاذت بالصمت.. وألح عليها بالسؤال عن اسمها وأسرتها.. ولكنها لم تجبه بشيء.. يعرف به شيئاً عن أصلها ومنبتها.؟!

وظن الشاب أنها قد ظنته ذئباً من ذئاب البشر. يريد أن يفترسها فأراد أن يزيل هذه الوساوس عن نفسها.. فأخبرها أنه لايريد بها شراً.!!

وتكلمت الفتاة بعد طول انتظار.. وقالت له بعبارة ساذجة مختصرة :ـ

إنني لن أخبرك باسمي واسم اسرتي حتي تعطيني رطباً من رطب تلك النخلة.. ثم أشارت بيدها الى نخلة سحوق.. قد ملأ الرطب حجرها.!!

فلم يكن من الشاب إلا أن يتخفف من ملابسه ثم يصعد الى أعلا تلك النخلة.. وعندما وصل أعلاها.. وشرع في جني

التمر.. أخذت ملابسها ثم عادت مسرعة الى البيت.!!

ونزل الشاب بعد أن ملأ جيوبه رطباً.. وبحث عنها فلم يجدها.. وسأل عنها وكيله على الحديقة فقال إنها خرجت مسرعة عندما وصلت الى أعلا النخلة..

وعلم الشاب الشريف أن الفتاة خدعته وشغلته بالصعود الى رأس النخلة لتتخلص منه.. ولتتمكن من الهرب.. وهي آمنة من لحاقه بها.!!

وازداد تعلق الشريف بهذه الفتاة.. وصمم على معرفة أهلها.. إذا لم يسطع معرفة اسمها..

وانتظر على أحر من الجمر حتى جاء يوم الجمعة.. فبقي في الحديقة يترقب مجيئها.. كالمعتاد. وجاءت الفتاة على عادتها وانهت عملها.. والشريف يراقبها.. ويراها من حيث لا تراه.. ولا يحاول أن يكلمها أو يتحرش بها.. فهو لايريد بها سوءاً.. ولا يقصد من وراء التعرف بها إلا أموراً لاتنا في الوقار.. ولا تقدح في الشرف.!!

ولهذا فقد تبع أثرها عندما انصرفت من الحديقة.. وكان حذراً في متابعتها.. بحيث لاتعرف الفتاة منه ذلك، كما أن أي شخص يراه لا يشعر بهذه المتابعة..

ودخلت الفتاة في بيت ليس بعيداً عن بيته وبيت والدته..

ففرح فرحاً شديداً . . فوالدته لابد أن تكون تعرف هذه الفتاة . .
وتعرف أهلها معرفة تامة . .

وانزاح عن قلب الشريف هم ثقيل كان يكاد يكتم أنفاسه . !!

وفاتح والدته في شأن هذه الفتاة . . وأخبرها بالبيت الذي دخلت فيه . . وطلب منها أن تتعرف عليها . . وأن تتعرف على أهلها . . فإذا كانت غير متزوجة ولا مخطوبة فإنه يرغب في خطبتها . !!

وارتاحت والدة الشاب بتعلق ولدها بهذه الفتاة . . ولكنها كتمت ارتياحها . . ووعدت ابنها بكل خير . . وبعد مضي يوم أو يومين . . أخبرت ولدها . . بأنها عرفت الفتاة . . وعرفت أهلها . . ومدحت الجميع لولدهاولكنها أردفت ذلك قائلة :

إنهم ليسوا من الأشراف . . وقد كنت قلت لي سابقاً إن الشريف لايتزوج إلا من شريفة . .

فقال الشاب لوالدته إن هذا تقليد قديم . . وعادة من عادات آبائنا وأجدادنا . . وهو تقليد بال . . قد اقتنعت أخيراً برفضه والتخلي عنه . .

فقالت له والدته مادام الأمر كذلك . . فأنا سوف أبحث عن أخلاق الفتاة بدقة . . وأسأل عن سلوكها . . وأختبر عقلها

وتفكيرها.. ثم بعد ذلك أخطبها لك.. أو أصرف النظر عنها..

وتظاهرت والدة الشاب الشريف بأنها قامت بهذه الأمور واطمأنت الى أنها زوجة تصلح لولدها.. وأنها خطبتها فوافق أهلها.. وأنه تقرر عقد الزواج وزفافها اليه بعد أسبوع..

وقال الشاب لوالدته إنه لاصبر لدي أن أنتظر لمدة أسبوع.. إنني أريد الزواج بعد ليلة أو ليلتين فوعدته والدته بأن تقنع أهل الفتاة بذلك.!!

وبعد ليلتين عمل عقد صوري.. وزفت الفتاة.. الى ذلك الشاب.. والفرحة تملأ جوانحه.. والسعادة تشع من أساريره.!!

وجاء الصباح.. فانتقلت الفتاة الى بيت الزوجية وتفحصها الشاب ملياً.. وفكر في ابنة عمه التي تزوجها ثم هرب منها وهجرها.. هجراً طويلاً ولكنها قد تغيرت تغيرات جذرية في شكلها وفي حديثها وفي ملامحها.. وفي ملابسها.. وفي نظافتها.. وحسن هندامها.!!

وسأل والدته قائلاً أليست هذه هي إبنة عمي التي كنت قد تزوجت بها.؟!

فقالت والدته إنها هي.. ولكنك تزوجتها وهي صغيرة جاهلة.. والآن تكامل شبابها.. ونما جمالها.. حتى صارت متعة للناظرين..

وابتهج الشاب بما قالت والدته.. وأن هذه الزوجة هي ابنة عمه وأنها شريفة أصيلة الحسب والنسب.. فكان هو أبو أولادها.. وهي أم أولاده.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

لتركي بن حميد في وصف الدنيا

دنيــاك لـو تــوريـك يــوم مسـرة
صفق موج بقعي لـين تملا جرينها
مخلوطـة عسر الليــالي بيسـرهــا
صـروف الليالي دققت في طحينها
كم خير يجلي الصـدا عضه البلا
تضحـك له الـدنيـا وتخفي رطينها
يـا طـالب الـدنيــا وهي تستغــرك
كم فرقت من مرضـع عن جنينها
وجـربت أنـا حلو الليـالي ومرهـا
وأزريت أميــز عيهـا من سمينهــا
وأنـا حـالف لبيعهـا بيـع مـرخص
معيف ولـو غيري غـدوا مشترينها
ســوى مهـرة قبـا وسيف مجـرب
وشلفى اللقــوات العـــدا محتسينهــا
ومنـاسف يعدا بهـا كـل سـاعـه
بـامــر الــولي يلقــونها محترينهــا

سالفة :

٢٤ - محسن الهزاني .. مع محبوبته هيا ..

محسن الهزاني شاعر غزل.. من عائلة لها مكانة ويسار.. ولذلك فإن معظم شعره في الغزل والاخوانيات وهو كغيره من الشعراء الذين قال الله عنهم :-

«ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . . وأنهم يقولون مالا يفعلون»

هذا الشاعر فيه أوجه شبه بينه وبين شعراء الغزل الأقدمين مثل عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة . . وكثير عزه . !! كما أن له قصة تشابه قصصهم مع محبوباتهم . . إن لم يكن من كل وجه . . فهي تشابهها من بعض الوجوه . .

وهذه القصة هي كمايلي :-

يقال - والله بصحة مايقال : إن محسن الهزاني أحب واحدة

من بنات الفلاحين تدعى هيا.. وصار يتغزل فيها.. وتنتشر قصائده في محاسنها.. وسحر جمالها.!!

ولكنه لم يستطع القرب منها.. لأن والدها علم بهيام محسن بها فشدد الحراسة على ابنته.. التي يسكن وإياها في إحدى البيوت داخل حديقته التي يحيط بها سور من جميع جهاتها.. ولا سبيل الى دخول هذه الحديقة إلا مع الباب.!!

والباب موصد لا يدخل معه أحد إلا بإذن.. إذا كان معروفاً.. وكان والد هيا محبوبة محسن يسقي حديقته من بئر مشتركة بينه وبين فلاح آخر.. وكان لهذه البئر فرغان ـ أحدهما للشريك والآخر لوالد هيا.. محبوبة محسن الهزاني..

وكان والد هيا يتوق الى قضاء فرضه بأداء الحج الذي هو ركن من أركان الأسلام.. ولكنه يخشى على إبنته من محسن إذا غاب تلك الغيبة الطويلة.. لأن طريق الحج شاق وطويل يستغرق الشهر وأكثر..

وكانت وسيلة المواصلات هي الجمل.. ولا شيء غير الجمل.. وفي سنة من السنوات سأل أحدهم والد هيا ألا يرغب في الحج.؟! ألا يؤدي مابقي عليه من أركان الإسلام.؟!

فقال والد هيا إنني شديد الرغبة في ذلك.. ولكنني لن أحج حتى يحج محسن الهزاني.!!

وبلغت كلمة والد هيا محسناً.. فتظاهر بأنه يريد الحج..

وفعلاً اشترى راحلة.. وبدأ في إحضار مايلزمه في طريقه الى الحج..

وكان الحجاج في تلك الأزمان يتكتلون.. ويسيرون جماعات.. جماعات.. خوفاً من اللصوص الذين يغيرون على الضعفاء،.. ويسلبون أموالهم.. وإذا أرادوا أن يدافعوا عن أنفسهم أزهقوا أرواحهم.!!

وعندما علم والد هيا بعزم محسن على الحج.. صمم هو أيضاً على الحج.. وبدأ في الإستعداد له..

وعندما تكاملت الاستعدادات للحج.. خرج الحجاج مجتمعين وساروا في طريقهم الى مكة..وكان في جملتهم محسن الهزاني.. ووالد محبوبته هيا.!!

وبعد أن ساروا في طريقهم خمسة أيام أو ستة كان محسن قد فكر في حيلة يتخلص بها من القافلة.. ليعود الى بلده.. ويلقى محبوبته.!!

ووردت القافلة على أحد موارد الماء.. فلم يكن من محسن إلا أن يأخذ مسماراً.. ويغرسه في خف راحلته.. حتى صارت تعرج.. ولاتمشي إلا بكل صعوبة.!!

ورأى رفاقه ماحل بناقته.. ورأوا أنه لايستطيع أن يرافقهم على تلك الناقة العرجاء..

فقال محسن لرفاقه اذهبوا في طريقكم.. وسوف ألحق بكم.. بعد أن أعالج ناقتي.. أو أشترى ناقة غيرها..

وهكذا تخلص محسن من رفاقه فساروا في طريقهم الى مكة.. وتركوا محسناً على الماء..

ولكنه لم يبق على الماء.. بل أخرج ذلك المسمار من خف راحلته.. ثم كرّ راجعاً الى بلده.. الى حيث تقيم محبوبته هيا.!!

ولم يكن هناك طريق إليها إلا طريق البئر.. فنزل الى قاع البئر من أحد الفرغين.. وصعد من جهة الفرغ الثاني الذي يصله بحبيبته.. وعندما رأته هيا دهشت وتعجبت وقالت له ألم تحج.؟! فقال نعم لقد حججت ولكن الأقدار حالت دون ذلك.!! وتكررت الزيارة.!!

وجاء الى حبيبته هيا ذات يوم وعندما أقبل سمع مشاطتها تغني بهذا البيت :

أصفر معصفر ليت محسن يشوفه

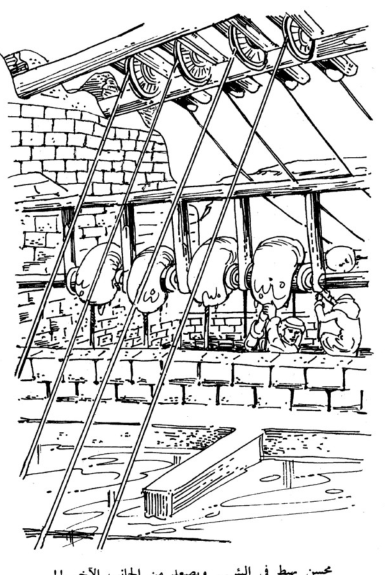
توه على حسب الغرض مابعد لمس

فأجابها محسن بهذا البيت :

ياما - عفا الله - جيت له في شفوفه

البارحه واليوم وأمس وقبل أمس

ثم قال محسن قصيدة يصف بها هذه المغامرة الفريدة من نوعها..



محسن يهبط في البئر.. ويصعد من الجانب الآخر.!!

نختار منها هذه الأبيات :ـ

برق تلالا قلت عز الجلال
واثره جبين صويحبي وأحسبه برق
حولت مع فرغ جديد الحبال
ورقيت مع فرغ تراطن به الورق
غصب على الكالف وراعي الحلال
والثالث الملحاق في لحيته ذرق
مبسم هيا له بالظلام اشتعال
وبين البروق وبين مبسم هيا فرق
وروشن هيا له فرجة من شمال
وباب مع القبله وباب مع الشرق

ويمضي الشاعر في قصيدته يصف جمال حبيبته.. ورقتها.. ويصف المكان الذي تسكنه.. ويصف الجو الذي تعيش فيه.!!

وهذه القصة تذكرنا بقصة لجميل بثينة مع محبوبته.. حيث ذكر صاحب كتاب الأغاني إحدى مغامراته التي قد يكون مزج فيها الخيال بالحقيقة وقد مزجت فيها الحقيقة بالخيال.. وقد تكون القصة من نسيج الخيال جملة وتفصيلا..

وأنا أوردها هنا من باب التفكه والإيناس.. والذي جرنا اليها تداعي الأفكار بالشيء يذكر.!

قال صاحب الأغاني :ـ

«إن جميلاً رصد بثينة ذات ليلة حتى إذا صادف من القوم غفلة تنكر ودنا منها وذلك في ليلة ظلماء، ذات رعد وبرق وريح. !! فحذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها.. ففزعت.. وقالت والله ماحذفني في هذا الوقت بحصاة إلا الجن..

فقالت بثينة وقد فطنت: انصرفي ياأخيه الى منزلك حتى ننام.. وبقي مع بثية أم الجسير وأم منظور.. فقامت بثينة الى جميل.. فأدخلته الخباء معها.. وتحدثا طويلاً.. ثم اضطجع.. واضطجعت الى جنبه.. فذهب النوم بهما حتى أصبحا.!!

وجاء غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به زوجها اليها.. فرآها نائمة مع جميل.. فانصرف وعاد أدراجه ليخبر سيده بما رأى.!!

ورأته ليلى.. وقد عاد بالصبوح.. وهي تعرف خبر بثينة وجميل.. فاستوقفته.. وكأنها تسأله عن حاله.. وحال سيده وسيدته.. وبعثت جارية لها الى بثينة لتأخذ حذها.!!

وذهبت الجارية فنبهتها.. فلما تبينت بثية الصبح قد أضاء والناس منتشرين.. ارتاعت.. وقالت ياجميل نفسك.!! لقد جاء غلام نبيه بصبوحي من اللبن فرآنا نائمين..

فقال لها جميل وهو غير مكترث بما خوفته منه :-

لعمرك ماخوفتني من مخافة

بثين ولا حذرتني موضع الحذر

وأقسم لا تلقى لى اليـوم غـرة
وفي الكف مني صارم قاطع ذكر

فأقسمت عليه بثينة أن يلقي نفسه تحت النضيد.. وقالت إنما أسألك ذلك خوفاً من الفضيحة.. لا خوفاً عليك.!! ففعل ذلك.. نامت كما كانت.. وأضجعت أم الجسير إلى جانبها.

وذهبت خادمة ليلى اليها فأخبرتها الخبر وأنها بلغت الرسالة فتركت العبد يمضي الى سيده.. فمضى والصبوح في يده.!!

فقال إني رأيت بثينة مضطجعة مع جميل.. فذهب زوجها الى أبيها وأخيها.. فأخذ بأيديهما.. وعرفهما الخبر.. وجاءوا بأجمعهم الى بثينة وهي نائمة.. فكشفوا عنها الثوب.. فإذا أم الجسير الى جنبها نائمة.!!

فجعل زوجها يسب عبده.. وأبو بثينة وأخوها يسبان زوج بثينة.. وقالت بثينة لأبيها وأخيها :-

عجباً لكما أفي كل يوم تحاولان أن تفضحا فتاتكما.؟! ويلقاكما هذا الأعور بكل قبيح.؟!

وأقام جميل عند بثينة حتى أجنه الليل.. ثم ودعها وانصرف.!!

كما تذكرنا هاتان القصتان بقصة مشابهة لهما تحكى عن عمر ابن أبي ربيعة.. قصها علينا كتاب الأغاني حيث قال:-

بينما ابن عباس رضي الله عنهما في المسجد الحرام.. وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألون (عن بعض أمور الدين) إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين حتى دخل وجلس.!!

فأقبل عليه ابن عباس وقال أنشدنا.. فأنشده عمر قصيدته التي مطلعها :-

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أو رائح فمهجر

حتى أتى على أخرها..

فأقبل نافع بن الأزرق على ابن عباس.. وقال إننا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصي البلاد لنسألك عن الحلال والحرام.. وتتثاقل عنا.. ويأتيك مترف من مترفي قريش فينشدك :-

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت
فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ابن عباس ليس هكذا قال.

فقال له ابن الأزرق.. وماذا قال

فقال ابن عباس إنه قال :-

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت
فيضحى وأما بالعشي فيخصر

فقال ابن الأزرق ما أراك إلا قد حفظتها.؟! قال أجل..

وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها . . قال فإني أشاء .

فأنشده ابن عباس القصيدة حتى أتى على آخرها . !! ثم بدأ من آخرها حتى أتى أولها يقرأها مقلوبة . !!

ومن أبيات هذه القصيدة التي يحكى بها مغامرته الغرامية قوله : ـ

وليلة ذي دوران جشمني السرى
وقد يجشم الهول المحب المغرر
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت
مصابيح شبت بالعشاء وأنؤر
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه
وروح رعيان ونوم سمر
ونفضت عني النوم أقبلت مشية
الحباب وركني خشية القوم أزور
فحييت إذ فاجأتها فتولهت
وكادت بمخفوض التحية تجهر
فيا لك من ليل تقاصر طوله
وما كان ليلي قبل ذلك يقصر
ويا لك من ملهى هناك ومجلس
لنا لم يكدره علينا مكدر
فما راعني إلا مناد ترحلوا
وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تنبه منهموا
وأيقاظهم.. قالت أشر كيف تأمر؟!
فقلت أباديهم فأما أفوتهم
وإما ينال السيف ثأراً فيثأر
فقالت أتحقيقاً لما قال كاشح
علينا وتصديقاً لما كان يؤثر؟!
وقالت لأختيها أعينا على فتى
أتى زائراً والأمر للأمر يقدر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا
أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر
فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفي
ودرعي وهذا البرد إن كان يحذر
يقوم فيمشي بيننا متنكراً
فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجني دون من كنت أتقي
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر..

وهكذا يمضي الشاعر في وصف مغامرته للقاء حبيبته.. ويصف ورطته في هذا اللقاء.. وكيف نجا بجلده من تلك الورطة التي كاد أن يفتضح فيها.. ويفضح حبيبته..

وأخيراً فإننا نرى أن التاريخ يعيد نفسه فيخرج إلينا آخر الزمان شاعر هو محسن الهزاني.. فيصف لنا مغامراته الغرامية..

والخيالية أيضاً.. ويجسدها في صور براقة جذابه.. نقرأها في بهجة وسرور.. ونتخيل تلك الأجواء التي عاشها الشاعر وطرب لها.!!

فنعيشها معه.. ونطرب لها.. كما طرب لها الشاعر.. ونعيش تلك الأجواء بخيالاتنا كما عاشها الشاعر.!!

ولا تعجبوا أيها القراء فقد يكون الخيال في كثير من الأحيان أجمل من الحقيقة.. وقد نسعد بالخيال أحياناً أكثر ما نسعد بالواقع.!!

وما ذاك إلا لأن المرء خلق سئوماً ملولاً فإذا سئم الواقع لجأ إلى الخيال.. وإذا سئم الخيال لجأ إلى الحقيقة.!!

ولذلك قال الشاعر: -

لا يصلح النفس ما كانت مدبرة
إلا التنقل من حال إلى حال

وكل حال إلى زوال.. فسبحان الحي القيوم الذي لا يحول ولا يزول.!!

ولا تغيره الليالي والدهور.. يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.!!

سالفة:-

٣٥ - في تعامل بعض الازواج مع زوجاتهم

«رويت هذه السالفة عن أبي معاوية حمد الحنطي.. عن الزوجة المطيعة. والزوجة الماكرة.. وكتبتها بحسب ما علق بالذاكرة»

كان يا مكان في قديم الزمان يوجد تاجران.. يسكنان في قريتين متجاورتين لا يفصل بينهما إلا خليج من خلجان البحر.. وكان هذان التاجران يتعاونان في تجارتهما بروح من الأخوة والمحبة والصفاء.. ولذلك فان كل واحد منهما يعتبر الآخر أخاً لم تلده أمه.. وكان احدهما يدعى منصوراً.. والآخر يدعى سالماً.. وقد تزوج كل واحد من هذين التاجرين.. وكان كل واحد منهما له شخصيته الخاصة في داخل بيته.. وله اسلوبه الخاص في تعامله مع زوجته..

فأما الأول واسمه منصور فقد كان له شخصية مهيبة.. ورأي حازم.. وتدبير حكيم في تعامله مع الناس ومع زوجته..

ولهذا فقد كانت زوجته تهابه لا عن قسوة.. وتحترمه لا عن خوف او رجاء..

ولكن احترامها ومهابتها ناشئة عن حبها له اولاً.. وعن احترامها لشخصيته القوية.. ومكانته الاجتماعية.. وحسن تدبيره في جميع الامور..

وأما صديقه سالم.. فقد كان يختلف عنه في طريقة تعامله مع زوجته.. فقد ترك لها الكلمة الأولى والأخيرة في بيتها.. سواء في ذلك ما كان صواباً.. وما كان شاذاً.. وكانت شخصيته تذوب امام شخصيتها.. فكلمتها مسموعة مهما كانت شاذة.. وطلبها مجاب مهما كان فيه من تعسف..

ولهذا فقد كانت هي الحاكمة بأمرها.. وهي المسيطرة تمام السيطرة في بيتها.. وقد تعدو هذه السيطرة شئون البيت.. فتفرض على زوجها بعض الأمور التي تخالف رأيه فيستجيب لها ـ مكرها ـ وذلك حفاظاً على الود والانسجام والهدوء الذي لا تحلو الحياة إلا به في حياة الأسرة..

واستمرت الحياة بهذين التاجرين.. ورزق منصور من زوجته مولوداً ذكراً سماه محمداً..

كما رزق سالم من زوجته مولودة أنثى سماها سلمى..

ثم قدر الله منصور فأصيب بمرض مفاجىء انتقل بسببه إلى الدار الآخرة.. وخلف زوجته وولده محمداً.. وخلف لهما ثروة طائلة..

وسمعة طيبة.. ومكانة رفيعة بين الناس.. وقام محمد على تجارة والده خير قيام.. وتولى شئون اسرته.. كما كان والده يفعل..

وبلغ محمد سن الزواج.. وتطلع يمينه وشماله بحثاً عن شريكة الحياة.. وفاتح أمه في هذا الشأن فهو يعرف ان أمه أعرف بالنساء منه.. كما أنه يعرف أن والدته قد مر عليها من التجارب الشيء الكثير من الأمور التي قد تكون مارست بعضها وشاهدت البعض الآخر او سمعت به..

وقالت والدة محمد لولدها لماذا يا ولدي لا تذهب الى سالم صديق والدك فتخطب منه ابنته التي قد بلغني أنها قد بلغت سن الزواج.. كما بلغني أنها فتاة جميلة وعاقلة.. ولن يمانع والدها في زواجك منها.. ولا سيما أنك ابن صديقه..

واقتنع محمد برأي والدته.. ووافق عليه.. واتفق هو وبعض اصدقائه.. أن يذهبوا إلى تلك القرية المجاورة لقريتهم.. فيخطب من صديق والده ابنته التي وصفتها له والدته..

وأعد محمد وأصحابه قارباً عبروا به ذلك الخليج.. وسكنوا في احد الفنادق.. ثم ذهب محمد إلى صديق والده سالم في حانوته وسلم عليه.. وعرفه بنفسه فعرفه.. وتذكر والده فترحم عليه.. وذكر بعض صفاته ومزاياه الحميدة..

وقال لمحمد إن والدك صديق العمر فقد كان من لداتي..

وقد كافح في سبيل الحياة كما كافحت.. وكونا لأنفسنا مكانة مرموقة بين أهلنا ومواطنينا.. وإني أرجو أن يستمر التعاون بيني وبينك كما كان في حياة والدك..

وأجاب محمد بأن التعاون سوف يستمر.. وأنه جاء لتوثيق الروابط بما هو أعز وأسمى من المال وهو خطبة ابنته سلمى.. فتهلل وجه سالم.. واظهر الرضا والقبول..

وقال إنني لن أجد لابنتي زوجاً افضل منك.. ولكن أمر الفتاة بيد والدتها.. أكثر مما هو بيدي فاذهب إلى والدة الفتاة.. وفاتحها في الموضوع بعد أن تعرفها بنفسك.. واياك أن تعلم أم سلمى بأنك جئت الي.. او كلمتني في هذا الشأن.. واذا اردت مشورتي فاني انصحك ان لا تتزوج بسلمى.!!
فقال محمد ولماذا.؟!
فقال سالم إن أمها من طبيعتها أن تسيطر على كل شيء في البيت وخارج البيت.. واخشى أن تكون سلمى قد تأثرت بأخلاق أمها.. فتلقى من سلمى كما لقيت أنا من أمها.!!
فقال محمد إنني اقبلها زوجة حتى ولو كانت متأثرة بأخلاق أمها..
فقال سالم إذاً فاذهب موفقاً الى أمها واخطبها منها..

وذهب محمد إلى أم سلمى.. وسلم عليها وعرفها بنفسه.. فعرفته.. وقال محمد إني قد جئت اليك خاطباً ابنتك سلمى.. فقالت أم سلمى إن أمرها بيد والدها.. فاذا وافق على زواجك منها فليس عندي مانع من ذلك..

فقال محمد لأم سلمى لقد بدأت بك أنت أولاً لانك والدتها وأقرب الناس اليها.. وما دمت موافقة على زواجي منها فإنني سوف أذهب إلى والدها وأخطبها منه..

وتمت الخطبة.. ومهدت جميع الأمور لهذا الزواج..

وعاد محمد إلى قريته ليعد بيت الزوجية.. وليختار الهدايا لأم سلمى وأقاربها..

وبعد أيام قلائل عاد محمد إلى صديق والده فقدم له مهر سلمى.. وقدم له الهدايا والمجوهرات لسلمى وأمها..

وعقد عقد النكاح.. وزفت سلمى إلى زوجها في حفل بهيج.. وأغان وضجيج.!!

وأقام محمد عند زوجته ثلاثة أيام.. ثم عزم على العودة بزوجته إلى بلده..

وكان قد أعد قارباً ليعبر عليه هو وزوجته ذلك الخليج الى بلده.. كما أنه قد أعد في هذا القارب كلباً وقرداً وسيفاً..

ومشى الجميع إلى ساحلالخليج.. وركبت سلمى وركب زوجها.. وعندما رأت أم سلمى إبنتها سوف ترحل وتتركها.. قالت لمحمد خذوني معكم.. لأرعى ابنتي وأساعدها في شئون بيتها الجديد.. وأطمئن على حسن تدبيرها.. ولو لعدةأيام..

فقال محمد إنه لا داعي لأن تتركي زوجك وتذهبي مع ابنتك فأنا سوف أكون لسلمى بمثابة الأم والأب والزوج المحب الشفيق.. فثقي واطمأني بأن سلمى قد انتقلت من أيد أمينة.. إلى أيد لا تقل عنها أمانة..

ثم قال محمد لحماته.. إنها كلها أيام قلائل ثم أدعوكم إلى زيارتنا في بلدنا لتتحققوا من صدق ما أقول..

وسار القارب متوغلاً في ذلك الخليج.. ووقف أبو سلمى وأم سلمى يتابعون القارب بأعينهم وقلوبهم.. لأن فيه فلذة من فلذات أكبادهم.. وعندما انتصف القارب في ذلك الخليج.. توقف.؟!

وسأل محمد صاحب القارب.. لماذا توقف مع أن هذا التوقف كان شيئاً متفقاً عليه بينهما.؟!

فقال صاحب القارب.. لقد خرب قاربنا ـ وليس أمامنا إلا أن نقطع بقية المساحة سباحة.. وأطلق محمد الكلب فأمره بأن يتقدمهم.. ويقطع بقية الخليج سباحة..

ولكن الكلب تردد في تنفيذ الأمر.. فلم يكن من محمد إلا أن يسل السيف ثم يضرب به الكلب حتى قده نصفين.!!

ثم أمر محمد القرد بأن يقذف نفسه في الخليج وأن يعبر إلى الساحل سباحة.. وقذف القرد نفسه في الماء.. وصار يسبح حتى وصل إلى بر الأمان..

وبعد هذا أمر محمد زوجته بأن تعبر بقية الخليج سباحة.. فخافت وتمنعت في أول الأمر.. ولكن محمداً أعاد إليها الأمر في قوة وصرامة.!! فخافت من مغبة العصيان.. ولم يكن منها إلا أن تلقي نفسها في الخليج.. وتحاول أن تعبر بقيته إلى ساحل الأمان سباحة.. ولكن أعصابها خانتها.. وخارت قواها.. وكادت أن تغرق.. لولا أن محمداً.. أسرع وأنقذها من الغرق.. وقادها إلى ساحل الأمان.!!



الزوج يقد الكلب نصفين أمام زوجته الجديدة

كل هذه المشاهد كانت بمرأى أبو سلمى وزوجته..

ووصل محمد وزوجته سلمى إلى بيت الزوجية.. واستقر بهما المقام.. في ظل الرعاية والإكرام.. وسلمى تمثل دور الزوجة المحبة المطيعة.. التي تؤدي واجبها وتحب زوجها وتحترمه.. وفي نفس الوقت تحقق رغباته.. ولا تعصي له أمراً.. ومحمد في نفس الوقت يكرمها.. ويحقق جميع طلباتها المعقولة.. ويرفض ماعدا ذلك..

ومضى الشهر الأول والثاني.. وقال محمد لزوجته ما رأيك يا سلمى لو دعونا والدك ووالدتك لزيارتنا.. والإقامة معنا عدة أيام لتأنسي بهم.. وليطمئنوا على راحتك وصحتك.؟!

فحبذت سلمى هذه الفكرة.. فهي في شوق إلى رؤية والديها.. والأنس بقربهم.. ولو بعض الوقت..

ووجه محمد الدعوة إلى والد زوجته ووالدتها فقبلوا الدعوة.. ولبوها مسرعين.!!

وعندما جاءوا استقبلهم محمد وزوجته بالبشاشة والترحاب.. وأكرموهم غاية الإكرام..

ورأى الوالدان أن سلمى تحب زوجها حباً جماً.. كما أنها تحترم أوامره.. وتراعي مشاعره.. وتحرص على راحته.. وتحقيق رغباته بشكل ملحوظ حتى أنه إذا نام في أوقات راحته.. بقيت بالقرب منه بحيث تسمع صوته لو ناداها.. وتحضر طلباته متى اشتهاها..

وكانت من حرصها على راحته.. تطلب من والديها أن لا يرفعوا أصواتهم بالحديث إذا نام لئلا يزعجوه.. وأن لا يتحدثوا عن مشاكلهم الخاصة عنده حتى لا يكدروا مزاجه.

وعجبت أم سلمى ووالدها من الأسلوب اللطيف الذي تعامل به سلمى زوجها.. والحرص الشديد على رعاية شئونه.. في حال صحوه ومنامه..

والذي أعجب بهذا الأسلوب أكثر من غيره هو أبو سلمى.. الذي يرغب أن تعامله زوجته كما تعامل ابنته زوجها.. بحيث تطيع أوامره ولا تتدخل في بعض الشئون التي لا علاقة للمرأة بها.. ولا تدخل أنفها في المكايدات.. والمنازعات التي تعكر جو الأسرة.. وتجعل من عش الزوجية جحيماً لا يطاق.!!

وفي ذات يوم خرج أبو سلمى مع زوج ابنته محمد يتجولون في البلدة ويشاهدون منتزهاتها.. وقال أبو سلمى لزوج ابنته إنني معجب بالطريقة التي تتعامل بها مع زوجتك.. وتتعامل بها زوجتك معك.. وهذا الاحترام المتبادل بينكما..

وإني أرغب أن يكون لي من الهيبة أمام زوجتي مثل مالك من الهيبة أمام زوجتك.. وإنني أريد أن أسلك نفس الطريق الذي سلكته.. وأجرب نفس التجربة التي أراك تجني ثمارها.. فقال محمد لقد استوحيت هذه الطريقة من حياة والدي.. وطريقة تعامله مع والدتي..

وفعلت أول ما فعلت تلك التمثيلية التي شاهدتها عندما أردنا

أن نعبر الخليج . . وبدأت حياتنا بتلك الطريقة التي فيها شيء من القسوة والوحشية بالنسبة إلى ذبح الكلب المسكين الذي سفكت دمه بلا ذنب جناه . . ولا خطأ ارتكبه . !!

ثم بقيت هكذا حازماً مع زوجتي أوفر لها حقوقها وأوفر لها الاحترام الذي يجب أن يسود بين زوجة وزوجها . . ولكني لا أتيح لها الفرصة أن تتدخل في الشئون التي تخصني كرجل . !!

وبهذا عرفت طريقها كامرأة . . وعرفت طريقي كرجل . . وعشنا كما ترى كل واحد فينا يقوم بدوره الذي هيأه الله له . .

فقال أبو سلمى إنني أريد أن أجرب مثل تجربتك . . وأسلك مع زوجتي نفس الطريق الذي سلكته . .

ولهذا فإنني أرجو أن تتفق مع صاحب القارب الذي ركبتم معه عندما رحلت بزوجتك أول مرة . . وأن تهيء لي كل الأمور التي هيأتها لنفسك في ذلك القارب . . لأعمل نفس هذه الطريقة أمام زوجتي . . فلعلها تنجح في تقويم سلوك زوجتي . . وطريقة تعاملها معي . !!

فقال محمد حباً وكرامة . . مع أنني أشك في نجاحها مع زوجتك . . لأن الرمح كما يقولون على أول ركزه . . وأظن أن هذه التجربة قد فاتت بالنسبة اليكما .

والمهم أن محمداً أعد لوالد سلمى كلما كان أعده لنفسه . .

وأرشده إلى الطريقة التي يتحتم عليه أن يتبعها.. والخطوات التي يترتب بعضها على بعض..

وانتهت أيام الزيارة.. وبدأ الزوجان الزائران يستعدان للعودة إلى بلدهما ومنزلهما..

وخرج محمد وزوجته سلمى ليودعا ضيفيهما.. وركب أبو سلمى وركبت زوجته.. وعندما توسطا ذلك الخليج توقف القارب..
وقال صاحبه لقد خرب.. وعلينا أن نقطع بقية المسافة سباحة..
وأخذ أبو سلمى السيف ثم سله.. وأطلق الكلب وأمره أن يعبر الخليج سباحة فلم يفعل فضربه بالسيف وقده نصفين. ثم أطلق القرد وأمره بالعبور فقفز إلى ماء البحر.. وجعل يسبح إلى أن بلغ شاطىء الأمان..
وجاء الدور على زوجته وكان السيف لا يزال مسلولاً في يده..
فقال لها انزلي إلى الخليج واعبري إلى الشاطىء سباحة..
فنظرت إليه زوجته ببرود وتعجب... ولم تنفذ أمره.. وأعاد عليها الأمر ولكنها لم يرهبها السيف المسلول.. ولم يغير موقفها القائل ولا المقول..
بل إنها قالت له:
إذا كان لا بد لي من عبور هذا الخليج سباحة فلن يكون ذلك إلا على كتفيك..!!

قالت هذا الكلام وسكتت.. وبقيت في مكانها جامدة لا تتحرك..!!

وعندئذٍ علم سالم أن تجربته مع زوجته لم تنجح.. وأنه قد فات الأوان من أجل تقويمها وتعليمها.. وذلك بخلاف ابنته التي كانت شابة طرية.. قابلة للتأديب والتهذيب..

وخطر على باله قول الشاعر العربي القديم: -

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت
ولا تلين إذا كانت من الخشب

وأشار أبو سلمى إلى صاحب القارب بأن يتظاهر باصلاح قاربه.. ثم يسير بهم حتى يصل بهم إلى بر السلامة حتى لا تطالبه زوجته بأن تركب فوق كتفيه ليعبر بها الخليج.!!

وهكذا تختلف التجارب.. وتتعدد النتائج.. وكل ميسر لما خلق له.!!

وحملت وكملت وفي أصبيع الصغير دملت!!

سالفة:

٢٦ - قرص العيش .. وبنت شيخ القبيلة ..

كان أبو سلمى عقيداً في قومه لما يمتاز به من الشجاعة والكرم.. والحسب والنسب.. وكان من سكان جنوب الجزيرة العربية..!!

وفي ذات يوم ضاع له ثلاث من الإبل الأصائل التي يراها من أكرم ما يملك..

وصمم على أن يسافر في طلبها والبحث عنها في أي مكان كانت.. وكان في إمكانه أن يعتمد في البحث عنها على رجل آخر.. ولكن لحرصه على هذه الإبل قرر أن يبحث عنها بنفسه.. وأن لا يعتمد على غيره في هذه الهمة التي يرا أنه لن يستطيع أحد أن يهتم بها مثله..

وشد أبو سلمى رحله على إحدى النجائب التي لديه..
وسار إلى المكان الأخير الذي كانت ترعى فيه الإبل.. فوجد أثرها متجهة إلى جهة الشمال.. وصار أبو سلمى يقتفي أثرها الذي يظهر له تارة ويختفي عنه تارات..

ورأى أبو سلمى أن إبله الثلاث تتجه إلى جهة الشمال..
فسار في أثرها حتى ضرب في كبد الشمال.. يسير نهاراً.. ويحط رحاله ليلا..

وبينما كان ذات ليلة ينزل في أحد الوديان المخصبة ويوقد النار على قرص العيش الذي دفنه في الملة لينضج..

بينما كان كذلك وإذا به يسمع أصواتاً وضجيجاً وحركة قوم قد أقبلوا عليه لا يدري من يكونون.. إلا أنهم قادمون من جهة الشمال.!!

وكان بين قبائل العرب حروب وثارات ودماء وغارات..
وخاف أبو سلمى أن يكون هؤلاء القادمون من أعدائه فيقع في أيديهم أسيراً.. أو يقاتلهم فيسقط قتيلا.. لأنهم سوف يتكاثرون عليه.. والكثرة تغلب الشجاعة.. ولديهم من الإستعداد ما ليس لديه.. وبلده وأنصاره بعيدون عنه كل البعد..!

ولذلك رأى أبو سلمى أن يختفي عنهم.. وأن يترك لهم طريقهم حتى ينجو من هذه الورطة التي دهمته في ظلام الليل.!

وأراد أن يأخذ قرصه الذي تحت النار. ولكن قرصه لم ينضج بعد.. إنه لا يزال عجيناً.. وهو آخر ما معه من الدقيق.. فما كان نظن ن السير وراء إبله يمتد به إلى هذا الوادي..

وقرب منه القوم.. ورأى أن خير طريقة أن يهيل على قرصه التراب.. وأن يخفي آثار النار..

وهكذا فعل.. ثم اختفى غير بعيد عن مكان قرصه على أمل أن يمر القوم في طريقهم.. فإذا ابتعدوا عن مكان قرصه عاد إليه.. وأوقد عليه النار مرة ثانية.!

ولكن القوم عندما وصلوا إلى مكانه وجدوا أنه أفضل مكان لنزولهم.. فحطوا رحالهم.. وضربوا خيامهم.. ثم أخلدوا إلى الراحة والنوم.. في مكانهم الجديد.. بعد نزولهم بوقت قصير..

هذا وأبو سلمى يراقبهم. ويراهم من حيث لا يرونه وعندما هدأت الأصوات.. ونام السمار.. تسلل أبو سلمى في ظلام الليل لعله يجد مكان قرصه خالياً.. فيأخذه ويتعشاه..

إلا أن أبو سلمى وجد أن خيمة قد ضربت على مكان قرصه.. فقرب من تلك الخيمة في رفق وحذر.. وأطل في داخلها.. فإذا فيها امرأة قد فرشت فراشها فوق موضع قرصه.. وإذا هي تغط في نوم عميق..

فأيقظها أبو سلمى في هدوء ورقة.. وعندما رفعت رأسها



أبو سلمى يفاجىء الفتاة في خدرها ليأخذ قرص العيش

رأت رجلاً غريباً في داخل خيمتها. ! وعندما رأته الفتاة بهتت. . واستنكرت دخوله عليها في أواخر الليل. . وظنت به أسوأ الظنون. . وقالت له ما الذي جاء بك في هذه الساعة المتأخرة من الليل. ؟

فأجابها أبو سلمى بأنه لا يريد بها سوءاً. . وإنما هو ضيف. . وضيافته هي أن ترفع فراشها. . وأن تسمح له بأخذ قرصه الذي تحت الفراش. . والذي هو كل ما يملكه من طعام. !! وعندما سمعت الفتاة كلامه. . كانت بين المصدقة والمكذبة. . ولكنها طوت فراشها فبحث أبو سلمى تحته حتى أخرج القرص. . وقد استوى من حرارة الملة التي مكث فيها طويلاً. .

وصدقت الفتاة كلامه. . وعلمت أنه ما جاء إليها إلا مضطراً. . فذهبت وجاءت بقليل من السمن فخلطه بقرصه. . وجلس يأكل منه. .

وبينما كان هو والفتاة كذلك سمع الأب أصواتا وأخذاً ورداً في خيمة ابنته. .

وكان هو شيخ القبيلة. . وشك في ابنته. . وأن لها عشيقاً يلقاها وتلقاه في أخريات الليل. !

فذهب أبو الفتاة إلى أحد مماليكه. . وأيقظه ثم قال له إتبعني. . وأخذ كل واحد منهما سلاحه واتجها إلى جهة الخيمة. .

وعندما أطلا وجدا هذا الرجل الغريب في خيمة الفتاة..
وهي تتحدث إليه.. ويتحدث إليها.!

فلم يخامر الشيخ أي شك في أن ابنته قد خانته مع هذا
الرجل الغريب..

فأخرجها الشيخ من الخيمة ثم ساقها أمامه حتى ابتعد بها
عن مكان الحي.. ثم ألقوهما في بئر عميقة.. إلا أنه ليس فيها
ماء.!

وقال الشيخ لمملوكه. ألق عليهما من الحطب الآن حتى
يمتلىء البئر. فإذا هممنا بالرحيل غداً فأوقد النار عليهما.. ودعهما
يموتان حرقاً بالنار.!

وصار هذا المملوك يلقس الحطب في هذه البئر.. وصار
الرجل والفتاة كلما ألقى حزمة من الحطب صعدوا عليها.. وعندما
ملأ العبد البئر من الحطب كان لم يبق بين الرجل والفتاة إلا مسافة
قصيرة عن ظهر الأرض..

وعندما ذهب المملوك أزاح الرجل والفتاة ما فوق رؤوسهما
من حطب قليل.. ثم اختفوا في أحد الغيران.!

وقالت الفتاة للرجل إن مصيري الآن مربوط بمصيرك.. فأنا
أعرف أن والدي غيور على محارمه أشد الغيرة. وغضوب فلا يكاد
أحد أن يخاطبه إذا غضب.! أو يتفاهم معه..

وأنا سوف أتسلل إلى مكانه قبل طلوع الفجر.. فإن رأيته نائماً.. فإن غضبه قد هدأ.. وفي إمكاني أن أتفاهم معه.. وأوضح له موقفي وموقفك.. وسوف أقنعه بأن إجتماعنا صدفة.. وأنه لا ينطوي على أي ريبة.!

وإن رأيت والدي قد أوقد النار وجلس بجوارها وهو يأخذ السيجارة تلو السيجارة.. فهو في أشد الغضب والهياج.. ولا سبيل إلى التفاهم معه بأي طريقة كانت.. وفي هذه الحالة سوف أهرب معك.. وأربط مصيري بمصيرك.!

واتفق الإثنان على هذه المحاولة.. وذهبت الفتاة حتى قربت من خيمة والدها.. فإذا هو قد أوقد النار.. وجلس بالقرب منها.. يشرب الدخان ويشعل هذه من أعقاب تلك..

فعلمت الفتاة أنه في غاية الهياج.. وأنه لا سبيل إلى التفاهم معه.. فعادت أدراجها.. وبقيت مع هذا الشخص الغريب الذي لا تعرفه ولا يعرفها.!

وظهرت تباشير الصباح.. ونادى شيخ الحي بأن شدوا رحالكم من هذا المكان إلى مكان آخر قد يكون أكثر منه خصباً..

ثم أمر مملوكه بأن يشعل النار في الحطب.. ليحترق ويحترق من تحته.. وبعد ذلك رحلوا.. وأكد الشيخ على مملوكه بأن لا يخبر أحداً بشيء مما رأى وإلا كانت حياته هي الثمن لإفشاء سر الفتاة مع الرجل الغريب.!!

وأخبر الشيخ أهله بأن ابنته ذهبت في الليل لقضاء حاجة فأكلها الذئب فعليها رحمة الله وضوانه. !!

أما ما كان من أبي سلمى والفتاة. . فإن أبا سلمى فكر فيما وقع فيه. . وما أوقع فيه هذه الفتاة البريئة. . التي لا ذنب لها فيما جرى. . وقال في نفسه إنها خسرت أهلها بسببه. . وأن عليه أن يضحي في سبيلها فقد ربطت الفتاة مصيرها بمصيره. . عندما أحست بالخطر. !!

ورأى أبو سلمى أن يعود بالفتاة إلى أهله. . وأن يترك البحث عن الإبل الضائعة إلى وقت آخر. .

وعاد أبو سلمى أدراجه إلى مضارب قبيلته. . وعندما وصل إليهم نظروا إلى هذه الفتاة التي معه. . لقد ذهب يبحث عن إبله فعاد إليهم بفتاة غريبة. . ولم يعد بالإبل. !!

وسأله أهله عن هذه الفتاة. . فأخبرهم أنه وجدها هائمة في الصحراء فعطف عليها. . وأشفق. . وخاف عليها من الهلاك. . فترك إبله وعاد بها إليهم. . إلى أن يأتي أهلها. . ويتعرفون عليها. .

واقتنع السامعون بما قال أبو سلمى. . ورحموا الفتاة وعطفوا عليها. !

وأمر أبو سلمى أن تضرب لها خيمة بين بيوتهم. . كما أمر

بأن يضوي على بيتها قطيع من الغنم تشرب من لبنها.. وتهتم بصغارها.. ومعها راع يرعاها في النهار..

كما وفروا للفتاة جميع ما تحتاج إليه من طعام وشراب وكسوة.. ولم يعتبروها إلا واحدة من أفراد أسرتهم.. إلى أن يرد الله غربتها.. ويتعرف عليها أهلها.!

ومرت السنوات يتلو بعضها بعضاً إلى أن كاد أهل الحي أن ييأسوا من وجود أهل لهذه الفتاة.. فقد مضى عليها فيما بينهم قرابة سبع سنين.!

وعندما دخلت السنة الثامنة من وجود هذه الفتاة فيما بينهم.. أصيبت بادية الشمال بقحط وجفاف لا عهد لهم به.. حتى كادوا أن يهلكوا هم ومواشيهم.. وسمعوا وهم في هذه الحالة من الشدة الخانقة أن جنوب الجزيرة يعيش أهله في خصب وربيع حيث توالت عليهم الأمطار.. ونمت الأعشاب والأشجار ولذلك فهم يعيشون هم ومواشيهم في رغد من العيش.. وسعة من الرزق لا مثيل لها..

والبدوي بطبيعته يتبع الغيث حيثما نزل.. فالجزيرة العربية كلها بلاده..

صحيح أن هناك حدوداً وهمية لمنازل كل قبيلة.. ولكن الشدائد والدهور تدفع بعض القبائل عند جفاف بلادهم إلى تخطي هذه الحدود الوهمية وتتبع مساقط الغيث حتى ولو كان في بلاد

القبائل الأخرى كما قال الشاعر العربي:

إذا نـزل السـماء بـأرض قـوم
رعيناه ولـو كـانـوا غـضـابـا

ولكن هناك فرقاً بين رعي السلم ورعي الإغتصاب فإذا جاءت قبيلة إلى أرض قبيلة أخرى لترعى في أراضيها بطريق القوة والإغتصاب.. فإن الحرب تقوم بين القبيلتين.. فينتصر أقواهما.. ويجلو الأضعف عن تلك الأرض الخصبة.. ويحتلها الأقوى.!

أما إذا دفعهم الدهر دفعاً.. وجاءوا إلى أرض القبيلة صاحبة الأرض مسالمين.. وكان الخير كثيراً والمجال واسعاً.. فإن القبيلة صاحبة الأرض تفسح لهم المجال.. وتتركهم يرعون في أراضيهم..

لأنهم لا يأمنون أن تضطرهم الظروف في يوم من الأيام فيحتاجون إلى الرعي في أراضي تلك القبيلة.. فيفسحون لهم المجال ويعاملونهم بالمثل.. والمهم أن قبيلة الفتاة الغريبة التي نسينا أن نذكر اسمها سابقاً تدعى فاطمة..

وكان والدها رئيس العشيرة التي جاءت مسالمة للرعي.. وكان الخير كثيراً.. وقد قالوا في أمثالهم:

إذا كثر الخير قلت رعاته

فاستقبلوا تلك القبيلة بالترحاب.. وتركوهم يتنقلون في بلادهم حيث شاءوا..

وكان أبو سلمى.. قد عرف اسم الفتاة.. واسم والدها واسم قبيلتها.. ولذلك فان تلك القبيلة عندما جاءت وعرفها أبو سلمى رحب بهم وحياهم.. وفرح بقدومهم الذي سوف يحل مشكلة فاطمة.. الفتاة الغريبة التي جلت عن عشيرتها لا لذنب جنته.. وإنما لظروف نادرة وقعت.. دون أن يكون لها يد فيها.!

وكان أبو سلمى أيضاً قد عرف أخلاق فاطمة عن طريق النساء اللائي يجلسن معها ويخالطنها وكانت النساء كلهن يمتدحن فاطمة.. ويصفن عقلها بالرجحان.. وأخلاقها بالرقة والحنان وسلوكها بالفضل والإحسان..!

ولذلك وقعت من قلب أبي سلمى موقعاً لا يدانى ورأى أن وجود والد فاطمة فيما بين أظهرهم فرصة نادة لحل مشكلة فاطمة المجني عليها..

ثم فكر أبو سلمى في أن تكون فاطمه من نصيبه حيث صمم على أن يخطبها من والدها.. وهو يرجو أن يوافق والدها على هذه الخطبة.. فأبو سلمى لا يقل أصالة وشرفا عن والدها.. صحيح أن والدها زعيم قبيلة.. ولكنه هو زعيم فخذ من أفخاذ قبيلة كبيرة.. وقبيلته كلهم يحترمونه ويقدرونه.. ويرون في شخصه مفخرة لقبيلتهم وشرفاً كبيراً.. كما أن بعضهم قد يغلو فيه فيراه

أحق بزعامة القبيلة التي ينتمي إليها قاطبة.. لما يمتاز به من شجاعة وكرم.. ولما يتمتع به من أخلاق وشيم.!!

ولذلك فإن أبا سلمى لا يشك في أن والدها لن يجد لابنته فاطمة من هو أولى بها منه..

وفكر أبو سلمى في الطريقة التي يستطيع أن يتوصل بها إلى غرضه.. وتكون لطيفة مقبولة من الجميع..!!

فرأى أن خير وسيلة هي أن يزور والد فاطمة.. وأن يدعوه إلى حفلة تقام على شرفه..

كما أن على أبي سلمى أن يقبل أي دعوة من أبي فاطمة.. وأن يلبي له أي رغبة.. فإذا توثقت العلاقات بينهما فإن الطريق يكون ممهداً لزف خبر فاطمة إليه.. ثم مقابلة فاطمة لوالدها.. ثم بعد ذلك يأتي الدور لخطبتها..

وهكذا سارت الأمور فقد ذهب أبو سلمى إلى والد الفتاة في مضارب قبيلته.. فسلم عليه ورحب به..وعرفه بنفسه.. وكان والد فاطمة يسمع عن أبي سلمى أخبارا في الشجاعة والكرم هي مطمع كل زعيم.. فشيوخ العشائر يعرف بعضهم بعضاً بالسماع.. ويتتبع بعضهم أخبار البعض الآخر ليعرفوا بذلك مقدار كل زعيم.. وحجمه بين أفراد قبيلته.. ومدى تأثيره عليهم.. ومدى طاعتهم له..

كل هذه الأمور وأكثر منها يتتبعونها.. ويحرصون على معرفتها.. لما يترتب عليها من علاقات.. ولما يجب أن يحسب المرء حسابه عند الإحتكاكات.. أو المنازعات.

وكان أبو فاطمة يسمع الأخبار عن أبي سلمى ولكنه لا يعرفه.. ولم يجتمع به في يوم من الأيام.. ولم يصادفه في معركة من المعارك.. وإنما كل ما يعرفه عنه.. عن طريق السماع.. وأحاديث الغادين والرائحين.!

فاستقبل أبو سلمى إستقبالاً كريماً.. وصنعت له القهوة والشاي.. وذبحت الذبائح من حيث لا يدري أبو سلمى وطالت الجلسة.. وتفرعت الأحاديث التي يتحدثون فيها عن أحوال القبائل.. وعن الأحداث الجارية فيما بينهم.. وعن الأحداث فيما يحيط بهم..

وطال الحديث وتفرع.. وشرق وغرب. وفي هذه الأثناء جهزت المائدة العامرة بما لذ وطاب.. مما يقدم للضيوف والأحباب.!!

وعندما هم أبو سلمى بالقيام والإنصراف إلى بيته وأهله قال له أبو فاطمة إنك لن تذهب حتى تتناول العشاء معنا.. والعشاء جاهز.. لن يؤخرك عن أي شأن من شئونك..

ورأى أبو سلمى أن هذه فرصة لتجاذب أطراف الحديث وفرصة أيضاً لأن يعرف كل واحد منهما صاحبه.. عن طريق

الأفكار والإتجاهات.. لا عن طريق الأخبار والحكايات.!!

ولم يمانع أبو سلمى.. وقدمت المائدة فإذا هي مائدة كريمة.. حيث احتوت على الذبائح والألبان.. والأرز والخبز.. ولو كان في متناول أيديهم أكثر من هذا لقدموه لضيفهم..

ورأى أبو سلمى مدى إكرامهم له.. ومدى إهتمامهم به فأيقن أنه سوف ينال مطلوبه عندما يخطب فاطمة من أبيها.. وتفرق الجمع.. بعد أن عرض أبو سلمى دعوة لأبي فاطمة كرد لزيارته لهم..

ووافق أبو فاطمة على إجابة هذه الدعوة.. ولكنه طلب تأجيلها لفترة قصيرة حتى يستقر بهم المقام.. وترتاح منهم النفوس والأجسام.!

وافترق الزعيمان إلى لقاء..

وعاد أبو سلمى إلى والد فاطمة وجدد له الدعوة هو وكبار قومه فأجابه إلى ذلك واتفق على الليلة التي ستقام فيها الحفلة..وجاء أبو فاطمة فاستقبل من رجال القبيلة ومن أبي سلمى استقبالاً مؤثراً.. وقدمت موائد الطعام فأكل الجميع وشربوا هنيئاً مريئاً..

ثم تناولوا أقداح القهوة والشاي.. ودارت أحاديث وتقاربت قلوب وأفكار.. وانتهت مواسم الحفلة والكل سعيد بذلك

اللقاء.. سعيد بتلك الحفاوة والتكريم.!!

وأراد الجمع أن يتفرقوا.. فأسر أبو سلمى كلمات في أذن والد فاطمة.. لم يسمعها أحد.. ولم يدر أحد ماذا ترمز إليه.!

وقابل أبو فاطمة تلك الكلمات بالرضا والقبول واتضح فيما بعد أنه دعاه وحده في الليلة القادمة ليفضي إليه بسر لا يجب أن يعلم به أحد في وقت مبكر.!

وجاء أبو فاطمة حسب الوعد.. واستقبله أبو سلمى بالتحية والإكرام.. وجلس الزعيمان وحدهما يشربان القهوة والشاي.. ويتحدثان أحاديث شتى..

وقال أبو سلمى لضيفه إن عندي لك أمانة قد أودعتنيها أو على الأصح أودعتني إياها الأقدار وأظن أنك مع تطاول الزمان قد نسيتها.؟

فقال أبو فاطمة إنني لا أذكر هذه الأمانة.. فذكرنيها لعلي أتذكر..

فقال أبو سلمى إن الأمانة هي إبنتك فاطمة.. فدهش أبو فاطمة وقال لأبي سلمى بلا روية ولا تفكير لقد ماتت فاطمة منذ زمان.. أكلها الذئب فعليها رحمة الله.!

فأجابه أبو سلمى بأنها لم تمت.. وأنها لا تزال حية ترزق وأنها مصونة معززة مكرمة.. في يد أمينة.. عرفت قدرها وقدر

خصلة رابعة لم أدخلها في حسابي.. وهي أن تستردها.. وهذه الخصلة مع أنها من حقك فإني أستبعد حدوثها.!

وفكر أبو فاطمة قليلاً ثم قال أين ابنتي.. فذهب أبو سلمى مسرعاً.. وأخبر فاطمة بكل ما قال أو قيل له.. ثم أدخلها على أبيها.. وعندما رأته ارتمت في أحضانه.. وقبلت ما بين عينيه.. وأرسلت الدموع مدراراً.!

وقد أثرت هذه الدموع في قلب والدها بادىء ذي بدء.. ثم جلست أمامه فقصت عليه قصتها مع أبي سلمى من أولها إلى آخرها.. ثم شكرت أبا سلمى وأثنت على مروءته وشهامته ونزاهته.. وأنها كانت لديهم عزيزة مصونة مكرمة.!

وفهم والد فاطمة أن ابنته معجبة بأبي سلمى وراضية عن خصاله كل الرضا.. بل إنه شم من حديثها.. رائحة الإعجاب بكل حركاته وسكناته وصمته وكلماته.!

وكان أبو سلمى قد تشاغل ببعض شئونه الخاصة وترك الفتاة مع والدها وحدهما..

وعندما ظن أن حديثهما قد انتهى.. أقبل إليهما وأظهر التهيب من الدخول عليهما.. ولكن أبا فاطمة دعاه..

وعندما جلس في مكانه قال له أبو فاطمة: إنني لا أوافق على واحدة من الخصال الأربع التي ذكرتها.. ولكنني أوافق على أمر

آخر.. وهو زواجك من فاطمة إذا قبلت أنت وقبلت ابنتي.!!

فقال أبو سلمى أما أنا فأقبل هذا الزواج بلا تردد ولا تفكير.. وانتظر الأب كلام ابنته بالموافقة.. ولكنها لاذت بالصمت.. وطلب منها والدها أن تصارحهم بالموافقة أو عدمها.. ولكنها أيضاً التزمت جانب الصمت.!! وألح عليها والدها بأن تتكلم.. أن تصارحهم بالرفض لهذا الزواج أو قبوله.!!

فقالت أخيراً والحياء يكاد يعقد لسانها: الرأي ما يراه والدي.!!

وعندئذ عرف أبو فاطمة وأبو سلمى أن الفتاة لا مانع لديها من الزواج بأبي سلمى على الرغم من فارق السن بينهما.. وتباعد منازل عشيرتها.. عن منازل عشيرة أبي سلمى..

ولكنها قد ألفت أبا سلمى وعشيرته.. وتأقلمت مع طول الإقامة بينهم على عاداتهم وطباعهم.. في حلوهم وانتجاعهم..

ولم يكن من أبي فاطمة إلا أن يطلب من أبي سلمى أن يحضر المطوع أي إمام المسجد والشهود.!!

ثم عقد عقد النكاح.. وأقيمت الإحتفالات والأفراح.. وتوالت الليالي الملاح.. ثم ذهبوا أو ذهب كل ذلك أدراج الرياح.!! حيث جاءهم هادم اللذات.. ومفرق الجماعات.. وسبحان الحي الذي لا يموت.. له الملك والملكوت.

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

سالفة:ـ

٢٧ ـ الصندوق وأوتاده..
في حلق من يعطي حلاله أولاده...

رويت هذه السالفة عن الأخ أبي
معاوية حمد الحنطي.. وأثبتها هنا كما
سمعتها..

كان يا ما كان في قديم الزمان.. رجل محظوظ طلب الرزق فانفتحت له أبوابه.. ثم تزوج فوفق في زواجه.. حيث وقع صدفة على زوجة صالحة مدبرة.. ان نظر إليها سرته.. وان كلفها بأمر نفذته.!! وان كان حزينا سلته.. أو مسروراً شاركته..

ثم عززت هذه الخلال الحميدة بأن أنجبت له مولوداً ذكراً.. زاد سعادتهم سعادة.. ثم أتبعته بثان وثالث.. كلهم ذكور..

فترعرع الأولاد في ظل والدهم ووالدتهم.. وعند ما كبروا

صاروا عونا لوالدهم في مهماته وقرة عين له في روحانه وجيئاته . . وبمرور الزمن صار الأطفال رجالا . . والرجال شيوخاً . .

وأراد الله على أم هؤلاء الأولاد أن تصاب بمرض عضال ماتت على أثره . . وزوج الرجل أولاده الثلاثة . . وكان سكنهم مع زوجاتهم في بيت والدهم . .

وقد عوض هذا الشيخ بزوجات أولاده عن زوجته الحبيبة . . وقد نصحه أحد أصدقائه بأن يتزوج . . ولكنه رفض الزواج بأي امرأة بعد أم أولاده . . وصمم على أن يبقى أعزبا . .

وضعف الرجل عن القيام بمهام تجارته . . فكان يكلف أولاده بكثير من المهمات الشاقة . . أما المهمات السهلة فكان يمارسها بنفسه . . ويعتبرها نوعا من التسلية وملأ الفراغ . . والذي يشعر المرء معه بأنه لا يزال عضوا عاملا في مجال أسرته . . ومجال وطنه . .

وتقدم العمر بهذا الشيخ حتى صار لا يقوى على عمل أي شيء . . ولكن أولاده الثلاثة كانوا متكاتفين متعاونين في تجارة والدهم بينما زوجاتهم في بيته يخدمنه . . ويقدمن له جميع طلباته . . وينفذن له جميع رغباته . !!

وفكر هذا الشيخ في وضعه ووضع أولاده . . ووضع تجارته وأمواله . .

وقال فيما بينه وبين نفسه . . إنه لا حاجة به إلى المال . .

ولا مآرب له في الحياة.. فقد انتهى من كل شيء.. وكلما يريده في الحياة هو الانس بأفراد الأسرة.. والقيام بشئون طعامه وشرابه وهذه الأمور كلها متوفرة له بسكنى أولاده وزوجاتهم في بيته الذي يقيم فيه..

ورأى هذا الشيخ أن يقسم ثروته بين أولاده وهوحي ليزداد حبهم له.. وتزداد شفقتهم عليه.. وتعلقهم به.!!

وأختمرت هذه الفكرة لديه.. ولكنه لا يريد أن يتسرع في قرار خطير مثل هذا..

بل لابد أن يقلبه على وجوهه.. وأن يقارن بين محاسنه ومساوئه.. فاذا كانت محاسنه أكثر أقدم عليه.. واذا كان العكس أحجم عنه..

وطال تفكير الشيخ في هذا القرار.. وكثر تردده في تنفيذه.. فقد كان يخشى من تطوراث جديدة لا تكون في صالحه.. ولم تخطر له على بال..

ولكنه كلما رأي حب أولاده له شفقتهم عليه وما تقوم به زوجاتهم من رعاية وعناية.. هي كلما يريده في بقية حياته..

إنه كلما رأى ذلك ازدادت قناعته بأن من الأفضل أن يقسم ثروته بينهم ليشعر كل واحد منهم بالاستقلال التام في مجال رزقه.. وفي مجال عمله.!!

وأخيرًا عزم الشيخ وصمم على تقسيم ثروته بين أولاده الثلاثة..

وجمعهم ذات يوم ثم قال لهم يا أولادي لقد كبرت.. ولم يبق لدي قوة لتدبير أموالي.. ولم يبق لي في الحياة مآرب يكون المال وسيلة للوصول إليها..

ولهذا قررت أن أقسم أموالي بينكم بالتساوي.. ليعمل كل واحد منكم بمجهوده.. ويختط طريقه في الحياة بنفسه.. ويكون هو المسئول الأول ولأخير عن نتائج أعماله..

فدعا له أولاده بطول العمر.. وقالوا له إن أموالك نعتبرها أموالنا.. وأموالنا وجميع ما نملك نعتبرها ملكاً لك.. فالأولاد وما يملكون لوالديهم..

فقال الوالد إننى أعرف ذلك جيدًا.. ولذلك قررت أن أقسم أموالي بينكم ثابتة ومنقولة.. ما عدا هذا البيت الذي نسكن فيه.. فهو مشاع بين الجميع.!!

وهكذا قسم الوالد أمواله على أولاده بالتساوي فلم يفضل كبيرًا على صغير.. ولا مرموقا على مغمور.. وفرح أولاده بهذه الأموال التي صارت ملكا لهم يتصرفون فيها كما يشاءون.. وأكثر من فرح بهذه الأموال زوجات الأولاد..

وسارت الأمور على خير ما يرام.. وتكاثر أولاد الأولاد..

وبدأت تحدث بين الصغار منازعات ومشاحنات في كثير من الأوقات.. الأمر الذي يسبب آثاراً في نفوس الكبار غير محمودة العواقب.!!

وازدادت هذه المنافسات والمنازعات.. وتكاثرت الشكاوى والمنغصات..

وأشارت زوجة الولد الكبير بأن يخرج من البيت ليستقل بنفسه.. ليكون أصفى للنفوس بينه وبين اخوته..

فرأى أن رأيها صوابا فاستأجر بيتا.. واستأذن من والده في الخروج فأذن له.. وبعد فترة أخرى من الزمن استأذن الولد الأوسط بالخروج من بيت والده والاستقلال بنفسه فأذن له والده..

وبقي في البيت القديم الشيخ الهرم.. والابن الأصغر.. ومضت شهور وأعوام.. والشيخ لا يحس بأي فراغ..

فابنه الأصغر وزوجته يقومان بجميع متطلباته وأولادهم يملأون البيت حركة وحيوية:. والشيخ إذا مل من البيت خرج إلى مجتمعات يلتقي فيها بلداته من كبار السن.. ويتسلون بأحاديث الماضي.. ومقارنتها بالحاضر. فاذا تفرق الجمع عاد إلى بيته فوجد فيه كل ما يريده من خدمة ورعاية واهتمام.!!

وبنى كل واحد من الولدين الكبير والأوسط بيتا جديدًا يسكن فيه هو وأولاده..

ورأت زوجة الأبن الأصغر بيوت الاخوة الاثنين فحملت زوجها على أن يبني لهم بيتاً مثل بيوت إخوانه فاستجاب لطلبها.. وعندما تم عمار البيت وتأثيثه استأذن والده لسكنى البيت الجديد فأذن له مكرها.. وقال الولد لوالده إننا نريد أن تنتقل معنا إلى بيتنا الجديد لنخدمك.. ونقوم بما تحتاج إليه..

فاعتذر الوالد عن الانتقال معهم.. وقال إن بيتي هذا القديم قد ألفته.. منذ الصغر.. وهو قريب من المسجد الذي أصلي فيه الصلوات الخمس.. وهو قريب من بيوت كثير من لداق الذين أرتاح للجلوس معهم.. ونتجاذب أطراف الحديث فيما بيننا.. ونتذكر في هذه المحادثات أيام شبابنا.. وذكريات طفولتنا.. فاذهبوا إلى بيتكم الجديد موفقين.. واتركوني فلن يضيعني الله.. الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى..

وكادت أن تطفر من عينيه الدموع لولا أنه استطاع أن يسيطر عليها.. وأن يسيطر على أعصابه.. والظهور بمظهر الرجل القوي الذي يتحمل فرقى الأحباب وتباعد الأصحاب.. وتقلبات الأيام..

وشعر ولد الشيخ الهرم بما يتفاعل في نفس والده فوعده بأن يكونوا دائما بالقرب منه وأن يوفروا له جميع ما يحتاج إليه..

فشكرهم الوالد وودعهم وقلبه مليء بالهموم والأحزان.. والتعجب من تقلبات الأيام.. وصار الولد الصغير يتفقد أمور

والده.. ويوصي زوجته بأن تقوم بما يحتاجه من مأكل ومشرب فاهتمت الزوجة بذلك في أول الأمر.. ثم تكاسلت أخيرًا.. فصارت تعد له طعامه ما بين يوم وآخر.. ثم ازداد إهمالها.. فصارت لا تأتيه في الأسبوع إلا مرة واحدة.!!

وأخيرًا انقطعت عنه تماما وانشغلت بشئون بيتها وشئون أولادها.. وشئون زوجها وعاش الشيخ الهرم في بيته القديم وحيدًا بلا عناية ولا رعاية.. وصار أولاده لا يذكرونه.. ولا يزورونه إلا في مناسبات محدودة.. فقد انشغلوا بتجاراتهم.. وانشغلوا بأولادهم.. وانشغلوا بزوجاتهم.!!

وبقى هذا الشيخ الهرم مهملا في بيته ليس عنده مال فيبذل منه ليخدمه الناس.. وليس له قوة فيخافه الناس ويحترمونه.. ولو كان عنده مال لاحترمه الناس وخدموه.. حتى ولو لم يعطهم شيئا.. ولكن أين المال.. لقد أمل آمالاً في أولاده.. فكانت هذه الآمال كاذبة.. وتصرف تصرفا ظنه حكيما - ولكن نتائجه دلت على أنه كان عقيما.!!

هل يعاتب أولاده إذا جاءوا يزرونه.. وهل يعون عتابه ويقدرونه حق قدره.؟!.. لا يظن الشيخ الهرم ذلك.. بل إنه عندما ينصحهم ببعض النصائح أو يدلي إليهم ببعض تجاربه في الحياة.. يرى في أسارير وجوههم.. أو يقرأ في أسارير وجوههم أنهم يسخرون من نصائحه.. ويتهمونه بالهرطقة.. أو التخريف.!! ولهذا فقد حمل همومه في نفسه واختزن تجاربه في قلبه.. وترك الأمور تسير كيفما اتفق..

وصبر الشيخ الهرم وصابر على وضعه المؤلم. . الذي ينطوي على الكفران والنسيان. !! وفي ذات يوم ضاق ذرعا بما هو فيه من وحدة واهمال من قبل أولاده. . وأولاد أولاده. . وزوجات أولاده. . وكان من أصدقائه وجلسائه ولداته. . رجل حكيم بعيد النظر. . واسع الحيلة. . صادق الحدس. . فكشف له هذا الشيخ الهرم عما يعانيه من عقوق وحرمان. . وما صنعه مع أولاده. . وما صنعوه معه. . وطلب منه المشورة في هذا الأمر الذي يقظ مضجعه. . وينام ويستيقظ معه. !!

فقال له هذا الشيخ إن الرأي الصواب عندي اذا استطعت أن تحسن تنفيذه. . وتسير فيه خطوة خطوة حسب ما أرسمه لك. . فقال له هذا الوالد المجروح. . إنني على استعداد تام لتنفيذ ما تشير به. . والسير فيه حسب ما ترسمه لي من خطوات. .

فقال له هذا الشيخ الحكيم هل عندك صندوق محكم الصنع. !! قال نعم. . فقال وهل له قفل قوي يتعذر فتحه فقال الشيخ الهرم نعم. .

فقال الشيخ الحكيم اجمع في هذا الصندوق قطعا من الحديد والأحجار والأحشاب. . ثم أقفل هذا الصندوق. . وضع مفتاحه في مكان خفي بحيث لا يجده أحد. . ولا يستطيع أحد أن يعرف ماذا في داخل الصندوق. .

ثم توهم أنت في داخل نفسك بأن جميع ما في الصندوق من

حديد وأحجار وأخشاب هو ذهب وفضة وجواهر ثم أطلب ولدك الكبير.. وقل له لقد كبرت يا ولدي.. ولا آمن الموت أن يصبحني أو يمسيني.. وهذا الصندوق فيه وصيتي.. وفيه بعض الأموال التي ادخرتها لنفسي ولكم خوفا من تقلب الأيام.. وحوادث النقض والابـــرام.!! والآن قد كتبت وصيتي باسمك.. وجعلت بقية الأموال التي في الصندوق لك وحدك.. لأنك أكبر اخوانك.. وأنت أرشدهم.. وأكثرهم استقامة..

ومفتاح هذا الصندوق قد أخفيته في المكان الفلاني من غرفتي.. واياك أن يعرف أحد من اخوتك بهذه الوصية أو هذه الأموال.. فيحسدوك.. وتنشأ بينك وبينهم منازعات ومشكلات أنتم في غنى عنها.. وقد يطولني ضرر هذا التصرف بتفضيلك عليهم فيحقدون علي ويسيئون إلي في حياتي.. وبعد مماتي.!!

فوعده ولده الأكبر بأن يحفظ السر وأن لا يبوح به لأحد.. كما تمنى لوالده طول البقاء.. وبر الأحفاد والأبناء..

ثم ودع الشاب والده وخرج قاصدًا بيته.. فأوصى زوجته بأن تصنع لوالده طعامًا وأن تزوره في كل يوم.. وأن تنظف منزله.. وتهتم بمأكله ومشربه وملبسه.. فقد كبر الشيخ.. ولم يعد لديه قوة يستطيع بها أن يدبر أموره بنفسه..

فوعدته زوجته بأن تنفذ جميع تعليماته.. وأن تهتم بوالده في مأكله ومشربه وملابسه..

ونفذت الزوجة ما تعهدت به من العناية بالشيخ الهرم..

ولكن الشيخ لم يقنع بعناية أحد أولاده دون الآخرين فاستدعى في يوم من الأيام ولده الأوسط.. وقال له مثل ما قال لأخيه وأراه الصندوق وما فيه من الوصية.. وأوصاه بأن يحفظ السر لئلا تكون هذه الوصية سببا في التنافس والتناحر بينه وبين اخوانه.. فوعده ولده بذلك.. وذهب الشاب إلى زوجته وقال لها إنه لابد من العناية بوالدي في أواخر حياته فقد أمسى شيخا هرما لا يستطيع أن يعمل شيئاً لنفسه..

فوعدته زوجته بأن تهتم به.. وأن تزوره ما بين وقت وآخر.. وأن تنفذ طلباته.. وتحقق رغباته في كل ما يريد..

وصارت الزوجتان تتنافسان في بره والعناية به وتوفير جميع طلباته.!!

وبعد فترة من الزمن أرسل إلى ولده الصغير.. وقال له مثل ما قال لاخوانه.. إلا أنه زاد على ذلك بقوله: إنك أصغرهم حسب السنين ولكنك في نظري أرشدهم.. وأولاهم بحمل أمانتي وتنفيذ وصيتي.!!

فوعده الأصغر بأن يكون عند حسن ظنه.. كما وعده بالكتمان عن القاصي والدان.. ثم ذهب الولد إلى زوجته فأوصاها بوالده.. وقال: لقد نسينا والدنا.. في حال كبره وتركناه وحيدًا.. وما كان لنا أن نفعل ذلك بشخص قد ربانا وأغنانا.. وأشبعنا

وأروانا.. فزوريه كل يوم واهتمي بجميع شئونه.. ولبي كل رغباته.. واعلمي أن رضاي من رضاه.. وسخطي من سخطه.!!

وقالت الزوجة لزوجها إن هذا حق واجب سوف أؤديه ارضاء لله.. ثم ارضاء لك.. فأنا أرجو من الله في ذلك المثوبه.. ومنك عواطف الرضا غير المشوبة.!!

ووفت الزوجة بما وعدت به زوجها.. وبدأ جميع الأولاد وزوجاتهم يتنافسون في خدمة الشيخ.. ويلبون جميع طلباته وينفذون جميع رغباته.. بدون أن يعلم واحد بسر الآخر...

وعاش الشيخ الهرم في أخريات أيامه عيشا مريحا يغبطه عليه جميع لداته.. لما يرونه من بر أولاده به.. وحرصهم على رضاه.. وتفقدهم لجميع شئونه في معظم ساعات الليل والنهار...

وفكر هذا الشيخ الهرم في هؤلاء الأولاد الذين انشغلوا عنه وتركوه وحيدًا عندما علموا أنه لا يملك شيئا من حطام الدنيا.!!

وكيف التفوا حوله.. واهتموا بشئونه عندما أخبرهم أنه يملك في الصندوق الكثير من الذهب والفضة والجواهر.!!

إنه يريد أن يكتب وصيته.. ويضعها في باطن هذا الصندوق ليجدها أولاده بعد وفاته..

والوصية.. أو وصيته بالذات لا تحتاج إلى جمل مطولات..

وإنما تحتاج إلى كلمات قليلات يركز فيها على تجربته مع أولاده..
لتكون عبرة لأحفاده.. وأحفاد أحفاده..

وقلب الشيخ الهرم في فكره عدة تعبيرات.. حتى استقر رأيه على أحدها فرأى أنه أنسب شيء لوصيته..

فأتى بورقة وقلم وكتب ما رآه القارىء عنوانا لهذه القصة..
وهو «الصندوق وأوتاده في «ط...» أو بتعبير مهذب في حلق من يعطي حلاله أولاده».!! ثم وضع هذه الوصية في باطن الصندوق وأقفل عليها ووضع المفتاح في المكان المتفق عليه..

ومرض الشيخ الهرم فترة قصيرة.. ثم أخذ الله أمانته فغسلوا الشيخ وكفنوه.. ثم صلوا عليه.. وذهبوا به إلى مثواه الأخير.. بينما كان كل واحد من الاخوة الثلاثة قد أوصى زوجته بأن تبقى في بيت والده.. وأن تراقب الصندوق حتى لا يمسه أحد.. إلى أن يعودوا من دفن والدهم..

وعاد الاخوة وكل واحد منهم يظن أن الوصية باسمه.. وأن جميع ما في الصندوق من ذهب وفضة وجواهر هي من نصيبه.!!

وعندما أرادوا فتح الصندوق لم يستطيعوا.. وبحثوا عن المفتاح.. وكل واحد من الاخوة يتجاهل أنه يعرف مكانه..
وصاروا يبحثون عن المفتاح هنا وهناك.. فمرة يقربون من مكانه.. ومرة يبتعدون.. حتى وجدوه أخيرًا..

وفتح الصندوق.. فوجدوا الورقة.. أو الوصية في أعلاه..

فقرأوها.. أو على الأصح قرأها عليهم المطوع واذا هي لا تزيد عن سطرين.. يحوي كل سطر كلمتين.. السطر الأول فيه «الصندوق وأوتاده» والسطر الثاني هو «في ط... أو في حلق من يعطي حلاله أولاده».!!

وصدم الاخوة الثلاثة عندما قرأوا الوصية.. واطلعوا على ما في الصندوق من أخشاب وحديد وحجارة.!! وعلموا أن والدهم كان ساخطا عليهم من جراء إهمالهم.. ولكنه تحايل عليهم بهذه الحيلة.. واستطاع أن يغريهم ببره والالتفاف حوله إلى أن توفاه الله.. وخلف لمن بعده تلك الحكمة التي صارت مثلا يتناقله الأجيال جيلا بعد جيل.. والله الهادي إلى سواء السبيل.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

وبهذه السالفة انتهى الجزء الخامس.. وبه تم كتاب الأساطير الشعبية خمسة أجزاء.. وبالله التوفيق،،،



جدول بمعاني بعض الكلمات الشعبية

الكلمة	معناها	رقم الصفحة
	ـ حرف الألف ـ	
أقفوا	ولونا اقفاءهم	٢٤
الأجناب	الأجانب الغرباء	٢٠١
	ـ حرف الباء ـ	
البليهي	الجمل القوى	١٥٩
بختري	زهور طيبة الرائحة	١٥٩
برقوا به	أي شكوا وارتابوا فيه	٧٧
	ـ حرف التاء ـ	
ترب	أي تقيم أو تعود مرة تلو أخرى	٢٤٥
	ـ حرف الثاء ـ	
الثنتين	يعني الاثنتين	٢٤
ثار	نهض بقوة	١٥٩
	ـ حرف الجيم ـ	
جربوع	يعني يربوع . . فأر الصحراء	٩٤
الجاش	الصدر أو القلب والحشا	١١٧
جريين	يعني جريئين	٧٧
	ـ حرف الحاء ـ	
حقب العيون	أي ملونات بعدة ألوان	٢٤
حذرا	أي أحذركم	١١٧

الكلمة	المعنى	الصفحة
الحيا	المطر يحيى الأرض	٢٤٥
الخنشل	لصوص الصحراء	٣١٤
	ـ حرف الخاء ـ	
خطوى الولد	يعني بعض الأولاد	١٥٩
	ـ حرف الدال ـ	
دسمه	أي سمينة كثيرة الشحم	١٥٩
داج	أي مشى أو تجول	٧٧
	ـ حرف الذال ـ	
الذرق	ما يخرج من دبر الانسان أو الحيوان	٣٤٤
	ـ حرف الراء ـ	
ربيه	عملة هندية تعادل الريال	٨٧
الروشن	هو الغرفة في أعلى البيت	٣٤٤
رفيـفه	طيرانه وتقلبه في الهواء	٢٠١
ربع	يعني أصدقاء ومحبين	٢٠١
رنق	فكر قليلا	١٠٥
	ـ حرف الزاي ـ	
زولي	أي شخصي وطلعتي	٧٧
	ـ حرف السين ـ	
السفيفة	الجديلة من خوص النخل	١٠٧
	ـ حرف الشين ـ	
شوفتها	أي رؤيتها	٨٧
الشوامي	نسبة إلى بلاد الشام	٢٤

تابع جدول الكلمات الشعبية

الكلمة	المعنى	الصفحة
	ـ حرف العين ـ	
العمام	يعني الأعمام	٢٤
عجوبه	يعني عجائبه ومضحكاته	٧٧
	ـ حرف الغين ـ	
غدت به	أضاعته أو أهلكته	٢٤٥
	ـ حرف الفاء ـ	
الفهر	قطعة من الحجر ملء اليد	١١٣
الفرغ	الفرع المتعدد الفروع	٣٤٤
الفرجه	الشباك أو النافذة	٣٤٤
فراهيد	أي سود أو مشوهة	٣١٤
	ـ حرف القاف ـ	
قضعان	هو الأكول الشره	١٥٠
	ـ حرف الكاف ـ	
الكالف	هو الأجير يعمل في الزراعة	٣٤٤
كتيفه	ما يشد به الشيء المكسور	١٥٩
كنه	أي كأنه	٢٠١
	ـ حرف اللام ـ	
لهد فيهم	يعني أهجم عليهم	١١٧
	ـ حرف الميم ـ	
الملحاق	هو مساعد العامل في الزراعة	٣٤٤
منيب	أي لست	٢٤
مليوم	يعني ملوم	٢٤
مداحي النعام	مواضع بيضه في مجاهل الصحراء	٢٤

تابع جدول الكلمات الشعبية

مثمنات	ذات أثمان عالية	٢٤
محيفه	يعني مخيفه قاتله	١٥٩
ماكر	وكر أو عش الطائر	٢٤٥
مريفه	مخصبة كثيرة الخير	٢٠١
مهجور	مقيد. في رجليه أو يديه قيد	١٠٥
محتسينها	معدينها ومجهزينها	٣٣٨
المناسف	أواني الطعام للضيافة	٣٣٨
محترينها	يعني منتظرينها	٣٣٨
	- حرف النون -	
النداوى	صفة مدح للصقر الأصيل	١٥٩
ناشٍ	أي ناشيء ومعتاد	١٥٩
	- حرف الواو -	
وضح النقا	الوفاء وهو ضد الغدر والخيانة	٧٧
	- حرف الهاء -	
هلي	يعني أهلي. وقومي	٢٤
الهوامي	جمع هامة وهي الرأس	٢٤
	- حرف الياء -	
يحرحر التيس	يحاول ذبحه بسكين كليله	٩٥
يخز	يعدو عدواً خفيفاً	٢٤٥

كتب مطبوعة للمؤلف

١ ـ كتاب «دخان ولهب» وهو مجموعة من المقالات التي تبحث في شئوننا العامة ويقع في ١٨٢ صفحة.

٢ ـ كتاب «أين الطريق» وهو مجموعة من المقالات التي تعالج كثيراً من شئوننا على مختلف المسئوليات ويقع في ٣٣٦ صفحة.

٣ ـ كتاب «آراء فرد من الشعب» وهو مجموعة من المقالات التي نشرت في الصحف.. وعالج فيها المؤلف بعض شئوننا العامة ويقع في ٢٥٤ صفحة.

٤ ـ كتاب «أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب» ويقع في خمسة أجزاء هذا أحدها.

٥ ـ كتاب «الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب» ويقع في عشرة أجزاء.

٦ ـ «مكتبة الطفل في الجزيرة العربية» وهو سلسلة من قصص الأطفال تحتوي على عشر قصص مشكولة ومصورة.

٧ ـ «مكتبة أشبال العرب» وهي سلسلة من قصص الأطفال تحتوي على عشر قصص مشكولة ومصورة.

٨ ـ كتاب «ذكريات باريس» رحلة في معظم بلاد أوربا طباعة النادي الأدبي بالرياض.

٩ ـ كتاب «دورة مع الشمس» وهو رحلة حول العالم طباعة جمعية الثقافة والفنون بالرياض.

فهرس الكتاب

تابع الفهرس